

تصوّرات  
فِي الدَّعْوَى وَالثِّقَافِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تأليف  
دكتور رؤوف شلبي

عميد كلية أصول الدين  
جامعة الأزهر





الطبعة الثانية  
١٤٠٥ هـ . ١٩٨٤ م

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا  
في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم  
يحذرون » .

[ صدق الله العظيم ]



المقدمة

الثقافة الإسلامية

بين المؤتمرات والجامعات





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الثقافة الإسلامية بين المؤتمرات والجامعات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فللثقافة الإسلامية اليوم وظيفة وشهرة واسعة في الحياة الفكرية سواء في  
الشرق الإسلامي ، أو الغرب المسيحي ، أو المحور الشيوعي الاشتراكي ، ذلك  
أن الثقافة الإسلامية استطاعت أن تثبت فاعليتها في مواجهة عديد من التيارات  
السياسية ، والعسكرية ، والاجتماعية التي توجهت للهجوم على الإسلام حضارياً  
وإدارياً وكانت هذه التعالية للثقافة الإسلامية في لحظة غيبة القوة الحقيقية  
للدولة الإسلامية مما لفت الأنظار إليها .

ولهذه التعالية التي أحس بها المحصوم للإسلام وإدراك قيمتها من بعض  
المخلصين من أهل المعرفة والفكر في الوطن العربي والوطن الإسلامي فقد  
أعطيت الثقافة الإسلامية حظاً من العناية ولكنه حظ تختلف فيه البواعث  
والغايات .

وهذا الحظ اتخذ صورتين - صورة في المؤتمرات ، وصورة في  
الجامعات .

( أ ) في المؤتمرات

• أما صورة المؤتمرات : فقد عقد أول مؤتمر من نوعه للثقافة الإسلامية في صيف عام ١٩٥٣ بالولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من :

- جامعة برانستون .

- ومكتبة الكونغرس الأمريكي .

وحضر هذا المؤتمر عدد من علماء البلدان الإسلامية ، وعدد مساو لهم تماما من العلماء الأمريكيين الذين لهم عناية وإهتمام بالدراسة عن الشرق الإسلامي .

وكان نظام العمل في هذا المؤتمر ذا شقين :

الشق الأول : يقدم الأعضاء أوراق عمل في شكل بحوث صغيرة تكون أساساً لمناقشات أوسع .

الشق الثاني : تقدم بحوث طويلة في موضوعات تختار وتختص بتصوير الحياة الإسلامية المعاصرة وإرتباطها بالثقافة الإسلامية . وكان الهدف من هذا المؤتمر الأول من نوعه هو :

معرفة حركات الفكر الإسلامي المعاصر ومدى تأثيره بالروح الكلاسيكي ثم مدى نجاح الأمم الإسلامية في التوفيق بين تعاليم دينها ومقتضيات المدنية العلمية الحاضرة ، وبالتبع محاولة معرفة تأثير كل هذا بنظريات الغرب السياسية والاجتماعية . ولذلك : نجد أن نصف الأبحاث المطولة كانت من علماء أمريكا وكانت تدور حول ، فلسفة الحريات في الإسلام ونظرية : العلم والتقدم الفكري وقيمة الإنسان .

بينما نجد البحوث التي تقدم بها علماء البلدان الإسلامية كشفت عن اختلاف كبير بينهم في التصور الإسلامي ، وفي إرتباط حياة البلدان بهذا التصور ، بل كشف ما هو أسوأ من ذلك وهو تأثير سياسة بعض البلدان في التصور الإسلامي ،

على الحركة الإسلامية وظهر للعالم الأمريكي في هذا المؤتمر أن العقلية الإسلامية للعالم الإسلامي ليست واحدة في التصور لحقائق الإسلام ، وليست واحدة في قبولها لتأثير الإسلام في سياستها الاجتماعية والعمرائية<sup>(١)</sup> وهذا المؤتمر له تفسير في نظري ولدى شواهد على مثله تقف معي برهاناً على صدق حدس بالاضافة إلى ما تشير إليه سياسة إدارة المؤتمر ونوعية الأبحاث التي قدمت فيه وأنها كانت تركز على نقطتين أساسيتين :

الأولى . ارتباط حياة المسلمين المعاصرة بتعاليم الدين .

الثانية : تأثير الفكر الغربي في تعاليم الإسلام وفي الحياة المعاصرة للمسلمين .

ونظرت إلى هذا المؤتمر : أنه مؤتمر تبشيري في غايته لأنه عقد بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م وبعض رجال هذه الثورة كان لهم أُنْتَاء قديم للشيخ حسن البنا ذلك الرجل الذي أيقظ في المسلمين بأشلوب عملي حماساً لإعادة دولة الإسلام الأولى وإعادة الأوطان السائبة ، فظن المبشرون من أعلام السياسة والفكر في أمريكا أن هذه الثورة سوف يكون لها فعالية وكان الهدف من هذا المؤتمر الأول من نوعه هو :

( أ ) تهيئة مصر للقيام بدورها الإسلامي التاريخي المعروف أيام صلاح الدين ، والمملك قطز .

(ب) أنها سوف تسكون رائدة لحركات مماثلة في بعض بلدان العالم الإسلامي .

وحتى يستعجل المبشرون الأمريكيان تحديد موقفهم وقبل أن يستفحل الداء أرادوا أن يتعرفوا على أشياء منها :

---

(١) راجع كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة جمع وترتيب الأستاذ خائف الله .

( أ ) مستوى إدراك المفكرين الاسلاميين في شتى البلدان الاسلامية لتعاليم الاسلام ، وذلك حتى يضعوا تباؤاتهم حول إمكان تأثير بعض العلماء في ضباط القوات المسلحة في بلاده ليقوموا بمثل هذا الدور .

فاطأ نوا إلى أن : العقلية الاسلامية ليست واحدة في الصور الاسلامي ، وأن الحياة في البلدان الاسلامية ليست مرتبطة بعالم الاسلام بل إن بلاداً في العالم الاسلامي تعكس سياساتها القومية على تعاليم الدين فنؤلها حسبها يتفق مع بيئتها وسياستها .

وإذن فيصير التنبأ بالمد الاسلامي لثورة ٢٣ يوليو معروف مداه عند المبشرين الأمريكان ، وأنه متعذر جداً ، وعاليه يجب أن توضع سياسة أمريكية لتعميق مثل هذا الوضع في العالم الاسلامي ، ولذلك عملت أمريكا على انعقاد مؤتمر بانديونج . لأن الدراسة التي قدمها مثل أندونيسيا في هذا المؤتمر كانت أفضل دراسة تساعد التبشير الأمريكي في أن يجعل الإسلام في العالم مثل الإسلام في أندونيسيا تسيره سياسة الدولة وتؤوله وتجعله خاضعاً لمفاهيم خاصة سوف تحيله إلى جسد مشلول غير قادر على استقبال حركة إسلامية مثل حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولهذا السبب نفسه كانت المجابهة المضادة من القوميين الأندونيسيين ومعهم الشيوعيون تجهز على الأحزاب الإسلامية في أندونيسيا عام ١٩٥٨م وتساندها الحركات المائتة في العالم العربي والاسلامي لأن الهدف كان : إضعاف وإخماد الحركة الإسلامية .

( ب ) ويتعرفوا على جوانب الفعالية في الثقافة الإسلامية تلك التي تفعل أفاعيل السحر في إلهاب الحماس وتحيل الشخص إلى طاقة هائلة من العمل والإنتاج ، وصحة التفكير ، واستقامة السلوك ، وذلك حتى تشرع له من الفعل المضاد إعلامياً ، وثقافياً ما يضعف هذه الفعالية ، وكان من جراء ذلك ،

ما رسمته أمريكا من سياسة تجعل ثورة ٢٣ يوليو والعالم الإسلامي ليرتدى في أحضان روسيا لما لها من إيدولوجية مضادة للعقيدة الإسلامية .

كما أنها وضعت كل ما حرمه الله من الطعام والشراب في معلبات وحلويات ليذاولها المسامون حتى تضعف فيهم شكيمة الجهاد الإسلامي .

والرايين التي تساق في هذا الحدث هي ما يلي :

أولاً : نقطة النظام التي وضعت لإدارة المؤتمر وهي : جعل زمن النقاش أوسع من أوراق العمل في الفترة الأولى للمؤتمر لأنه من خلال طول النقاش يتعرف علماء أمريكا على قوة وفن وأسلوب العقلية في البلدان الإسلامية ، وأهمية هذه النقطة أن السياسة التبشيرية التي ستوضع سوف تلاحظ عقلية علماء كل قطر على حدة ، ولذا نجد أن المرحوم الأستاذ الدكتور محمود حب الله لم يكن له في الأزهر وحين رشح مديراً للجامعة الأزهر في أول نشأتها وأعلن هذا في الأهرام يومها عام ١٩٦٤م نجد هذا الترشيح قد اختفى تماماً يوم نشره في جريدة الأهرام .

وجمادى الدكتور حب الله رحمه الله طوال ست سنوات في وظيفة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بينما صعد إلى الجامعة غيره الأصغر سناً على الأقل والسر في هذا أن المرحوم الأستاذ الدكتور حب الله كان عضواً في هذا المؤتمر وانكشفت عقائده الإسلامية الواعية التي تستطيع أن تكون عاملاً فعالاً في تربية جيل يكون جنداً مستقبلاً مجيداً للأمة الإسلامية ولهذا جوده . . .

ثانياً : أنه كما ظهر في العالم العربي أو العالم الإسلامي نشاط يتبين منه لعلماء التبشير وساسته بواحد نقطة إسلامية يعقب ذلك مؤتمر علمي لدراسة هذه الظاهرة ، لكن بأسلوب متمسك على عادة التفكير الأوربي ،

وأيضاً يكون لأمریکا النصیب الأول فی التفکیر والاعداد ثم الاستعداد منه  
ودلیل هذا .

( أ ) أنه بعد حرب رة رمضان المعظم الجيدة عام ١٣٩٣- أكتوبر سنة ١٩٧٣  
وانتصار المسلمين السريع فی أخطر عملية عسكرية وهي عبور أكبر مانع مائي  
ثم تحطيم أحصن الخطوط العسكرية فی العصر الحديث ، ونجاح الجيش  
المصرى المسلم فی القضاء على خرافة اليد الطولى للجيش اليهودى رغم :

( أ ) قلة العتاد العسكرى فی الجانب المصرى .

(ب) عدم الطمأنينة الى الاستعاضة عن الأساحة واحتياج الحرب الى مدد  
مستمر من السلاح والذخيرة .

(ج) والتأكد من أن الجيش اليهودى لديه أساحة متطورة وأن المدد  
الأمريكى سريع وقريب .

فسرعة العمل العسكرى مع الجرأة كانت ظاهرة إسلامية فی نظر المبشرين  
قبل أن تكون ظاهرة عسكرية ، وأكدها فی نظرم : أن قيادة المقاومة  
الشعبية فی السويس كانت من مسجد الشهداء بريادة الحاج حافظ سلامة رئيس  
جمعية الهداية الإسلامية ، وأن هذه المقاومة استطاعت :

( أ ) أن تتعامل مع الدبابات اليهودية وأن تصدها وأن تحرقها .

(ب) أن تظل صامدة فلم تقدر قوات الصهاينة على اقتحام المدينة .

ولهذا عقدوا « سمنار » لدراسة هذه الظاهرة نظمتها هيئة « ايبالو » وهي  
هيئة ثقافية مهمتها دراسة أحوال دور البحر الأبيض وأفريقيا وكان ذلك فی  
ديسمبر سنة ١٩٧٣ إثر حرب السويس مباشرة ، وكانت الدراسات التى قدمت  
من الصهاينة المشتركين فی السمنار أن النزاع بين بلدان الشرق الأوسط دينى

وليس سياسياً ولا عسكرياً (١) . . .

(ب) وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران بزعامة آية الله الخميني وإسقاط عرش الشاه - مع التحفظ في الحكم على الممارسة التي عالجتها الثورة شئون البلاد - فإن أمريكا أعدت فرقة عمل جالت في البلدان الإسلامية الكبرى التي يظن أن بها حركة إسلامية يمكن أن تكون مثل إيران . . . وطاف هذا الوفد بلاداً كثيرة كانت منها أندونيسيا ولقد حدثني وجيه من وجهاء الدعوة الإسلامية أن هذا الوفد زاره في منزله وسأله مباشرة عن إمكان ظهور خميني آخر في أندونيسيا مثل إيران .

وقد ظهرت إثر ثورة الخميني حركات اضطهاد ضد نشاط الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات كأسلوب إجرائي يعرقل نمو اليقظة الإسلامية المتزجبة التي يجاس لها علماء التبشير وساسته بالمرصاد .

ولقد عمت حركة اضطهاد الطلاب المسلمين جميع بلاد العالم الإسلامي بصورة توحى بأنها مخطط موحى به أو مخطط اتفقت الصدفة على إظهاره . . .

ذلك هو تصوري وبراهينه لانعقاد أول مؤتمر من نوعه للثقافة الإسلامية في أمريكا عام ١٩٥٣ م . وهو مؤتمر لم يتكرر بهذا الوصف بل أعيدت وظيفته في سمينار باسم بلاد حوض البحر الأبيض بعد إنتصار المسلمين في رمضان ١٣٩٣ هـ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، مما يبرهن على أن الثقافة الإسلامية لها فعالية في ازكاء الحماس الإسلامي وإيقاظ العالم الإسلامي من إرقاده ، وسباته وخموله ليعمل من جديد لإعادة دوره الرائد والأستاذ في الحياة الانسانية .

---

(١) راجع : كتابنا المسلمون في جزر الفلبين ص ٨٠ ، ٨١ .

وهذا يبرهن على أن التبشير قد عرف خصائص هذه الثقافة فوضع لها  
الأدواء والأمراض التي تنسد منقولها ، ولذا فإن الدراسة التي أقدمها عن  
المؤتمرات وموقف المسلمين في القرن الخامس عشر لها خاتمة وجدانية من  
هذا المنطلق الذي عرضته في هذه الفقرة حول دور المؤتمرات في وظيفة  
الثقافة الإسلامية .

### ( أ ) في الجامعات :

• أما عن دور الجامعات في الثقافة الإسلامية ، فقد حضرت الدورة التي  
انعقدت بالخرطوم في فبراير سنة ١٩٧٨ بدعوة من جامعة أم درمان الإسلامية  
لمنظمة اتحاد الجامعات العربية وكانت هذه الدورة خاصة بدراسة كيفية  
تطوير تدريس المواد الإسلامية في الجامعات العربية ، ولقد استمعت بانصات  
كامل ووعي مشحون لكل ما دار في هذه الدورة وبخاصة ما كان يمس  
الثقافة الإسلامية .

ولقد حزنت يومها حزناً كبيراً لأن اللب الذي كان يجب أن يدور  
حول حوار الندوة لم يكن موجوداً ، إنما كان المتحدثون عن الثقافة  
الإسلامية لا يعدون أن يكونوا واحداً من ثلاثة .

### ( أ ) المصارعون بالعقريات للتفاخر والتظاهر والترأس .

(ب) المشاكسون بانانيات الواهمون بأنهم أوصياء على الفكر الإسلامي  
وأنهم أصحاب حق آلهي ...

(ج) الموضوعيون العلماء المحترمون للعمل والفكر الإسلامي وكان  
من ضمن العلماء الموضوعيين الأستاذ الفاضل المهذب الدكتور محمد المبارك ،  
وهو عالم سوري معروف بدمائة خالقه ولين طبعه ، وهدوء سمته ، قدم بجمناً



رائعاً في موضوعيته عن : الدراسات الاسلامية : أهدافها وخطوطها وأساليب تطويرها ، ومن خلال هذا البحث وضع خطة علمية لتدريس الثقافة الاسلامية وابعادها . أن تتنوع موضوعات الثقافة الاسلامية حسب التخصصات بحيث تتناسب الموضوعات مع تخصص كل قسم على أن يكون هناك قدر عام من الثقافة لجميع الأقسام .

وهذا هو التصور الذي أفهمه والذي طالبت به في جامعة الأزهر الشريف .

:: فالنصارى : تعد لهم موضوعات في الثقافة الاسلامية .

\* والمهندسون : تخدم تخصصهم موضوعات أخرى توضح لهم رأى الإسلام .

\* والصيدليون . . . إلخ يكون لهم منهاج في القضايا التي يعملون فيها ، وذلك إلى جوار القدر العام من الثقافة الذي يربى ذاتية إسلامية يقدرها المتخرج من معرفة مكانه بين زملائه في الأديان الأخرى .

ولنضرب لذلك مثلاً :

إذا وجد في طائرة مسافرة إلى أوربا مثقف مسلم ومثقف هندوسى ومثقف مسيحي ومثقف يهودى .

ما هو المطلوب من المثقف المسلم عندها يحدث حوار بين هؤلاء جميعاً . . ؟  
في تصوري أن المطلوب منه :

( أ ) أن يكون لديه إلمام بأمور دينه هو .

( ب ) وأن يكون لديه قدر كافي من المعرفة الاسلامية فيما يتعاقب تخصصه ، بمعنى أنه إذا طلب إليه أن يقدم فسكرة عن عقيدته وشعائر دينه يكون

لديه فهم وحفظ كاف وإذا طاب إليه أن يربط تخصصه بمعارف دينه  
استطاع أن يفعل ذلك .

لهذا فإن الأحاديث النبوية الشريفة التي تقدم لطلاب كلية التجارة  
لا تتناسب في ظل هذه السياسة مع طلاب كلية الزراعة ، أو الصيدلة فهناك  
أحاديث تتناسب مع هذه الكليات ، وقد وضع الأخ الجليل الدكتور محمد  
نبيل صبحي السورى الجنسية - وهو صديق مسلم عزيز- كتابا عن الأحاديث  
النبوية المتعلقة ببعض أنواع الطب لأنه دكتور طبيب وكان وزيراً للصحة  
في بعض وزارتها التي يصبح أن يشترك فيها المسلمون .

والمخلصون هم الذين يجدون في أن يكون المنهج واضحاً ومستقيماً في  
توصيل المدرس والطالب معا إلى تحقيق الهدف المطلوب من التربية والتخرج  
لميدان العمل في الحياة .

ولذا فإني : أهيب بعمداء الكليات ورؤساء الأقسام في جامعاتنا العربية  
إلى أن ينظروا إلى تدريس مادة الثقافة الإسلامية بهذا المنظور ، ومن الأفضل  
في نظري أن تستقل كل كلية بتدريس هذه المادة ليتلاءم منهاجها مع منهاج  
الكلية بأقسامها فذلك أجدى ، وأقرب إلى الضوابط من أن توضع خطة عامة  
لجميع الكليات في الجامعة الواحدة .

هذا .

وهذه الدراسات التي أقدمها اليوم إنما هي تصورات لموضوعات شتى في:  
الدعوة الإسلامية ، والثقافة الإسلامية لها سمة التخصص الأكاديمي وفي نفس  
الوقت لا يستغنى عنها مثقف مسلم يجب أن يتطالع في قضايا الدعوة والثقافة .

وآخر هذه الدراسة عبارة عن تجارب عملية شاهدها بنفسى وأنا في شرح  
الصبا وسجلتها في مقالات أصبح بها أفكار المتعصبين للذوات ، والهاوين

أن يتم الإصلاح على يد واحد بعينه ، والمتشدقون بأساليب إدارة الغرب  
أو الشرق ، فهي ثمار تجربة في وقت كان عصيبا .

ثم كانت الخاتمة بحديث عن منزلة يوم الجمعة في الإسلام وما يجب  
عائنا فيه .

وإني لأحمد الله تبارك وتعالى أن يسر لي أن أقدم هذه التصورات فهو  
جل جلاله صاحب التفضل والمنة والخير العميم . أسأله جميع عذوه ومغفرته  
ورضوانه ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه  
إلى يوم الدين .

مدينة نصر - القاهرة ظهر يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ١٤٠١ هـ  
٢٥ يونيو سنة ١٩٨١ م  
دكتور رهوف شابي

## القسم الأول

### تصورات في الدعوة والداعية والمجتمع

- \* المسلمون والقرن الخامس عشر .
- \* نحو مؤتمر فعال للدعوة الإسلامية .
- \* الداعية والمجتمع .
- \* مستقبل العمل للدعوة الإسلامية .
- \* أبو الأعلى المودودي ومكانته في الدعوة الإسلامية .
- \* هل ستكون أندونيسيا دولة إسلامية ؟
- \* الحكم الذاتي لمسلمي الفلبين حق يقرره التاريخ .
- \* الطريق إلى طابطة وخاصة الدعوة .
- \* الإمرام والمعراج في تصور الدعوة الإسلامية .
- \* محاولة التخطيط لسير الدعوة .

## المسلمون والقرن الخامس عشر الهجري

يستعد المسلمون من الآن للاحتفال ببدء القرن الخامس عشر الهجري بعد أن مضى عليهم قرن اختلفت فيه الموازين والمعايير، ولعل حياة الامة الإسلامية في القرن الماضي لم تسعها للقيام بدور إيجابي نحو حياة أفضل كان القرآن الكريم قد شرعها وطبقها في الصدر الأول .

وبالقائه نظرة فاحصة على خارطة العالم الإسلامي والمعاصر نجدته يمثل طأراً له رأس وجناحان .

غاية الأمر أن واحداً من الثلاثة لا يغنى عن الآخر في أهميته ، وفي استراتيجيته للعمل الجاد نحو الحياة الأفضل التي ينشدها المسلمون جميعاً .

فالقلب : مجموعة الدول العربية في شبه جزيرة العرب وما يجاورها على الساحل العربي للبحر الغربي للبحر الأحمر : السعودية ، ودول الإمارات ، وقطر ، والسكويت ، وسوريا ، ولبنان ، ومصر ، والسودان ، والاردن وفلسطين ، واليمن .

وهي بلاد قد تخررت من مساوىء الاستعمار العسكري ، وظهرت فيها معادن وامكانات بترولية وأخرى من المواد الخام الصناعية تستطيع أن تلعب بها دوراً رئيسياً في الحركة الإسلامية .

والجناح الايمن : وهو الجناح الشرقي : وهو مجموعة دول : إيران وأفغانستان ، وباكستان ومايزيا وأندونيسيا وفتاني فهو يمتد من حدود العراق إلى المحيط الهادى .

ولهذا الجناح أهميته في ارتباط الاستراتيجيه العربيه في المحيط الهندي  
والخليج العربي بالمحيط الهادي من ناحية أخرى في القيمة الاقتصادية الكامنه  
في هذا الجناح من حيث النفط والمعادن الكثيرة المتنوعه والهامة . وأيضا  
الغلات الزراعيه والتوابل بشتى أنواعها ، وكثافة المسلمين في القلب ، وقد  
تحرر هذا الجناح كذلك من السطو المسكري بكل ألوانه الشرقيه والغريه

والجناح الأيسر : أو الجناح الغربي ويشمل مجموعه دول شمال أفريقيا:  
ليبيا ، وتونس ، والجزائر والمغرب ، وموريتانيا وهو الجناح المواجه لدول  
أوروبا ، وهو الجناح الذي عبرت منه الدعوة الإسلاميه إلى الاندلس وعدة  
جزر في البحر الأبيض المتوسط ، وهو فنى كذلك بثرواته ، وكثافة السكان  
فيه لها أهمية في اعزاز بناء الأمة الإسلاميه .

ظلامه الإسلاميه المعاصره تمتد من المحيط الهادي شرقاً إلى المحيط الاطلنطي  
غربا ومن البحر الأبيض شمالا إلى ما وراء المحيط الهندي جنوبا ، وتتمركز  
في منطقه متوسطه تعلو خط الاستواء بين مداري الجدي والسرطان فهو حزام  
الكرة الأرضيه يشمل أفريقيا وآسيا وبعضا من دول أوروبا ، وتطل على  
البحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهادي والمحيط الهندي ، والأطلسي  
وتتملك مضائق مائيه هامة :

- قناة السويس .

- باب المندب .

- مضيق ملاكا .

- مضيق جبل طارق .

- البسفور والدرديل .

فنعناصر القوة في الأمة الإسلاميه مكفولة .

( أ ) جغرافيا .

( ب ) بشريا .

( ج ) اقتصاديا .

وقد تحررت عسكريا ولكنها مازالت مهشمة منذ ألحق بها عدة فواجع :

#### الفاجعة الاولى : -

سقوط الخلافة الإسلامية ، وكان من ألمع مظاهر سقوطها هو التمزق الذي أصاب الأمة وحولها إلى دويلات ، وكان من أول أسباب سقوطها ظهور فكرة القوميات : تلك الأوبئة التي أثارها الصهاينة من أجل بناء دولة اسرائيل كدولة قومية خاصة بهم .

#### الفاجعة الثانية : -

بناء دولة اسرائيل على مسمع من القوى العربية والإسلامية بكلها الكثيف ( الضعيف ) واستراتيجيتها الحساسة ( المعطلة ) واقتصادها الضخم ( المحبوس ) .

#### الفاجعة الثالثة : -

سيطرة العلمانية على الحكم في جميع أنحاء العالم الإسلامي ومحاولة تفريغ الشعب المسلم .

#### الفاجعة الرابعة : -

ارتباك الحركة الإسلامية في جميع الوطن الإسلامي فيما يتعلق بوضع خطة لمواجهة العلمانية المسيطرة حتى أصيبت الحركة الانلامية بشلل كامل .

\* فني أندونيسيا : قضى على الحزب الماشومي وهو العمود الصادقة للنظافة في الحكم الاسلامي المعاصر .

\* وفي مصر والبلاد العربية قضى على جماعة الاخوان المسلمين كتمهيد  
لعربدة العلمانية في تحديد مصير القضايا المعلقة عليها، والاخوان المسلمون  
أنصع صفحات التاريخ العربي، وطنية، وجهادا، واخلاصا، ونظاما.

\* وفي الهند وباكستان، حطموا الجماعة الإسلامية وهي أفقه حركة  
إسلامية في شبه القارة الهندية وماجاوزها، حتى لانتشبت حركة في الجناح  
الشرقي للعالم الإسلامي قد تساعد على وثبة من القلب أو من الجناح الغربي.

وينتهي القرن الرابع عشر الهجري بهذه المآسى :

(أ) - علمانيون يتحكمون في مقاليد الحكومات والعالم الإسلامي .

(ب) حركات إسلامية مخنوقة أو موهودة، أو متضاربة أو متشاكسة  
مختلفة على لاشئ، تناقش القشور وتتعمد نسيان اللب .

(ج) تسلل شيوعي إلى مناطق حساسة في جسم الأمة الإسلامية مثل :  
عدن، والجزائر، وافغانستان .

(د) ظهور نوع من التسلط لبعض الاقليات الخاقدة بطبعها دون سبب  
شرعي أو خافي . أو سياسي، بل ودون سبب ديني واضح .

(هـ) زعزعة الثقة في امكان حل صحيح لقضايا الوطن الفلسطيني دولة،  
وشعبا، أرضا، وتراثا حضارة، وثقافة .

ولقد استطاع الاستعمار بشتى وسائله ودوله أن يزرع إسرائيل في وسط.  
قلب الأمة الإسلامية ليربك العرب وهم قلب العالم الإسلامي . في التوصل لوضع  
حل لهذه القضايا .

ولقد ارتبك العرب فعلا عسكريا، وسياسيا في وضع استراتيجية موحدة  
ودائمة وممكنة التنفيذ لحل قضية الدولة الفلسطينية . . ومازالوا مرتبكين .



وسيطل الاستعمار السياسى ىربك العرب حتى لا يفيقوا إلى جديفة العمل  
للدعوة الإسلامية خوفًا من عودة الأسطول الإسلامى ىجبو المحيطات من  
جديد وفوقه راية الإسلام الحنيف ترفرف بالرخاء والأمن والأيمان والحرية  
وحقوق كرامة الإنسان للناس أجمعين .

وما من شك أن الأمة العربية ثم بقية الأمة الإسلامية بما لهم من كثافة  
سكانية هائلة تجعـل منهم أمة عسكرية من الدرجة الأولى وبما لهم  
من قوة اقتصادية كبيرة هي أصل للتقدم الصناعى عالميا تجعلهم فى محل القدرة  
على تصنيع عسكرى راق متطور فائق وبما لهم من قوة استراتيجية حساسة  
ودقيقة وهامة هي الحزام الجغرافى للقارات كلها .

العرب والأمة الإسلامية بهذه الامكانات . . وبفضل الله وحوله وقوته  
يقدررون على صنع سياسة دولية ومحمية يحولون بها أيام القرن الخامس عشر  
المهجى القادم إلى مثل أيام القرن الهجى الأول وما ذلك على الله بعزيز .

والنظرة التى يجب أن يتطلع بها شباب المسلمين والمسلمون اليوم إلى مشاهد  
العمل الإسلامى فى ظل القرن الخامس عشر الهجى هي :

أولا : فى مجال التعليم والتربية : توحيد الفكر الإسلامى ، وانتزاع فتيل  
الخلافات المذهبى لاسما فى تلك الفروعيات التى لاطائل من وراء المناقشة  
فيها ، والتركيز على بناء الشخصية الإسلامية والتصدى للتيارات المعادية للإسلام .

ثانيا : فى مجال الشباب توحيد عمل الشباب الإسلامى بحيث يرفض جميع  
الايولوجيات القديمة والأفكار التى مضت وتركيز جهوده فى :

( أ ) السيطرة على القيادات فى المجال الجامعى ، والاعلامى والتربوى  
والاقتصادى ثم الشرطة .

( ب ) الألتزام بلب الإسلام فيما يتعاق :

— بحفظ القرآن الكريم .

— وحفظ السنة المطهرة .

— وعودة الخلافة الإسلامية .

(ج) وضع سياسة للتصنيع الحربى ، وسياسة للاتفاق الاقتصادى .

(د) وضع سياسة سلوكية تضمن عدم المواجهة مع الحكام العلمانيين وفى نفس الوقت تبنى قيادات شرعية عن طريق قانونى توطئة لإقامة دويلات إسلامية نظيفة .

(هـ) عندما تتكون هذه الدويلات الإسلامية يمكن تكوين مجلس للخلافة الإسلامية من رؤساء هذه الدويلات ، وتكون رياسته بالانتخاب الدورى لمدة معينة تضمن استقرار نظام الحكم فى الدويلات الإسلامية واستقرار الحكم فى مجلس الخلافة الإسلامية .

وعندئذ يمكن توحيد التعليم والجيش والقضاء والاقتصاد والشرطة فى دويلات الخلافة الإسلامية .

وعندئذ يمكن وضع سياسة داخلية لهذه الدويلات من حيث :

الخدمات ، والصحة ، والتنمية والرعاية الاجتماعية ، وحقوق الأقليات .

والإيمان بالتبعية للخلافة .

وفى نهاية التصور والرؤية للشباب المسلم وجماعات المسلمين فإن عليهم واجباً هو الاخلاص التام ، والتوكل الصادق فى الاعتماد على نصر الله وعونه ، وإلغاء النظرة الشخصية للمكاسب الفردية للأشخاص والأقطار ، وإلغاء الحساسية القومية والذمات العرقية واللغوية .. والله من وراء القصد ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وإن تنصروا الله من ينصركم ، وإن الله لبقوى عزيز .

## نحو إيجابية مؤتمر فعال

### للدعوة الإسلامية

إن تجمع العلماء في مؤتمرات علمية إسلامية تدرس مشكلات الأمة الإسلامية ، وتضيء لها الطريق بالرأى والفتوى عمل مقدر وجليل .

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (١) .

وإن اجتماع الأمة الإسلامية حول مبادئ القرآن الكريم لهو غاية الغايات ، ومطلب أسمى تسعى إليه جهود الأوفياء المخلصين من علماء أمة الإسلام على مدى الأجيال المتعاقبة .

غير أن فكرة التصورات الأكاديمية وتوصيات المؤتمرات الإسلامية التي تنعقد في فينات متتابعة من هذا العصر الذي نحياه لم تعد هي المطالب المرموق لواقع الأمة الإسلامية على امتدادها في جميع قارات العالم .

إن الأمة الإسلامية تملك ثروات عديدة :

إنها تملك الثروة البشرية ، وتملك الثروة المعدنية والبتروولية ، والزراعية ، وتملك الثروة الإستراتيجية ، بحسب ما وهبها الله تعالى من كثرة في العدد ، وسعة في الموارد وامتداد جغرافي في أقطارها العالمية ، ولسكنها تحتاج إلى إيجابية في العمل للدعوة الإسلامية .. فواقعها الاجتماعي مزيج من الخلافات التي صارت لديها عادة تقليدية .

وواقعها الحيوي ضعيف : لبعدها عن استخدام أصول الحياة على النسق

---

(١) سورة التوبة ١٢٢ .

الرباني الذي رسم لها لتعمر هذه الأرض .  
وراقها الثقافي مشوش : لكثافة وجدانها بالخليط من التعاليم الأخرى .  
مع هذا فان علماء هذه الأمة ما زالوا يحارلون التخلّص من كل ذلك سبيلاً ..

وتلك المحاولة فريضة إسلامية ، ففي الحديث الشريف : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » إذن ، فان فكرة مؤتمر إيجابي فعال للدعوة الإسلامية يجب أن تولد ، وفكرة مؤتمر إيجابي كهذا ليست فكرة ومؤتمر أكاديمي تعد له الأبحاث ، وتلقى ، ثم تناقش ، ثم تطبع ونوزع .

لقد أنفقت المؤتمرات الأكاديمية جملة كبيرة من آلاف الجنيهات ... في سبيل أن تصدر أبحاثاً قد يكون لها اتصال بواقع الحياة الإسلامية وفي سبيل أن تصدر توصيات وقرارات... وهو عمل لا نقال من أهميته .. و- لكنه ليس هو مطلب الحياة المعاصرة للأمة الإسلامية .

### هجمات التبشير :

إن الأمة الإسلامية في آسيا وأفريقيا تعاني دجوماً عنيفاً من التبشير .  
تعانيه في مدارسه حيث يتبع المدارس التبشيرية أبناء المسلمين ، وهم في عجز كلي عن إقامة مأوى ثقافي لأبنائهم .

وتعانيه في الضغط الثقافي الذي يزاوله التبشير بنشر الكتب والمجلة ، والنشرات .. والندوات .

وتعانيه اجتماعياً بما يقدمه لها التبشير من خدمات صحية ومعونات متعددة الألوان والاتجاهات من المستشفيات إلى لقمة العيش ... ثم بألوان شتى من المغريات من المنح الدراسية إلى المنح الجمالية ..

والأمة الإسلامية وهي تعاني فنون المعاناة من نشاط التبشير نجدها: مقسمة ،

منقسمة في التفكير — منقسمة في النزعات — منقسمة في الأيدولوجيات ..  
والتبعية في وجودها العمراني ... والسياسي ... والاقتصادي .

ولهذا الانقسام مشارب ، وله منابع ... ومن أوليات تلك المناهج المكتوبة  
الاستشراقية الضخمة التي تعددت فيها المناهج لتجريف الاسلام عن موضعه  
القرآني وتشويهه عن جماله الرباني ... ومهما اختلفت درجات المستشرقين  
فان القدر المشترك بينهم أنهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى  
الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (١) .

إذن ، فان صورة المؤتمرات الاسلامية ينبغي أن تتجدد لتنقل أمة  
الاسلام من واقعها الميت إلى الواقع الاسلامي الذي أخبرها به الرحمن جل  
شأنه ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون  
الرسول عليكم شهيداً » (٢) .

« كتمت خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر  
وتؤمنون بالله » (٣) .

والايجابية التي ندعو إليها ، هي إيجابية تنفيذ البرنامج بجاذب  
الظلمات التي التفت حول الأمة الاسلامية .

### الاجابية التي نريدها :

وهذه الاجابية هي تعديل في اقتصاديات المؤتمرات ، وتوجيه المايلات  
التي تنفق على السفر والاقامة والتحفيز وطبع البحوث والنشرات إلى برنامج  
تربوي يغطي حاجة المسلمين في آسيا وأفريقيا .

(١) سورة التوبة ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٩ .

وهذه الایجابیة یمکن تحقیقها بحیث تشمل :

١ - دراسة أحوال المسلمین فی كل قطر من أقطار آسیا وأفریقیا ، وكثیر من هذه الدراسة موجود لدى المؤسسات الإسلامیة مثل رابطة العالم الإسلامی ، والأزهر .

٢ - تحدید المشكلات التي تعترض الوجود الإسلامی لكل أمة فی بلدها . وهذه المشكلات قد عرضها أبناء الوطن الإسلامی فی عید من المؤتمرات العلمیة الإسلامیة ...

٣ - رسم منهج ثقافی متكامل لكل بیئة خاصة ، یشمل : خطة الدراسة ، والمنهج ، والمنح الدراسية ، ونوعیات السكلیات ...

٤ - طبع هذا المنهج الثقافی وإرسال البعثات الإسلامیة لرعايته وتطبيقه ، بعد انتخابهم وتدريبهم ...

٥ - الاسهام بالخدمات الاجتماعیة لتخفیف الضغط التبشیری .

٦ - متابعة التنفيذ لهذه المشروعات لتقویمها وتعديلها .. والاستفادة من إنتاجها فی مشروعات أخرى .

٥ وهذه الایجابیة تحتاج أكثر ما تحتاج إلى :

١ - مال ... یمسكن توفيره بضافر المؤسسات الإسلامیة فی البلاد العربیة والإسلامیة لا عن طریق جمع المال فی صندوق واحد ، بل عن طریق الالتزام بتقدیم نوع خاص من الخدمات الثقافیة والاجتماعیة ، تقوم به كل دولة بحیث تغطي الجانب الذي تقدر علیه ، ویكون ميسوراً لها الاضطلاع به حسب مقدورها إن كان مالیا أو إن كان علمیا .. الخ .

٢ - هیئة علمیة مركزة تضم أصحاب الخبرات فی العمل الإسلامی ؛

لتشرف على تنفيذ المشروعات التي سترسمها بناء على الدراسات التي تصل إليها ،  
وليس مشكلا أن يتعرف على مشكلات العالم الإسلامي ... فالقد أن كل  
قطر باحتياجاته ، وصرخ بما عنده من آلام ، وعرض ما يعانيه من  
مشكلات ...

وأمر تنفيذ هذه الإيجابية سهل ، فيسور ، فكل مؤسسة إسلامية لها  
ميزانية ولها نشاط فاذا توجه هنا النشاط في أسلوب منسق ، واقتسمت  
الادارات الإسلامية تنفيذ احتياجات العالم الإسلامي أمكن أن توجد المؤتمر  
الإيجابي الفعال للدعوة الإسلامية ، وأمکن أن نقدم للدين حقه الذي ألزمتنا  
الله تعالى به : « ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا » (١)

وأمکن بهذا الأسلوب أن تحقق الادارات الإسلامية في الأمة الإسلامية  
وجودها الإسلامي .

### إخلاص النوايا :

ولا تحتاج هذه الإيجابية في تحقيقها إلا إلى :

« إخلاص النيات لله رب العالمين .

« وأن يعقد العزم على توجيه العمل عبادة لله وحده .

« وأن يهتم العلماء بشؤون المسلمين على مستوى : « من نفس عن مسلم كربة  
من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

وعلى مستوى : « ترى المؤمنين في توادم وتراجهم وتعاطفهم كمثل  
الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد والسهر بالجمي » .

---

(١) سورة فاطر ٣٢ :

- وعلى مستوى : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .
- وعلى مستوى : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم على من سواهم » .
- وعلى مستوى : « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .
- صفات الداعية :

أما فيما يتعلق بالموصفات الضرورية للداعية فهي :

أولاً : في الشروط الواجب توافرها في الداعية .

أولاً الصفات الذاتية :

- ١ - الذكاء ، ولهذا فإن المتقدمين لسكليات الدعوة الإسلامية ينبغي أن يختاروا عن طريق الاختبار الشخصى عند الدخول .
  - ٢ - القدرة على التصرف في الموقف ، ولهذا يجب أن يكون منهج الدراسة عملياً ، وأن يكون السكن تحت إشراف الكلية المعنية بالترية .
  - ٣ - دماثة الخلق :
  - ٤ - قوة احتمال الشدائد .
  - ٥ - حسن الهيئة .
  - ٦ - طازقة اللسان .
  - ٧ - غير ميال للسكسل ، طموح ، وهؤن ، وهضجى .
  - ٨ - أن تكون شخصيته أكبر من مغريات المذبات .
  - ٩ - أن يكون كريماً .
- ثانياً : الصفات الثقافية :
- ١ - أن يكون حافظاً للقرآن الكريم .



- ٢ - مدركاً لأحاديث السنة النبوية .
- ٣ - عارفاً بعلوم الفقه الإسلامي .
- ٤ - محيطاً بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين .
- ٥ - أن تكون له دراسات بقواعد علم الاجتماع ومدارسه ونظرياته .
- ٦ - له دراسات للتيارات الخاصة للإسلام ، واقفاً على مبادئ المنظمات المجاهدة له .

٧ - لديه خبرة بالعمل مع الجماعة .

٨ - ذو منهج في تبليغ الدعوة .

ثالثاً : الصفات الأسرية :

أن يتمثل في سلوك الأسرة كل مبادئ الإسلام تطبيقاً متكاملًا . .

رابعاً : الصفات الاجتماعية :

١ - أن يكون ودوداً يحب إقامة صلوات طيبة .

٢ - أن يكون خدوماً للناس .

٧ - أن يكون معطياً غير مكافئ ، ( موطاً الأكتاف من الذين يألفون

ويؤلفون ) .

خامساً : إعداداه :

ينبغي أن يعد الداعية بعد الانتهاء من دراساته الجامعية الأولى ، يختار أولاً حسب القواعد السابقة بواسطة امتحان الذكاء . . . . وبعد أن يجرى عليه بحث اجتماعي من حيث وضع الأسرة ، ثم تنظم له دراسات وتدرّيات عملية كالتالي :

أولاً :

١ - حسب تقسيم المناطق التي سيرسل إليها الدعوة يقسم الدعوة إلى مجموعات .

٢- كل مجموعة تدرس جغرافية وتاريخ وإقتصاديات ولغة وتقاليد وعادات وتيارات السياسة والفكر للمنطقة التي سيرسلون إليها .

٣- ينظم لهم برنامج عبادى اجماعى لتأدية فرائض الاسلام وسننه ، لمعرفة مدى قدرة الداعية على تطبيق الاسلام على نفسه واستعداده لذلك .

٤- تستمر هذه الفترة إلى عام .

٥- يقدم الداعية في نهايتها بحثاً عن منهجه للعمل في هذه المنطقة كجزء من الامتحان الذى يؤديه في آخر العام .

ثانياً :

ما ينبغي أن يكون له من حقوق :

١- يهباً له جو مالى ، يضمن له استقراره النفسى ويضمن لأسرته القدرة على أن تكون أسرة داعية ، يفتح بيته للجميع .

٢- يعاون في عمله بالاستجابة لاقتراحاته التى سيبتليها من عمله في البيئية التى بعث إليها .

٣- تربط سياسة توزيع المنح الدراسية بنشاطه ، ويكلف باختيار العناصر الأجدود للدراسة بالجامعات الإسلامية المشتركة بلدها في تنفيذ هذا المنهج . .

خطة عمل مرحلية

ثالثاً :

( ١ ) في صيانة المجتمعات الإسلامية :

يقسم العمل بين المؤسسات الإسلامية للبلاد التى ستقبل تنفيذ خطة خدمة الدعوة كالتالى :

- ١ — إحدى المؤسسات الإسلامية تتكفل بأعداد وطبع كتب دراسية للفقهاء مثلاً لأحد مناطق العمل في البلاد والمناطق التي يخدمها النشاط الإسلامى .
- ٢ — إحدى المؤسسات الإسلامية فى بلد آخر تتكفل بإرسال المدرسين .
- ٣ — إحدى المؤسسات الإسلامية فى بلد آخر تتكفل بتحويل المشروعات الاجتماعية كالمستشفيات وبناء المدارس ٠٠٠ و ... الخ .
- ٤ — تنفيذ هذا الجزء من خطة العمل المرحلية فى المناطق الإسلامية التى ترزح تحت وطأة التبشير بمدارسه .

#### ( ب ) فى نشر الدعوة :

إذا ما تمت المرحلة السالفة التى تهدف إلى صيانة المجتمعات الإسلامية الواقعة تحت ضغط العمل التبشيرى تنطلق الدعوة إلى الأمم البدائية التى تعيش بلا دين .

وليس لهذه المرحلة من منهج سوى : السلوك الرفيع والمرعظة الحسنة ، ثم نشر العلوم بينهم ، وإذا أمكن أن نسير الخطوتان معا كان فضلاً من الله ونعمة .

هذا ، وبالله التوفيق .

## الداعية والمجتمع

يروى ابن هشام في كتابه : سيرة النبي ﷺ - أن قریشاً أكثرت من ذكر رسول الله ﷺ وتذاصروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ثم أنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له :

يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استهينناك من بن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا . وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكلمه عنا ، أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

هذه مظاهره من المجتمع تنكأ كما يجحفلم الثقيل في صورة رأى عام من وجهاء القوم ، وأصحاب الشورى في المجتمع العربي القديم على أبي طالب وتتجه هذه المظاهرة بكل أنقالها للضغط على إرادة الرجل مرة بعد مرة ليغير من موقفه تجاه النبي ﷺ وقد كانت في المرة الأخيرة مظاهرة عنيفة مؤاخذه غير مسامحة مهددة غير مسالمة .

لقد عرضت هذه المظاهرة قبلاً الأمر على أبي طالب فردهم رداً جميلاً ، ثم توجهت مرة أخرى وقدمت إليه شاباً جذماً فتياً جميلاً ، ليأخذه أبو طالب كبديل عن ابن أخيه على أن يسلم لهم . أليقتلوه فيستريحوا من سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، ومن محاولة تغيير ثقافة آبائهم وأجدادهم ، فغضب أبو طالب وقال لهم الكلمة التاريخية المشهورة والله لبئس ماتسومونى : أتعطونى أبنيكم أغذره لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله مالا يكون أبداً؟ وفي ظروف هذه الحادثة يقول أبو طالب للمطعم بن عدى بن نوفل .

والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك :

فلم يبق إذن أمام المجتمع العربي القديم الذي استقطب حول قايه جميع أنواع الكراهية للدعوة الإسلامية ، إلا أن يتخذ موقفاً أكثر حدة وأعنف عنجبية تجاه الرسول ﷺ فكانت المواجهة الثالثة « التهديد بالحرب » .

وهنا أحس أبو طالب أن موقنه الصاب قد عزله عن المجتمع الذي يعيش فيه ، بقول بن هشام . فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطلب نفساً باسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه .

لقد إزدوجت عاطفة الرجل نحو قومه أن يعزل بموقنه عنهم أو يعزله هو لموقنه تجاههم .

ونحو ابن أخيه الذي أوصى به خيراً من قبل جده العظيم فأراد أبو طالب أن يخفف من هذه الحدة كأنما بدا لعواطفه أنه أضعف من المجتمع وأن الجاذبية الاجتماعية تحتم عليه الاستجابة لرأي المجتمع ، فقال لابن أخيه : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ... فأبقى على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر إلا أطيع ؟ .

لقد أحس أبو طالب أن ضغط مجتمعه عليه شديد ، وهو رجل في حدوده الاجتماعية غير قادر على مجابهة قومه ، فأراد أن يخفف عن نفسه وعن ابن أخيه وأن يستريح من عناء الضغط الاجتماعي الذي يمارسه قومه نحوه .

وهنا بدا لرسول الله ﷺ أن عمه بدل رأيه فيه وأنه خاذله ومسا به ، وإذن فلا بد من تحديد الموقف من جانب النبي ﷺ كسئول عن الدعوة ،

إذا كان أبو طالب أهتز ضعفاً للجاذبية الاجتماعية التي أثارها مظاهرات القوم وكان من حقه أن يستجيب لأنه ليس بداعية ، فهل كان لمحمد ﷺ

وهو الرسول الداعية أن يستجيب لمظاهرات القوم مثلما إستجاب عمه أبو طالب؟ يعنى هل الداعية أقوى من المجتمع؟ أو العكس هو الصحيح؟ لقد حددها رسول الله ﷺ وأكدها سرمدية . « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

بهذا النص التاريخي ، وبهذا الموقف الصلب في اللحظات الأولى من فجر الدعوة تقرر النظرية الإسلامية أن الداعية يجب أن يكون أقوى من المجتمع.

ولهذا ندد القرآن بفكرة التبعية إلى ثقافة الأجداد التي تتنافى مع أصول الدعوة الإسلامية ومن ذلك قول الله تعالى : ( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا : حسبتنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ) . ( ١٠٤ - المائدة )

( إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا : نعبد أصنامنا فنظل لها عاكفين قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ) ( ٧٠ — ٧٤ الشعراء ) .

إنها صورة تبعية غبية يرفضها الإسلام لأنها تعطل العقل، وتهزأ بالنفطرة، وتسخر بالذكاه ، ثم هي قيود معرقله للحق والخير والجمال .

وإذن فالداعية لابد من أن يكون منطلقاً من كل هذه القيود والتبعيات ، إنه في نظر الإسلام أقوى من المجتمع ، بل أنه يجب أن يكون كذلك فإن رسالته هي قلب المجتمع المنحرف إلى المجتمع الفاضل ، إنها ليست ترقيعاً بعمليات إستصلاح ، ولكنها إستبدال كامل للبيئة من مجتمع منحرف إلى مجتمع فاضل هو أمل الداعية وهدفه ورجاؤه وعملية التغيير هذه تحتاج إلى داعية وتحتاج إلى منهج ، أما المنهج فقد قرره الإسلام الحنيف .

( أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ( النحل ١٢٥ ) .

فليس من منهج الإسلام نشر الدعوة بأسلوب القتل أو السحل أو التجبر،  
وقد قدم الإسلام هذا المنهج الحبي النموذجي في ثلاث عشرة سنة عصر الدعوة  
في مكة .

استمرت الدعوة فيها ، والداعية معها على صبر طويل وخاق رفيع وتمهل  
كبير يجابه ندالة المعتدين المناومين بالحصار الأقتصادي والتعذيب البدني... إنلح  
دون أن يشرع الداعية قانونا واحداً " فاع عن النفس أو للدفاع عن الدعوة  
فأثر الصبر الطويل ليعطى للتاريخ وثيقة يتيمة : أن الإسلام دعوة تقوم على  
إحترام العدل ، وتؤمن بتغيير المجتمع عن طريق إرادته المقتنعة .

ولهذا قال رسول ﷺ لخباب بن الأرت — رضى الله عنه — الذى  
جاءه وهو فى ظل الكعبة يطلب إليه أن يدعو الله عسى أن يجعل لهم مخرجاً  
فقال له النبي ﷺ : « والله ليؤمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من  
صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .  
ولقد كان شوقى أمير الشعراء أصدق حساً وأذكى وجداناً يوم صور  
هذا المنهج فى شعره :

دوايت متئداً وداووا طفرة... وأخف من بعض الدواء الداء

إنها صورة إرتفاع الداعية بدعوته ومنهجه فوق أقطار الضبط الاجتماعى  
الذى جثم على صدر المجتمع المراد تغييره إلى مجتمع فاضل ومن آية ذلك ،  
هذا الدعاء المستفيض من رسول الله ﷺ « اللهم أهد قومي فانهم لا يعلمون »  
وكان قد ماد من ثقيف بعد أن قدموا له كل ألوان الأذى المنزع المبيء .

ذلك لأن قوة الداعية الذى هو أقوى من المجتمع هى قوة التحمل وقوة  
التسامح وقوة الصبر فوق الآلام التى يقدمها المجتمع للداعية .

وإذا كانت قواعد الاسلام من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية قررت أن شخصية الداعية أكبر وأقوى من شخصية المجتمع فإنها كذلك قد حددت شخصية الداعية أنه ليس أى واحد من الناس ولكنه العدل منهم يقول النبي ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

إن الداعية هو قطب الرحى في عملية التغيير الاجتماعى المرغوب فيه ومن أوليات صفة الداعية أن لا يكون متناقضاً بساؤله مع مبادئ الدعوة يقول الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تعلمون الكتاب أفلا تعقلون » . ( ٤٤ البقرة )

وإذا كان الابتلاء يتسلسل الأمثل فالأمثل فان الداعية هو الأمثل في كل عصر ، وهذه الأمثلة تدور حول العدل الذى جعله الرسول ﷺ صفة لحامل هذا العلم من كل خلف .

فليس كل من حفظ القرآن داعية فسوف يؤتى بقوم يوم القيامة فيقرءون القرآن ثم يقال للواحد منهم : خذوه إلى النار . فيقول : يارب كنت أقرأ القرآن فيقال له : قد كنت تقرأه ليقال ، وقد قيل .

وإن أقصى درجات خضوع الداعية للجاذبية في المجتمع هي الصمود والثبات على مبادئ الدعوة كما يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . ( ١٠٥ المائدة )

« قل الله . ثم ذرهم في خووضهم يلعبون » . ( ٩١ الأنعام )

فليصخب المجتمع كله وليرفل الناس جميعاً فى جلايب الشهوات والنزوات وليحلوا ما شاء لهم من المحرمات فان الداعية يحيا لدعوته .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . ( ١٨ - الجاثية )



« فاستقم كما أمرت » .

« قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون » . ( ٥٩ يونس )

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم » . ( ١١٦ و ١١٧ النحل )

ذلك هو مبلغ موقف الداعية عندما اصتخب المجتمع ويرفل فيمالذ له وطاب ، ولقد رسم القرآن للداعية الطريق والمنهج الذي يلزم أن يتبعه في حياته « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . ( ١٥٣ الأنعام )

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ( ١٠٤ آل عمران )

أما الذين انساخوا بسلو كههم عن هذا « البروتوكول » واستحبوا رياضة الدنيا ، وتفكك الشيطان فحلوا ما حرم الله فعليهم أن يتواروا من حياة الدعوة كدعاة ، وفاء لدينهم ، واحتراما لكتابتهم واهلهم اللذين ربطهما التاريخ بالدعوة على مستوى القيادة زهاء عدة قرون ، ثم لهم بعد ذلك أن يسلسكوا طريق حياتهم في أندية الرياضة وملاعب ( الجباز ) والهوكى ومقاهى النرد ، وكازينوهات العشاق ... فذلك أمر عادى لا يلومهم مجتمعتهم عليه .

أما أولئك الذين تجاهلوا: « يأيتها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » ، فاستعرضوا بأولادهم وزجوا بنذات أكبادهم إلى الأندية الرياضية بصورة لا يتصورها فقهاء الاسلام الأول حتى يضعوا لها - ولو فرضا - حكم الشرع فيها ؟

وأولئك الذين يتخذون مقاعدكم على شواطئ، كازيونيهات النيل بين همسات الهاربين من الفضيلة ليذشئوا مقالاتهم عن الاسلام : القرآن أو السنة، أو التشريع لمجرد التفهيق ، والتشدد ، وأذى المخلصين لوجه الله .

وأولئك الذين يمتشقون أسنة الدعوة على الأثير أو في الصحافة .. للجهاء والفخر .

أولئك جميعاً .. ممن يقولون ما لا يفعلون ... وينعاون عكس ما يعلمون، ليسوا دعاة ولا يطلب الاسلام منهم أن يكونوا له دعاة لأنهم ليسوا عدولا يحملون هذا العلم إلى كل خلف كما تقرر ذلك نظرية الاسلام الحنيف .

فليتواروا سريعاً إذا كانوا منفصلين هاقلين ، فوازين التاريخ في المستقبل لا تعرف المجاملة ولا تقبل المعاذير .

أما كيف للدعاة أن يواجهوا المجتمع وقد انحرقت فرقة من زملائهم فقد حدد ذلك القرآن الكريم : ( واعتزلوكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي . عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً ) ( ١٤٨ مريم ) ( وإن كذبوك فقل لي عملي . ولستم عملكم أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا بريء مما تعملون ) . ( ٤١ يونس )

ذلك هو الموقف الطبيعي للداعية اتجاه المجتمع لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً

## مستقبل العمل للدعوة الاسلامية

تعالم الاسلام هي تعاليم التفاؤل والثقة في الله فيما يتعاق بالطمأنينة إلى إلى المستقبل الأفضل : « فان مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » ، « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، ويوم أن يهيا المناخ الطبيعي لهذه التعاليم يوم أن يعيش الإنسانية فوق هذه البطحاء وهي أكمل ما تكون سعادة وأتم ما تكون أمانا وأسمى ما يكون الود والاجتماع .

ولقد عانى المسلمون كثيرا منذ أن خرج الاسلام من أوروبا واقتحمت الدول المنبثقة عن خروج الاسلام من الأندلس موالي الدول الاسلامية في العالم كله تحت ظل ما سمي بالكشوف الجغرافية ثم كانت الثقافات التي خلفها الزحفان :

• الزحف العسكري الصايبي زهاء قرنين من الزمان - ١٠٩٧ - ١٢٩١ م والذي اتمى بمثالية المعارك العسكرية الاسلامية التي خاضها القائد العربي المسلم - صلاح الدين الأيوبي - والقائد المظفر بيبرس .  
• والزحف الفكري المتشابك من الحضارة الأوربية أبان زهور أوروبا بنهضتها وتحلف العالم الإسلامي والبريق الكاذب للحاد الماركسي الذي أعلن شعار المطرقة والسندان .

كانت الثقافات التي خلفها هذان الزحفان تشكل عبئا ثقيلا على الحركة الاسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والذي يرقب حركة الزحف العسكري الأوربي يشعر أن الليل الذي عاشه المجتمع الاسلامي في هذه الحقبة من الزمن كان ليلا غاسقا طويلا لا ينتظر له آخر حتى كانت معركة

حطين التي أذنت بأفول الليل للكئيب الدامس الطويل وجاءت بعدها معارك المظفر بيبرس التي أجهزت نهائيا على للمعسكر الغازي الصليبي عام ١٣٩١ م ويتفاهل المراقبون لهذا الزحف ويتأكدون أن كل ليل شات على الحركة الاسلامية سوف يعقبه صبح أبلج للشمس فيه وهيج ونور وبهاء .

والذين يبحرون مع مراكب الكشوف الجغرافية ويرون أساطيل البرتغال وقد رست في الميناء الاسلامي بملاكا عام ١٥١١ م وأنها ذبحت التجار العرب والمسلمين بينما أبقّت على الجاليات غير الاسلامية الأخرى .

ويشاهد الأسطول الأسباني وهو يحاول في أربع موجات عسكرية احتلال الممالك الاسلامية في جزر القالين منذ عام ١٥٢١ م والذي يقرأ أحداث الشركة الهولندية التي استولت على مقاليد الاقتصاد والسياسة في إندونيسيا عام ١٦٠١ م يقرر أن القرون السحيقة التي غلف فيها الاستعمار بلاد الإسلام بطبقات كثيفة من التخلف والجهل والأمراض أنه لن يصدق أن نهارا ساطعا يتنسم فيه المسلمون في هذه البلاد حريتهم واستقلالهم والسيطرة على مقاليد بلادهم . قد تيزغ له شمس أو يعرف لها نهار ؟

لقد كانت التيارات الفكرية والاجتماعية التي انبثقت عن ألوان الزحف الأوربي الاستعماري على البلاد الاسلامية ليلا م كئيبا ولكن النظرة المتفائلة يمكن أن تحترق سحب القرون المظلمة لتجد بارقة الأمل في مستقبل زاهر إن شاء الله .

ولقد كان من آثار التيارات التي خلفها الاستعمار في البلاد الاسلامية ارتباك منهج الإصلاح .

لقد وجد المسلمون أنفسهم أمام حضارة باهرة ووجدوا أنفسهم في

تخلف فكري واجتماعي وسياسي بالغ الامتهان فمن أين يبدأ الاصلاح ؟  
وكيف يكون منهجه ؟

هنا يفتح التاريخ للعالم الاسلامي العديد من النظريات والوسائل  
والاهداف ...

لقد بدأ السيد أحمد خان ١٨١٧ م بدلهى . إذ كانت الدولة المغولية تتمتع  
بجزء من المجد الاسلامي وكان هو من أسرة تتصل بالأسرة المغولية وقد  
اشتهر بالأناة والحذر مع الأقدام وإصدار الرأي في الوقت المناسب تماما  
ورأى أن مبدأ الاصلاح يتم من التربية ووسيلة ذلك في الأخذ بالتعليم  
الحديث وأخذ بالعقل في تطبيق نظريته فأرسل أبناءه إلى الجامعة الانجليزية  
لأنه كان يرى أن برنامج الإصلاح إنما يتم بالدين المستنير وذلك لا يكون  
إلا عن طريق العلم وعن هذا الطريق يفسر الاسلام تفسيراً يطابق ما وصفت  
إليه المدينة الحديثة وقد جاء على لسانه في مجلة « تهذيب الأخلاق » « لا بد  
أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة الغربية بكاملها حتى لا تعود الأمم  
المتحضرة تزدريهم » .

وكان السبب في هذا المشوار غير الصحيح من وجهة نظر الذاتية  
الإسلامية أن السيد أحمد خان قد تأثر بعدة عوامل :

١ - أنه شاهد انهيار الحكومة الاسلامية المنقولة التي كانت هي الصورة  
الشاحبة للامبراطورية الاسلامية .

٢ - أنه عاصر اخفاق الثورة الكبرى عام ١٨٥٧ م واطاع على أسبابها  
التي أثرت فيه تأثيراً بالغاً .

٣ - أنه رأى أن الشعب الذي كان من قبل صاحب الأمر والنهي لم  
يعد كذلك .

٤ - أنه صادق الانجاز وانخدع بطلاء مدينتهم فأعجب . م .

ومن هنا يحكم عاينه العلامة أبو الحسن الندوى : أنه ليس هو صاحب الخطة المنهجية المنشودة التي تحتاج إليها عودة الروح للعمل الاسلامى .

وتولد من هذا المشوار اتجاه جديد مضاد هو مناهضة الفكرة التي دعا إليها السيد أحمد خان واتخذ هذا اللون من المواجهة أسلوب الأدب والفكاهة ولذلك سرى تيار هذه الفكرة في جميع الأوساط الهندية وردده الأدباء وتلقفوه . مما جعله يعد عاملا من عوامل التأثير في الاتجاهات الاجتماعية الجديدة ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م - ونهضة زعماء العمل الاسلامى بالهند محمد علي ، وشوكت علي ، وأبو الكلام آزاد وقرروا مقاطعة الحكومة الإنجليزية فكان ذلك أفضى سلاح سلمى استخدمته الحركة الإسلامية وانطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسجت البلاد تحمل معها الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية والتنجي عن مظاهر الحضارة المستعمرة والتمسك بالبساطة وأساليب الحياة الخاصة الوطنية .

وكانت قمة الموج العاتق في تحطيم صنم الحضارة الأوربية كأمل وأمنية للمسلمين المفكر الجليل محمد اقبال ١٨٧٧ - ١٩٣٨ م فقد أبرز جوانب الضعف في هذه الحضارة والفساد الذي عجزت فيه والتلوث الذي يصيب به القلب والفرد والمجتمع والضمير والفكر ومن مآثراته :

إن شعار هذه الحضارة هو الغارة على الإنسانية والفتك بافراد النوع البشرى .

إنها حضارة شابة ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر بجنونها ولا غرابة في ذلك فإن كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار .

وانتهت حركة العمل الإسلامى فى هذا الجزء من العالم بمولد دولة باكستان الإسلامية ، ولكنه مولد جاء فى غير وعده فعانى الوليد منذ مولده لعدم وجود المناخ الطبيعى لنمو الدولة الإسلامية الحديثة ولكنها ما زالت تصارع من أجل أن يكون الإسلام هو الحكم الشامل فى كل المجالات (١) ..

\* جمال الدين الأفغانى ١٨٣٩ م - ١٨٩٧ م لقد عاش المعلم الأكبر فى بلاد فارس والأفغان وهى فى حالة ليس بعدها حالة من التنازع والبغضاء وكانت الحكومة البريطانية الهندية تستغل هذا الخلاف فتغرى إحداهما بالأخرى فعرف المعلم الأكبر جمال الدين سياسة التمزيق التى تنشرها الحكومات العدو ضد المسلمين فوضع خطته على أساس التوفيق بين الأمم الإسلامية فنادى بفكرة : الجامعة الإسلامية ، ولقد كان يشق عليه كثيراً أن يرى العالم الإسلامى متجداً على الخلاف مختلفاً على الاتحاد مطاوعاً للاستعمار فعزم على بحسب الخلاف وإيصاد الأبواب على المستعمر والمستغل وأبواق الفتنة . . . وذلك هو مفهوم الجامعة الإسلامية عند جمال الدين الأفغانى ، وكان ذلك فى نظره لا يتأتى إلا باضعاف نفوذ بريطانيا فى الأقطار الإسلامية ، ولهذا السبب نفسه لم تتركه القوى الاستعمارية ليحقق ما يريد .

وانتهى السيد جمال الدين الأفغانى وما تزال فكرته عن الجامعة الإسلامية أملاً لما تمنح الأحوال لتحقيقها بعد .

\* وكان الشيخ محمد عبده - ١٨٤٩م - ١٩٠٥م - الذى يش من التعامل مع السياسة فتوجه إلى الإصلاح عن طريق التربية . وركز على رسالة التعميم فوجه جهوده كلها لرفع الحجر عن العقول وظن أن إجازة الاجتهاد وتفسير

---

(١) وقع انقلاب فى باكستان يوم الثلاثاء ١٨ من رجب سنة ١٣٩٧ هـ ، يوليه سنة ١٩٧٧ م وصرح زعيم الانقلاب الجنرال ضياء الحق أنه يؤيد الحكم بالإسلام .

أمور الدين تفسيراً يتطابق العلم الحديث الأوربي كافية لتحقيق الإصلاح ، وترك الشيخ محمد عبده منهجه وقد أثر بفكره في مجموعة من الثقافة الإسلامية يختلف فيها المقدرين لرسالة الإصلاح ، ولكنه على كل حال لم يرفع الحجر عن العقول بالقدر الذي يجعل هذه الوسيلة بديل الإصلاح الاجتماعي عن طريق العمل السياسي الذي فشل فيه جمال الدين وكان الشيخ محمد عبده يمهته ويحذر منه ، ولكن الشيخ محمد عبده أثر إلى حد كبير في الاتجاهات الثقافية في أنحاء العالم الإسلامي ، فكان انتعاشاً في فترة لم يتوقع فيها للجسد المنلوج أن يتحرك .

« والوهابية النجدية بالحجاز كان لها دور في إيقاظ المجتمع العربي الذي تاه وسط عوامل سياسية واجتماعية عطلته عن رسالته الأولى .

وتتركز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ١٧٠٣م - ١٧٩١م - على عدم الغلو مستدلاً بالحديث الشريف : « إياكم والغلو فأنما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « هلك المنتطعون ، هلك المنتطعون ، هلك المنتطعون » .  
وماخص أهداف الدعوة الوهابية هي صرف الناس عن البدع الضالة والمخرافات والأوهام التي لا أصل لها من الدين .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يظن أن المهم في الإصلاح هو أن ينصرف المسلمون عن الجهل الذي يقعهم في البدع والمخرافات .

ومازالت الوهابية تتجاذبها قوتان بعد يقظة الشرق الإسلامي : قوة الاتباع الذي تعصبوا له ، وقوة السليبين الذين يرونها حركة سياسية انتهى زمانها .

« السنوسية وهي أخوة في الله قام بالدعوة إليها السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي المولود سنة ١٧٨٧م . بالجزائر وهي حركة تجديد المرابطين الذين كانوا من عهد الأندلس ، ولذا فقد كان الشيخ السنوسي خبيراً بأحوال



السياسة ، ولذا فقد ساهمت الحركة السنوسية في مقاومة الاستعمار الايطالى وإليها يرجع الفضل في تحرير ليبيا ومقاومة الايطاليين وما يزال لهذه الطريقة أثرها الطيب في المغرب والسودان وليبيا وإن سلطانها الروحى لينبسط إلى جوف الصحراء الغربية الأقصى ويهدى أبناءها إلى سبيل التعمير والإصلاح مع حسن القوامه .

، المحمدية بأندونيسيا : لم يترك المسلمون الاستعمار الهولندى يمتص خيرات أندونيسيا ويبعث فيها فساداً ، بل جاهد المسلمون في أندونيسيا جهاداً مريراً طوال عدة قرون لأخراج المستعمر من بلاد أندونيسيا فقامت عدة منظمات لهذا الغرض منها :

شركة إسلام التي أسسها الحاج سمنودى عام ١٩٠٥ ، ثم تطورت برياسة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو إلى حزب سيامى تجارى يتخذ التجارة له وسيلة لمقاومة الإستعمار الهولندى .

كما قام الحزب الماشومى الذى يتألف من مجموعة للمنظمات السيامية الإسلامية لمواجهة الحركة الشيوعية والإلحادية بعد الإستقلال ، ولكن سو كبانو ( الشيوعى ) استطاع بالأعبيه أن يفتت هذه الجهة الإسلامية القوية بما عرف عنه من دهاء ولولبية .

فلم يبق في مجال خدمة الدعوة إلا المحمدية التي أسسها كياى مجد دحلان عام ١٩١٢ م وبقيت إلى اليوم تعمل في حقل التربية فليديها ٢٤٩٥ مدرسة ، و ١٠ جامعات ، و ٣ معاهد عليا .

كما تعمل في حقل الخدمة الإجتماعية فليديها ٥ مستشفيات عامة كبيرة ، ٨٦ مستشفى فرعى صغير ، ٢٧١ عيادة للولادة ، ٣٠٩ ملجأ صحى ، ٦ صيدليات ٥ مدارس للتمريرض ، ٩٠ دار للأيتام .

بالاضافة إلى مجموعة المعاهد الإسلامية الكثرية جسداً في أنحاء جزر أندونيسيا والجامعات الاسلامية الحكومية التي تبلغ ٢٥ جامعة إسلامية .

انتهاء دور الرجل الأبيض بنوعيه : لقد انكمش الأسد البريطاني ودخل حديقة الحيوانات في عاصمة بريطانيا يتن من مشكلاته الاقتصادية واضطراباته الدينية في إيرلاندة .

وتقلص ذلك الظل الكئيب الذي سيطر على بحار العالم وأرضه وسمائه وخيراته ردحا طويلا من الزمن وفشلت جميع نظريات الحكم الاستعماري الأوربي وانهت سيادة الرجل الأبيض في أوربا على بلاد الإسلام نهائيا بعد استقلال جيوتى العربية الإسلامية في يونيو عام ١٩٧٧ م وكذلك انتهى دور الدب الأبيض الروسي فقد بان للعيان أن الدعوة إلى العدل الاجتماعي بريق كذاب وسراب ضليل ، فلم يسلم النظام من حيث هو نظرية من النقد والتعديل والاتحاد فيه لقد ألغى الحزب الشيوعي الفرنسي والاطالي مبدأ الصراع بين الطبقات لأن الزمن المعاصر كنفيل يحمل مشكلات العدل الاجتماعي بعيدا عن الصراع الطبقي الذي لم يتحقق به شيء سوى إراقة الدماء والرشا والاعتقالات والخianات وضياع الذمم وتعطيل الأعمال .

كما أن روسيا ذاتها مازالت تعدل في دستورها فحديثا طرد بريجنيف يودجورنى واستولى على رئاسة الدولة والحزب معا ، وهذا مؤشر خطير يدل على عدم استقرار النظام بعد ستين عاما من التطبيق مما جعل الكاتب الروسي « كريك » يتنبأ بانتهاء النظام الروسي عام ١٩٨٤ م في كتابه : ( هل يعيش الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٨٤ ) وبسبب هذا الكتاب دخل السجن ثم طرد إلى هولندا . . .

وصيانة روسيا لحلفائها في العالم العربي واستخدامها سياسة البديل في العلاقات مع رؤساء الدول ونكرانها للمعاهدات ، وتناقها عن النصر في ساعة الأزمات وغدرها بالمواثيق ، جعل نظامها في أعين البصراء بعواقب الأمور غير محترم ولا يستحق التبعية بله النفور والابتعاد عنه .

والموازنة بين بلاد قسمها الشيوعيون إلى قسمين مثل ألمانيا وكوريا جعل من القسم الشيوعى مباءة ظلم وفقر وتخاف ومن القسم المقابل حركة ونشاطاً وإزدهار وحقوق الإنسان المعطلة في روسيا وضياع قيمة الإنسان ومعناه في طيات ذلك النظام جعلت الناس يفكون العصاة السوداء من فوق بصائرهم ليروا سوءة الكذابين في السكرملين ، لاسيما في طائفة العربى وبخاصة ابان حرب العصور المظفرة في ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ حيث ظهرت نوايا الدب الأبيض أنه لا يريد منا إلا الهزيمة لنبنى له راكمين ولا قدر الله .

لقد انتهى دور الرجل الأبيض ؛وعية سياسياً وإجتماعياً وانتهى كذلك دينياً فليس عنده شىء يصح من الاعتقاد يرضى به عقل مستنير ولا فطرة سليمة باقية على نقائها وصفائها .

لقد قال الحاج عمر بونجو رئيس جمهورية الجابون : لقد أسامت وجهى لله والله وحده أعلم بهذا .

إن السؤال الذى أريد أن أطرحه على الجميع هو : من هم البروتستنت ؟ ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم الذى يعنى : المعارضين أو المحتجين ؟

لقد كانوا من السكاثوليك ؟ والسؤال الآن : لماذا يحتجون ؟ وعلام يعترضون ؟ اننى لم أطلب مطلقاً أن أكون مسيحياً ، لقد أصبحت مسيحياً دون إرادتى ، لقد عمدت منذ طفولتى لأن هناك فى أفريقيا بعض الآباء الذين يعددون أطفالهم منذ ولادتهم وكان من الأفضل بالنسبة لهؤلاء الآباء أن ينتظروا حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد حتى يختار كل منهم بارادته الحرة الدين الذى يناسب فطرته .

إننى آسف إذ أقول أن هذا الأسلوب الذى يتبعه بعض الآباء يدفع

أطفالهم فيما بعد إلى الوصول إلى حالة من التمزق تدفعهم إلى الاختيار بين أكثر من طريقة . أما أن يتجه الفرد إلى عبادة الله دون الانتباه إلى أي دين ، وأما أن يلحد ، وأن يكون دينه المتعة واللذة ، وأما أن يغير دينه وينضم إلى الدين الذي يتخذ منه طريقه إلى الله وهذا ما فعلته .

إنني وجدت في الإسلام كل هذه المعاني : الصلة المباشرة بين الإنسان وربه بعيداً عن حدود المسكان ووساطة الكهنوت ، انني كسلم است بحاجة إلى كنيسة أو محراب أو معبد أو جامع لأختلي بنفسى مع الله ، إن الأرض كلها مسجدي ، لقد كنت مسيحياً طيباً ولكننى وصات مع السكاثوليك إلى المرحلة التي كان على أن أقول فيها : اننى آسف ... وداما (١) .

إذن انتهى دور الرجل الأبيض عقدياً وبقيت للإسلام عقيدته الصافية الشاملة ويكفى أن يرى المسلم مستقلاً بعبادته عن الهيكل والصنم والوثن والصوره والدموع وأنه لا مسافة بين الروح والجسد فالعقيدة الإسلامية توحد الإنسان وتجعله كلاً مستقلاً بديناه وآخرته على السواء وروحه وجسده معا ، وحسب المرء أن يرضى مطالبه الروحية ولا يخالف عقائد دينه ولا يجد مع ذلك ما يصطدم مع العقل ولا ما يرته بالضرورة قبل الولادة من الخطيئة ، وحسبه كذلك أن يجد في العالم كله أخوة يرفع الله فيهم الذين آمنوا ، والذين أتوا العلم درجات ، والمسلمون تتكافأ دواؤهم ويسمى بذمتهم أدناهم ، وليس منهم من بات شعبان وجاره جوعان وهو يعلم .

ولقد أحس بهذه العقيدة الصافية التي تتخاطب الفطرة الإنسانية السليمة كثير من المثقفين في أوربا وآسيا ، فأمن مسيو اتين دينيه الفرنسى ، وآمن القسيس أنطونيوس موافر باندونيسيا كما آمن به رئيس جمهورية الجابون

(١) مجلة أكتوبر العدد رقم ٣٦ - يوليو سنة ١٩٧٧ م ص ١٢ .

الحاج عمر بونجو ... وما ذلك إلا بعض من فيض جاذبية هذه العقيدة لو وجد الناس لها الطريق الواضح ، وهذا هو واجب الأمة التي ظهر فيها هذا الدين واختار الله منها خاتم الأنبياء والمرسلين وقد حباها الله من القوى ما يجعلها أمينة على تبليغ هذه الرسالة .

وإذا كانت القوى الإستعمارية والصهيونية قد استطاعت تشويه الحركة الإسلامية بانسقاط الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك الذي تربى في الحقل الماسوني فإن تركيا المعاصرة لم تبأ شأوا في التحضر الغربي الذي شاءه لها الزعيم العلماني أتاتورك ولم تبأ شأوا في قوميتها الخاصة فراحت تعود إلى تاريخها الإسلامي وتصرخ بالعودة إلى رحاب الإسلام الحنيف ولقد صدق ابن ديينيه الفرنسي يوم أن قال : هل مصطفي كمال على حق فيما قام به وأقدم عليه ، وبالأخص في أخذه بالحركة التجديدية إلى ذلك الحد البعيد؟ وهل الأمة التركية والشريعة الإسلامية سينالها من وراء هذه الحركة قوة أو ضعف؟

تلك أسئلة لا شك أن المستقبل وحده الذي يحمل لنا الإجابة عليها ، والعلم عند الله «فوق كل ذي علم عليم»

ولقد شهد التاريخ بصدق أن الأمة التركية قد أصابها الخواء بسبب ذلك الإصلاح الاتاتوركي .

ولاشك أن فشل هذه المناهج كلها :

\* منهج أوربا الاستعماري القديم في بلاد الشرق العربي .

وبلاد الاسلام في جنوب شرق آسيا ، وفي أفريقيا .

\* ومنهج الدب الأبيض الروسي الخائن الغادر القائم على امتصاص دماء الشعوب دون احترام للانسان . طلاقاً .

• ومنهج العلمانية التي نابت بها حياة الشوب التركي المسلم .

لا شك أن فشل هذه المناهج مع انعدام عقيدة أخرى تستطيع أن تقوى على مواجهة العقيدة الإسلامية يجعل أمة العرب قادرة على أن ترفع امكانياتها من أجل نشر لواء الإسلام الحنيف .

وامكانياتنا العربية استراتيجية في البحر الأبيض والبحر الأحمر تستطيع أن تلعب دوراً أساسياً في العمل للإسلام لاسيما إذا أضيف إليها امكانيات العالم الإسلامي من سبانيج بانديونيسيا إلى الخابيج العربي الفارسي وهوانيه ومضايقه حتى باب المندب إذ أن التطويق للموانئ الإسلامية كان هو الهدف الأساسي لحركة الكشوف الجغرافية قديماً وقد استغلت تلك الاستراتيجية حديثاً في العمل لخدمة الإسلام ، ولعل أبسط وسيلة لتحقيق هذه الرغبة هو أن يجتمع الرأي في مجلس التضامن الإسلامي الذي يعقده وزراء خارجية الدول الإسلامية على رسم خطة لاستخدام هذه الاستراتيجية لخدمة الإسلام بحسب المناسبات والأحوال السياسية التي يمكن ترقبها لتحقيق هذا الغرض . وامكانيات العرب اقتصادياً كثيرة .

• فالجزائر غنية بالمعادن لاسيما الغاز الطبيعي الذي يشكل ١٠٪ من احتياطي العالم وبها مناجم للفوسفات والرصاص والنحاس والزنك ، والحديد .

• ودولة الإمارات العربية غنية بمصادر الثروة النفطية فتصدر منه يومياً أكثر من مليوني برميل من النفط الخام .

وتوجد في أبي ظبي منطقة خصبة لزراعة الخضروات والفواكه .

• دولة البحرين وهي ميناء مهم لبناء السفن وصيد الأسماك ، كما يوجد بها الغاز الطبيعي ، وتقوم فيها صناعة الألومنيوم .

• ودولة مصر العربية وهي دولة زراعية تصدر القطن والأرز والصل

وبها مناجم للنحاس ، والحديد والنفط وبها صناعات الأسمدة والفوسفات  
والألومنيوم ...

وبها قناة السويس أهم القنوات الموصلة بين القارات الثلاث : أوروبا ،  
وآسيا ، وإفريقيا .

\* الأردن : تشكل الزراعة بها ٢٠ ٪ من الدخل القومي وبها مناجم  
للقوشتات وتقوم فيها صناعات للبروليات ، والأسمت والجلد والحديد ، والورق .  
ومن محاصيلها الزراعية : الخضروات ، والعنب ، والزيتون ،  
والتمواكه الأخرى .

\* دولة الكويت : ويقوم اقتصادها على النفط فقد بلغ احتياطي النفط  
في نهاية ديسمبر سنة ١٩٦٨ م ما مقداره ١٠٤ مليون طن وبها صناعات الأسمت  
والسكر ، والغاز ... والأسمدة الكيماوية .

\* ليبيا : ويبلغ الانتاج السنوي للنفط الخام بها ألف مليون برميل وبها  
مناجم للملح ويبلغ إنتاجه سنوياً ١٦ ألف طن .

وبالإضافة إلى صناعات الغزل وزيت الزيتون والأسمت والجلود والورق  
والسجاد وصيد الأسماك .

\* موريتانيا : الثروة الحيوانية هي حجر الأساس ، وأهم محاصيلها الزراعية  
الدخان والأرز .

ويبلغ إنتاجها من الحديد سنوياً ستين مليون طن .

كما تصدر النحاس ، والصمغ العربي والفوسفات ، والجص والملح .

\* المملكة المغربية : وبها من المعادن : الفوسفات والنيجم والنفط الخام  
والحديد ، والزنك والمينيز ، والنضة ، الكوبات وهي غنية بالأسماك  
وتملك أستطولا ضخماً لصيد الأسماك يضم ٣٤٠٠ سفينة .

٥ عمان : بها محاصيل زراعية مثل : الليمون ، والمانجو ، والموز والخنطة والبصل .

كما يوجد بها نفط يصدر إلى ماليزيا وأوروبا وأمريكا .

٥ قطر : يمثل البترول فيها ثلاثة أرباع الدخل القومي وقد بلغ دخل قطر من النفط الخام ٣٥٠ مليون دولار سنويا .

ويوجد بها الغاز الطبيعي ونقوم بها عدة صناعات للاسمنت والأسمدة الكيماوية ، وبها بعض المحاصيل الزراعية المحلية مثل الخضروات والحبوب .

٥ السعودية : وهي أغنى أقطار العالم الإسلامي بالنفط إذ بلغ دخل النفط الخام في سنة ١٩٧٣ - ١٩٧٤ بليون دولار وبها مشروعات للزراعة ، والصوف والاسمنت والحديد والجلود والنحاس ، والرخام .

وتستطيع السعودية أن تاهب دورا هاما في العمل الإسلامي ليس فقط في نشاط رابطة العالم الإسلامي المشكور ، ولا في الجاهات الكثيرة بل في وقاية استعمال أموالها ضد الحركة الإسلامية فهناك مجموعة من المهندسين غير المساندين يحصلون على أجور باهظة جدا من العمل في الرياض ثم يستغل هذا المال ضد الدعوة الإسلامية ونشر مبادئ الأديان الأخرى .

وإذا كانت هذه امكانيات العالم العربي فان امكانيات الوطن الإسلامي لاتقل عن ذلك ، فاذا أضيف امكانيات بلاد العالم الإسلامي في جنوب شرق آسيا إلى امكانيات العالم العربي ونظم ذلك في سوق إسلامية مشتركة ، أمكن أن نضمن للعمل الإسلامي حركة طبيعية وقدرة ذاتية على التمدد دون مضاعفات أو تخاضل .

وتدل الاحصائيات على أن امكانيات بقية أقطار العالم الإسلامي كما يلي :

٥ أفغانستان : تعتمد على الزراعة وتربية الماشية في اقتصادها القومي



ويوجد بها مصادر غنية للمعادن ، كما توجد بها مصانع لغزل القطن والصوف ، والمنسوجات والجلود ، والرخام والزجاج والأثاث والبيوت الجاهزة .

• أندونيسيا : ويتوفر فيها : المطاط ، والشاي والبن ، وجوز الهند والتبغ والفلفل وبها بترول وصل في عام ١٩٧١ إلى ٣٢٦ مليون برميل ويوجد بها الخشب .

وبها معادن النيكل ، والفضة والحديد ، بركسايث كما يوجد بها صناعات السكر والأسمدة الكيماوية والورق واطارات السيارات والأدوات الكهربائية . والبطاريات .

• ماليزيا غنية بالمطاط والقصدير وجوز الهند ، والشاي والتبغ ، وبها ثروة حيوانية تبلغ ٥٧٦ ألف رأس من الأغنام والأبقار .  
وبها صناعات الخشب ، والحديد والاسمنت ، والفواكه المعلبة .

• إيران : بلغ إنتاجها من البترول عام ١٩٧١ حوالي ١٦٥٧ مليون برميل بما يعادل ٩ ٪ من إنتاج العالم .

ويوجد بها ١٠ ٪ من احتياطي الغاز في العالم ، وبها مناجم للحديد والفحم والنتحاس .

وهي غنية بالزراعة .

وإذا نظرنا إلى مجموع الصادر والوارد للدول الإسلامية والعربية أمكننا أن نلاحظ مسألتين .

الأولى : أن البلاد العربية والإسلامية تشكل وحدة اقتصادية متكاملة يمكن أن تستغنى عن بقية العالم الصناعي الآخر في أكثر الدول أما فائض عن حاجتها أو ما يكفيها فإذا احتاجت بعض البلاد إلى تنمية في بعض

المجالات فان البلاد الآخري يمكن أن تمدها بالفائض على شكل استثمارات إسلامية شريطة أن يضمن العاملون في الحقل السياسي أن يكون ذلك التنسيق من أجل بناء الذاتية الإسلامية لمجموع الدول .

الثانية : أن أكثر الصادرات من المعادن الأساسية للدول الأوربية والدول الصناعية الأخرى مصدرها البلاد العربية والإسلامية فان الله تعالى قد منح الأمم الإسلامية احتياطا من البترول الخام يمثل ٦٣٪ من احتياطي العالم و انتاج البترول في البلاد الإسلامية يمثل ٤٨٪ من انتاج العالم .

ومعنى هذا أن الدول الإسلامية والعربية تستطيع أن تلعب دورا هاما بما عندها من هذه الضروريات للعمل الاقتصادي والصناعي في هذه الدول وتستطيع أن تستخدم الدعوة الإسلامية من خلالها قوتها الاقتصادية فالعصر الحديث لغته لغة اقتصاد فعندها عبر الجيش المصرى قناة السويس وأعان الملك فيصل حرب البترول قامت دراسات في انجلترا واليابان للغة العربية بقصد التقرب من الدول التي تملك عصب الصناعات في بلادهم وقد تطور هذا الاتجاه حتى افتتح في بريطانيا قريبا مركزا عربيا بريطانيا مهمته زيادة التفاهم بين العرب والانجليز ، وصارت المحلات التجارية تكتب اعلاناتها باللغة العربية .

فلو أن الأمة العربية خطت هذه الخطوة وهي قادرة وجديره بذلك  
لأمكن الحصول على :

- ١ - اقتصاد متكامل متناسق .
- ٢ - استثمارات مأمونة العواقب في البلدان الإسلامية .
- ٣ - رفع التخلف الصناعي من بلدان الأمة الإسلامية .
- ٤ - ضمان سير العمل الإسلامي في الدعوة بعد خيبة مناهج الدب الأبيض والاستعمار الاقتصادي والفكر والحديث .

فاذا أضيف إلى استخدام هذه القوى الاقتصادية تنسيق بين العاملين في الحقل الإسلامى فيتأسس مجلس أعلى للتنسيق للعمل الإسلامى تكون مهمته :

١ - حصر حاجات الدعوة وتبويب أولوياتها .

٢ - تنويع وظائف الدول العاملة في حقل الدعوة .

٣ - تمويل صندوق الدعوة .

٤ - الاشراف على مؤسسات العمل الاسلامى في البلاد الاسلامية بحيث يتم بذلك الاشراف حسن سير عمل الدعاة ومدعم بما يلزمهم من الامكانيات

فاننا نثق في مستقبل مشرق للدعوة إلى الله على بصيرة تؤتى فيها الحكمة ثمارها الطيبة وتبأغ الموعظة الحسنة فيها المشاعر الكريمة ، ويقع عندئذ الجدل هادئاً هادفاً ويومها :

« فمن شاء فليؤمن : ومن شاء فليكفر » .

فقد تبين الرشد من الغى والله الهادى إلى سواء السبيل .

## أبو الأعلى المودودي

### ومكانته في الدعوة الإسلامية

منيت الدعوة الإسلامية في القارة الهندية بعدة بلايا شاقة من أولها :

\* إن الملوك الذين استقر بهم المقام في بعض مقاطعات القارة الهندية استراحوا لما وصلوا إليه من عز وجاه فوجهوا الحكم إلى صالحهم وخدمهم وتركوا نشر الإسلام وسط القارة المسيحية .

\* وأن العلماء الذين اشتغلوا بنشر الدعوة قد تركوا تعليم القرآن الكريم وتحفيظه ، وتدريس السنة وحفظ الحديث ، واشتغلوا بعلم الكلام وفلسفة اليونان ، وارتبكوا في الخلافات والخلافيات التي ازدحمت بها كتب المتأخرين من بعد السلف الصالح الرضى الذي انطلق بنشر الدعوة بالقرآن وبالحديث وبالسلوك القويم والقُدوة الحسنة .

\* ومن البلايا الشاقة ثانياً انحراف الملوك الإسلاميين إلى درجة تعطيل المبادئ الإسلامية إرضاء للوثنيين ، وإرضاء لشهوتهم ومحاوله خلق دين جديد يواجه الإسلام ذاته، وقد كانت هذه الحقبة المظلمة في عهد الملك (أكبر) من ٩٦٢ هـ إلى ١٠١٤ هـ .

\* هذه الأحوال جعلت سير الدعوة الإسلامية مضطرباً مقلقاً وعلى سنة الله دائماً في الحفاظ على دينه فقد هياً جل جلاله الثقات من العلماء للدفاع عنه وكان في مقدمة هذه الحركة ( الشيخ أحمد بن عبد الأحمـد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد الألف الثانى للهجرة وأخذ الشيخ طريق الجهاد وكان له أثره

المحمود في ابطال القوانين المعارضة للشريعة الاسلامية ، وعودة الملك إلى  
حظيرة السلوك الإسلامى .

هـ ثم خلفه من بعده الشيخ عبد الحق الدهلوى ٩٥٨ - ١٠٥٢ هـ ولطف الله  
وقدر وهياً الملك زيب ١٠٦٨ - ١١١٨ هـ إلى أن يأخذ بيد الدعوة إلى  
الامام فسار شوطاً طويلاً فخارب كل ما فعله جده الملك « أكبر » ولهذا فان  
المستشرقين عندما يكتبون عن الدعوة في الهند يمتدحون الملك « أكبر  
الضلالى » الضليل الزنديق ويعرضون بالملك زيب حفيده لأنه أنهى كل  
خرافة ضالة ابتدعها جده الماجن :

« لقد ألقى الملك زيب المسلم العادل ما فعله جده في البلاط الملكى من  
التقويم الإلهى ، والرقص والاحتفال بالسنة الشمسية ، ووزن الأجساد  
بالذهب للأسرة المالكة .. الخ ، ومنع القمار والبغاء وحرم التنجيم  
والخمر و .. الخ .

هـ لكن بعد وفاته ضعفت الحالة الدينية وتذبذبت الأمور وحاول  
الهنداكة السيطرة على بلاد المسلمين فقيض الله الامام ولى الله الدهلوى  
١١١٤ - ١١٧٦ هـ الذى حمل لواء الاصلاح ووقفه الله لوضع تصور كامل  
لليئة الهندية عن الإسلام بعد اللجاج الذى أصيبت به الدعوة الاسلامية  
من جراء ما حدث من خرافات وخزعبلات . أدخلها المعجبون بالتصوف  
البرهمانى وبدع الملوك فتوجه الدهلوى إلى تربية قيادة فكرية تفهم الاسلام  
أولا وتطبيقه ثانياً ، ثم تدعو إليه ثالثاً وكان من آثاره :

( أ ) أن منبع الشريعة فى علم الحديث والفقہ لا فى علم الكلام .

(ب) أن القرآن السكريم هو الأصل الذى يعتمد عليه فى فهم الاسلام  
ولذا فقد وضع لهم ترجمة تقرب لهم إدراك المعانى عند تلاوته  
بألفاظه العربية .

(ج) جدد لهم أسلوب النقب الخنفي بما وضعه من كتاب : حجة الله البالغة ، وكتاب الانصاف في بيان سبب الاختلاف .. إلخ .

(د) بذل أقصى الجهد في تهميم علوم السنة في الهند .

(هـ) تخريج جيل من العلماء الأفاضل مثل الشاه عبد العزيز ورفيع الدين ، والشاه عبد القادر والشاه محمد أسحق ، وحفيده اسماعيل .

وقد استمرت مدرسة الدهلوي تؤدي رسالتها عن طريق حفيديه السيد أحمد ولد عرفان بن ولي الله الدهلوي .

والسيد اسماعيل عبد الغني ابن ولي الله الدهلوي .

لقد قام السيد أحمد بالدعوة داخل الهند للعودة إلى كنف الشريعة واجتثاث البدع والمنكرات ، والانسلاخ من عادات الوثنية ومراسم الشرك والجاهلية وكان ذلك خلال الفترة من ١٢٣١/١٢٣٦ هـ . ثم توجه إلى مقاومة السيك تلك الطائفة التي انحرفت عن طريق التصوف المسالم إلى الوحشية الكاسرة فقتلوا أطفال المسلمين وشيوخهم وأغلقوا المساجد في إقليم البنجاب فدعا الشيخ أحمد إلى الجهاد المقدس ودارت معركة حامية في جمادى الآخرة ١٢٤٢ هـ الموافق يناير ١٨٢٧ م ، واستمرت هذه الحرب زهاء أربع سنوات استولوا فيها على مدينة بيشاور وأقاموا فيها حدود الشريعة الاسلامية ، ثم فعلت الفتنة أفاعيلها ولعبت الخيانة دوراً انقلاب ظهر المحن وانشأ شهد الإهوان ، الجميلان : السيد أحمد بن عرفان ، والسيد اسماعيل بن عبد الغني وذلك في يوم الجمعة ٢٤ من ذي القعدة ١٢٤٦ هـ .

ولم تكن الثورة على الإنجليز عام ١٨٥٧ م إلا نكبة على الأهالي ولاسيما المسلمون لأنهم طليعة الثوار ضد الاستعمار في كل مكان فتحولت سياسة الإنجليز إلى ملاحقة الحركة الإسلامية فوضعوا الفتنة بين المسلمين باشاعة إدعاءات كاذبة وفرضوا نظاماً من التعليم يختلف مع مبادئ الاسلام فوقع

المسلمون بين مخالف الاستعمار الإنجليزي من ناحية والجبروت الهندوكي والسيخ أو السيك من ناحية أخرى .

وفي الأفق البعيد وفي ظلال التثقيف الإستعماري وضعف المسلمين وقلة حيلتهم ظهر السيد أحمد خان وكانت مهمته ترقية الثقوب والتقريب بين الحكومة والمسلمين وركز في أسلوبه على التربية والتعليم غير أنه أخطأ في تعصبه للحضارة الغربية ومحاولته تفسير الإسلام وقضاياها على نحو يرضي عنه أصحاب العلوم الحديثة في أوروبا بينما كانت هذه العلوم في دور النشور والارتقاء . ولذا فقد أصاب هذه الحركة ضعف .

وضعف حركة السيد أحمد خان يرجع إلى إفتنائها بأوروبا فلم يستطع أن يملأ الفراغ الهائل في قيادة الدعوة الإسلامية . ولكن كان له ثمار على كل حال .

ومن ثمار جهاده كلية عليكرة التي تأسست عام ١٢٩٣ هـ ، وصارت الآن جامعة مشهورة في الهند .

هـ وفي المواجهة حيث لم يقبل العلماء أسلوب أحمد خان فقد قامت مدارس إسلامية ترفض الحضارة الأوربية ولا تثق فيها وفي مقدمة هذه الحركة حركة السيد أكبر حسين ذلك العابد الورع ٢٢٦٢ . ١٣٤٠ هـ ، وكذلك كان في المواجهه تأسيس مدارس « ديونيد » التي حافظت على التعليم الإسلامي بصورته الأثرية القديمة فحدث بين الفكرتين الإسلاميتين في النزعة جدل وخصام وافتراق فأثر ذلك في حياة الدعوة الإسلامية من جديد . . فكان لابد لها من قائد وخطه وتفكير جديد فتكونت ندوة العلماء لمحاولة التخلص من الصراع بين التعصب للحضارة الأوربية المحضمة ، والتعصب للاسلوب الأثرى في التعليم الإسلامي ، فأخذت بكلا النظامين ورفعت ندوة العلماء

راية الوثام بين الطوائف الإسلامية ودعت إلى الاستمساك بتوجيه الله  
 ورسالة خاتم الأنبياء ومضاعفة الجهود لاصلاح ذات بين المسلمين ، وأستمرت  
 الحال هكذا إلى العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجرى ذلك القرن الذى  
 شهد انفجارات عديدة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى وبخاصة فى شمال أفريقيا  
 الإسلامى فقامت فى الهند عدة مظاهرات إسلامية تساند الأخوة المسلمين فى  
 العالم العربى ولكن بعد الحرب العالمية الأولى تجزأت البلاد الإسلامية ونقضت  
 بريطانيا عهدوها فقامت فى الهند حركة إسلامية عنيفة قادها المفكر الإسلامى  
 محمد اقبال ومايخص الحركة : الاعتزاز بالإسلام ديننا ، والاستمساك بالتراث  
 الإسلامى حضارة ومقاومة القاديانية الضالة وكان مع هذا الرائد المخلص رواد  
 آخرون منهم مولانا محمد على .. وظلت الحركة الإسلامية السياسية تعمل  
 لمساندة مسلمى طرابلس الغرب ومواساة منكوبى البلقان ومؤازرة بقاء  
 الخلافة الإسلامية ولكن بالغاء الخلافة الإسلامية تبدلت الأحوال وصارت  
 الأحوال تهدد الحياة الإسلامية فتحول ملك الأفغان إلى مراقص أوروبا ، كما  
 تحول أتا تورك كذلك إلى باراتها وقبعاتها وظهر فى الهند نغم منكرى  
 الحديث الشريف .. فأدى ذلك إلى استعمار الحركة حتى ظهرت دعوة إسلامية  
 خالصة عام ١٣٥٢ هـ ١٩٢٣ م قام بها رجل مؤمن عالم بكتاب الله وسنة رسوله  
<sup>صلى الله عليه وسلم</sup> مطامع على ملاسبات عصره عارف بنزعات قومه بصير بأساليب عمل  
 الدعوة ذلكم هو الامام العارف بالله الزاهد المجاهد النبى الطاهر النبى مولانا  
 أبو الأعلى المودودى رحمه الله رحمة واسعة وقد أخذت دعوته هذه عدة  
 مراحل :

المرحلة الأولى : ١٣٥٢ هـ ١٣٦٠ هـ — ١٩٣٣ م / ١٩٤١ م .  
 توضيح الحقيقة الإسلامية .

فى هذه المرحلة عنى الأستاذ الامام أبو الأعلى المودودى بتكوين الفكرة  
 الصادقة السليمة للإسلام ونظمه ، واهتم فى السنى الأولى من بدء مهمته



بتنقية الفكرة الاسلامية من شوائب الآراء الزائفة والزعات الجائحة ، وكشف عن مواطن الضعف وسوء القصد في التصورات المتحرفة التي تدعى نسبتها إلى الفكرة الاسلامية .

وفي هذه الفترة انقطع فيها للتجصيل والمطالعة والكتابة وتابر الليل والنهار على اعتكافه وهو يجهد نفسه للقيام بحركة شاملة لإحياء الروح الاسلامية في أرض وطنه ، وأسس لهذا الغرض مجلة « ترجمان القرآن » وفي هذه المجلة كشف للمسلمين الدور الخطير الذي يقوم به حزب المؤتمر الوطني الهندي للقضاء على الاسلام والمسلمين . واستمر عرضه للموضوع زهاء ثلاثة أعوام استعرض فيها .

( أ ) نارايخ المسلمين في القارة الهندية ، وبين مواطن الضعف فيما ساف من العمر والسياسة التي ادت إلى الانحطاط ثم حمل في نهاية هذا الشوط على لادينية حزب المؤتمر الوطني الهندي .

(ب) فضيحة القومية الهندية والجمهورية اللادينية وخطورتها على الحركة الاسلامية وعلى وجود المسلمين في القارة الهندية ، وأن المسلمين إذا وافقوا على هذا سيكونون كمن حكم على نفسه بالاعدام ، وأبان عن دور الاستعمار الانجليزي في هذا المخطط .. وبهذا اتضح شخصية الرابطة الاسلامية لمسلمي الهند وارتفع شأنها واشتد ساعدها .

(ج) أدان الفهم العنصري في الرابطة الاسلامية لأنه كان يعلم أن أصحاب هذا الصوت يخفون وراء الاسلام ليبروا مخططاتهم العلماني الغربي فتمرح للامة المسلمة في الهند في سبيل من مقالاته أن نعمة القومية الاقليمية منهمج غربي وأن المستترين وراء الاسلام يفضحهم التبرج الذي يرى في مجالسهم والإباحية التي تنتشى في صنوفهم ، أما الدولة الإسلامية التي يراد بناؤها

فليس سببها الدعوة إلى العنصرية لأن الإسلام لا يعرف مثل هذا المبدأ أو مثل هذه الروح .

ولأن قيام دولة عنصرية سوف تقضى عليه الهندوكية التي تناصف المسلمين في عدد السكان في الأقاليم المزمع جعلها دولة إسلامية عنصرية ومنذ نشأتها سوف تتلاطمها أمواج الفتن ويعود المسلمون إلى المسكمة والضعف والغربة داخل دولة تحمل اسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شيء .

ولهذا الدور أهمية في إبراز فكرة الإمام الشيخ أبو الأعلى المودودي في دعوته العامة إلى التحرر من قيود القومية ، والعنصرية فإن الإسلام لم ينتشر بقوم ولا بأهل وطن وإنما نشر بالعلم والتقوى والقدرة الصالحة والعلم النافع والبراهين الساطعة والحجج القوية ، ووضحت فكرة المودودي : أن المسلمين ليسوا أمة فحسب مثل سائر الأمم مثل ألمانيا ، وإنجلترا ، والهنود ، بل هم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله فهم بهذا لهم صلة بالله ورسوله وبالقرآن ، لا بالقومية ولا بالوطنية ولا بالعربية والاقليمية لأن العدل لا يعرف نزعة معينة ولا أرضاً معينة ولا نسباً معيناً وإنما العدل الذي ينشده الإسلام يعرف المصدر الأعلى والوحي المعصوم ، والنبوة الخاتمة .

واتمى دوو هذا البنيان للفكرة الإسلامية التي قام بالدعوة إليها الإمام الراحل المودودي في عام ١٩٣٩ م .

\* وكان الشيخ أبو الأعلى المودودي يهدف إلى استمرار كنفاح المسلمين في الهند كلها دون فصل جزء منها لبناء دولة مستقلة . . وقد بينت الأحداث صدق رأيه . . ولكن المغالين في فهم القوميات وصفوا الإسلام بأنه قومية في مواجهة الهندية واتخذوا من باكستان مقراً للقومية الإسلامية وكان ذلك

شعورا فياضا في نفوس الأغلبية الساحقة للمسلمين . . فوجد المودودي نفسه أمام أمرين كلاهما أمر من الآخر :

الأول : إذا خسر المسلمون دعاة القومية ولم يحصلوا على دولة إسلامية مستقلة فقد خسرت الأمة الإسلامية كلها وضاع الكفاح هباء وتعددت الأمور واندحرت الأمة الإسلامية لأنها ستكون قومية منهزمة أمام قومية متتمرة ؟ .

الثاني : إذا نجح المسلمون في إقامة دولة وانقسمت البلاد فإذا بقي لنا من وسع وأسلوب لنشر تعاليم الإسلام وسط القارة الهندية والتي سوف تتميز فيها القوميتان : كل قومية في دولة فلما سبيلنا إلى نشر الإسلام داخل دولة الهند ؟

بل إذا تأسست باكستان كدولة إسلامية تحت زعامة ذلك الصنف العلماني فما هو السبيل يومئذ لتحويلها إلى دولة إسلامية حقيقية ؟

ومن هنا برزت فكرة الجماعة الإسلامية وفي شهر شعبان ١٣٦٠هـ أغسطس ١٩٤١م اجتمع خمسة وسبعون رجلا من مختلف أنحاء الأمة وانفقت كلهم على تأسيس الجماعة الإسلامية للنهوض بدعوة الإسلام واعلاء كلمة الله في أرضه ، وانتخب السيد الإمام أبو الأعلى المودودي أميرا لهذه الجماعة .

المرحلة الثانية : ١٣٦٠هـ / ١٣٦٦هـ - ١٩٤١م / ١٩٤٧م

### بناء الجماعة الإسلامية :

يعتبر قيام الجماعة الإسلامية أول طريق المرحلة الثانية من كفاح الشيخ المودودي فقد شرعت الجماعة في أداء مهمتها نحو تربية جيل من الشبان والأساتذة في الجامعات تتعلق بمجاسن الإسلام وامتيازاته بأسلوب عصري يتلاءم مع الذوق العام لهذه الطائفة من الناس كما عيّنت الجماعة بتربية أعضائها

الذين ينضمون اليها وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة الناضجة ، والسجيا  
الكريمة والطباع النبيلة ، وكان الاتباع لهذه الجماعة ينقسمون إلى قسمين :

– عضو ركن : وهو من يقبل تعاليم الجماعة نظريا وعمليا .

– عضو متفق أو أنصار وهو من يقبل تعاليم الجماعة ويساعدها نظريا  
ولا يطبقها عمليا .

وفد اتخذت الجماعة لهذه الزبية أماكن خاصة سمحت لهم بحرية النقد من  
أجل البناء الوجداني للرد المسلم وعودتهم على تطبيق النظام الإسلامي من  
الآداب الناضجة والأخلاق الحميدة ، وعلمتهم أسلوب تبليغ الدعوة .

فكان على كل عضو :

( أ ) أن يعرض تفاصيل الدعوة إلى الله على كل من يلوذ به من المسلمين  
وغير المسلمين .

( ب ) وان يواظب على نشر تعاليم الإسلام بواسطة الدراسة والمطالعة  
والإخلاق وحسن المنطق وتحمل الأذى ودعوة الناس كافة إلى خيرها  
والرشاد إليها ..

( ج ) أن يتحلى كل عضو بصفات المسلم الصادق ويروض نفسه على  
الاستمساك بها في المنشط والمكروه .

( د ) المحافظة على نظام الجماعة وانراكَ أنها قامت من أجل أحياء الدين  
نظاما كاملا شاملا .

المرحلة الثالثة : ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م

في لحظة بناء الجماعة الإسلامية لجيل من الشباب الإسلامي فوجئت بالحدث

الخطير وهو فصل باكستان واعلان أنها ذولة للمسلمين وسوف يكون المسلمون آنذاك في العالم كله قد هالوا وكبروا لهذا الحدث ولكن الآلام التي صاحبته وقتل آلاف المسلمين وسوقهم سوقا إلى الدمار ليخرجوا من الهند لا إلى باكستان بل إلى الموت والتشرد والجوع كانت صورة رهيبية قابلها زعماء تلك السياسة بالبرود الانجائزي الذي مهد لكل هذه الأحداث ليخرج الإسلام من القارة الهندية ، وليسام المسلمون الخسف في ذولة باكستان تحت زعامة علمانية لآتقل في كراهيتها للإسلام عن زعماء الهندوكية والاستعمار أنفسهم . وهذا هو الذي حذر منه الإمام الراحل أبو الأعلى المودودي في المرحلة الأولى من كفاحه وهو يوضح للمسلمين الحقيقة الإسلامية .

فوجئت الجماعة الإسلامية بهذا الحدث وهي بعد لما تستكمل برامج تربيتها . وكانت تمنى أن لو تأخر هذا الحدث بضع سنوات ، لتستطيع الجماعة مواجهته وتمويل الزعامة في الدولة الجديدة إلى حقيقة الإسلام

فوجئت الجماعة الإسلامية بهذا الحدث الذي فصلها إلى شطرين بعد قيام دولة باكستان فلم تعد الجماعة واحدة لسكل القارة الهندية بل صار شطرها في الهند لمن بقي من المستضعفين من مسلمي الهند ، وشطرها الآخر في باكستان يواجه جحافل الظلم وعقاييل المشكلات .

وكان امتحاناً قاسياً للجماعة الإسلامية في كلا الشطرين :

ه أما في هندوستان فقد نظمت الجماعة نفسها بسرعة وأسسوا مركزهم في مدينة (رامبور) وانتخبوا الأستاذ أبا الليث الندوي أميراً لهم ، وقدموا خدمات للمنكوبين من الأمة الإسلامية حتى أرهقوا مالياً وصحياً ، وحتى أن تاريخ الجماعة الحديث يشهد لأمير الجماعة أبي الليث الندوي وأصحابه أنهم كانوا السلوى الوحيدة للشعب المسلم في الهند المضطهد من بني جنسه

وجيش الاستعمار على السواء .. وكان عدد الجماعة الإسلامية في الهند آنذاك ٢٤٠ شخصاً رجلاً وامرأة .

وأما الجماعة في باكستان فقد شمردت عن سواعد الجد وأعلنت الكفاح وعممت الدعوة إلى الأمة كلها ودعت إلى أحياء النظام الإسلامي وإقامة الدين بالكامل ووضحت للأمة عدة أمور :

الأول : أن المجتمع الباكستاني على قدر ما به من شوق لإحياء النظام الإسلامي فإن زعماء هذه الحركة لم يعرفوا عن حقيقة الإسلام شيئاً لأن زعماء الحركة انشغلوا في المناوشات السياسية مع الهنادك لفصل باكستان ولم يشغلوا أنفسهم بمعرفة حقيقة النظام الإسلامي ، وكذلك أبناء الشعب نفسه انشغلوا بالجياة والعمل السياسي ولم يفتنوا إلى معنى إقامة دولة إسلامية .

الثاني : إن سلوك قادة الدولة الجديدة لا يتفق مع الإسلام لأنهم أوريون في النزعة والأخلاق والسلوك .

الثالث : إن تصرفات القادة مع اللاجئين المسلمين كانت خارجة على المشاعر الكريمة فقد فشت فيهم الرشوة لحظة الجفاء والقسوة التي كان يعيشها المهاجرون وفي مواجهة البنادق والسيوف المصلتة عليهم من قبل الهنادك والسيك .

الرابع : أن نهب الأموال وهتك الأعراض من ساعة الهجرة من الهند إلى باكستان قد خلف شعباً فقيراً معدماً بائساً حزيناً .

أخذت الجماعة تعمل على معالجة كل هذه الأمور ، وتخفف من ويلات العوز والفاقة وتبصر الناس بعواقب الأمور ، وراحت تجوب البلاد في باكستان شرقاً وغرباً تحمل دعوة الله إلى الناس وتبصرهم بشئون دينهم ودينام عن طريق النشر والمحاضرة والدرس والندوة والزيارة وكان ذلك في

عام ١٩٤٨ م وكان عدد أعضاء الجماعة ٣٣٥ شخصاً ثم نشرت الجماعة بيانها الذي طالبت فيه الحكومة باقامة النظام الإسلامى ، وقد أعلن هذه المطالب الإمام الراحل: الشيخ الموددى فى كلية الحقوق بـلاهور فى ١٩ فبراير سنة ١٩٤٨ وهى عبارة عن أربع نقاط :

- ١ — أن الخاكية فى باكستان لله العملى الأحد .
- ٢ — أن الشريعة الإسلامية هى القانون الأساسى لباكستان .
- ٣ — بانهى كل ما يعارض الشريعة الإسلامية من قوانين .
- ٤ — لا تصرف حكومة باكستان فى شئون الدولة إلا فى إطار الحدود التى رسمتها الشريعة الإسلامية .

وتلقت الأمة الإسلامية هذه المطالب بالقبول والترحاب وتناولوها بالمحاضرات والندوات والحفلات والمقالات .

وأحس العلمانيون تلاميذ الاستعمار الانجلىزى بخطورة المطالب فعمدوا إلى الأسلوب الانجلىزى فى مواجهة الأمور وذلك بدس اشاعات كاذبة فأشاعوا أن الموددى يقول بعدم مشروعية الجهاد فى كشمير .. ليحولوا حماس الجماهير نحو مسألة خارجة عن المطالب الأربعة .. وأعتقلت السلطات العلمانية الإمام الراحل الشيخ أبو الأعلى الموددى وبعض أفراد الجماعة وذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ م وعطلت صحف الجماعة بل والمجلات الأخرى التى تساعد وتسير فى خطها الإسلامى .. ولم يفت ذلك فى عضد الجماعة ولا الشعب المسلم فى باكستان فارتجت المدن ارتجاجاً لهذا الصنيع وقامت المظاهرات فى شتى أنحاء البلاد حتى اضطرت الجمعية التأسيسية فى مارس ١٩٤٩ إلى إعلان قرار تاريخى عرف بقرار المبادئ .

وقد أعلن فى هذا القرار : أن الحكم فى هذا الـكون لله وحده وأن

الدولة مسئولة عن وضع دستور يؤهل به المسلمون لأن ينظموا حياتهم الفردية والجماعية حسب تعاليم الإسلام .

وقد أقر المودودي وهو في السجن هذا البيان غير أن العلمانيين في السياسة يأخذون الإسلام كهديء للأعصاب ومسكن للفورات فإذا ما سكن الشعب وهدأ نام كل شيء . فلقد نام ذلك القرار . وراحت الحكومة في باكستان تستخدم قانون ١٩٣٥ الهندي الانجليزي النزعة والنظام . فبدأت المعركة من جديد واستمرت المعركة من حالة إلى حالة إلى أن جاء الحاكم المعاصر القائم على شأن باكستان ضياء الحق وأعلن أنه يريد إقامة الحكم الإسلامي في باكستان .

ونعود فنقول أن حركة الجماعة الاسلامية تسمى إلى :

١ - أن تقوم الدولة على أسس إسلامية وأن تحمي من هجمات التيارات المعادية للإسلام .

٢ - أن تبذل الجهود لإصلاح شأن المجتمع ورفقيه الخلق والعقلي والاجتماعي .

٣ - ألا يعود نظام جاهلي إلى الدولة بأسلوب أو آخر .

٤ - أن تستبدل زعامة راشدة بالزعامة الحاضرة الفاسدة .

لقد كان المودودي رحمه الله أمة في التفكير ، والعمل ، والدعوة ، والجهاد وقد لقي من خالص عمله ما يلقاه المجاهدون من صبر على البلاء وشكر برطب اللسان ، وعلم ينفع العباد ، وقلب مطمئن سايم يأتي به ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



## قيمة المودودي في نظر العلماء :

قال الشيخ الندوي :

« للأستاذ أبو الأعلى المودودي صفات عديدة ترشحه للزعامة الفكرية في شبه قارة الهند منها : صفاء الفكر ، والاطلاع على مناهج الفكر الحديثة والثقة بفضل التعاليم الإسلامية ، وجدارتها للبقاء والانتشار ، والاعتداد بالنفس ، وواجهة الحضارة الغربية ونظمها بشجاعة والقلم البليغ السيل وال أسلوب القوى الدافق وقد كان لبحوثه العلمية الأولى التي كتبها في الهند التي كان يتكلم فيها عن مستوى عال وقوة وثقة ، ولقالاته ورسائله دوى عظيم في الأوساط الإسلامية التي كانت تعاني قلقاً فكرياً وجلبت إليه عدداً وجيهاً من عشاق الفكرة الإسلامية وهواة المجد الإسلامي . »

هذا رأى عالم فذ من الأفاضل في الدين والعلم والدعوة هو الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي وهي شهادة يعتر بها العاملون في حقل الدعوة الإسلامية لأنها تبرز مكان الامام الراحل الشيخ المودودي أنه قائد فكري إسلامي ، ورائد اجتماعي مسلم ومصالح إسلامي كبير ، وسياسي بارع في إدراك الأحداث وعواقب الأمور .

## الانتاج العلمي للمودودي:

تكاد البلاد الإسلامية كلها تكون قد عرفت الثروة الحية الممتعة التي خلفها الإمام الراحل فهي تعطر مكتبة كثير من شبان العالم الإسلامي التي حرص على طباعتها ونشرها وقراءتها ومن انتاجه العلمي :

١ - تفسير سورة النور .

٢ - الحجاب .

- ٣ - الربا .
- ٤ - الجهاد .
- ٥ - الإسلام والجاهلية .
- ٦ - مبادئ الإسلام .
- ٧ - الدين القيم .
- ٨ - نظرية الإسلام السياسية .
- ٩ - معضلات الاقتصاد وحلها .
- ١٠ - المسألة القاديانية .
- ١١ - نحو دستور إسلامي .
- ١٢ - دور الطلبة في مستقبل العالم الإسلامي .
- ١٣ - منهج الانقلاب الإسلامي .
- ١٤ - المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم .
- ١٥ - نظرية الإسلام الخلقية .
- ١٦ - نظام الحياة في الإسلام .
- ١٧ - الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية .
- ١٨ - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .
- ١٩ - مسألة ملكية الأرض في الإسلام .
- ٢٠ - المسلمون ومعضلات السياسة الخاضرة .
- ٢١ - التفهيمات .

٢٢ - التنقيحات .

٢٣ - الخطب .

٢٤ - القانون الاسلامى .

٢٥ - شهادة حق .

٢٦ - الحضارة الاسلامية ومبادئها .

٢٧ - تحديد النسل .

لقد كان المودودى رحمه الله ورضى الله عنه ثالث ثلاثة هم غرة القرن الرابع عشر الهجرى جعلهم الله فيه حماية للفكرة الاسلامية من الضياع ، وغوثاً للأمة الاسلامية عندما يتكأ كآ الظلم عليها ، ونبراسا للشباب عندما يكون الليل حالكا .

وهؤلاء الثلاثة هم :

\* الشيخ حسن البنا : الذى بدأ فى إيقاظ الأمة الاسلامية نحو الوحدة وفض الخلافات ، ومحاربة الاستعمار ، وعمل على إعادة الخلافة الاسلامية .

\* الشيخ عبد الحليم محمود : الذى وضع الأزهر على طريق الرسالة فنشر المعاهد ، ووسع جامعة الأزهر ، ووجه السلوك والأخلاق فى لحظة النكسة إلى الطريق المستقيم .

\* الشيخ أبو الأعلى المودودى : الذى عمر ديار ما وراء النهر بالحقيقة الاسلامية ، وبناء الدولة الاسلامية . وراى الشباب إلى طريق قويم .

\* إن هؤلاء الثلاثة هم أعلام على طريق السكناح للدعاة من علمهم الذى

انفقوا عليه يستقى المخلصون شراً بآ طهوراً للقهوم والورع والتقوى، ومن كذا حبه  
المستقيم يرسمون خطى الجهاد الصحيح ، ومن سيرتهم العطرة يستنشقون عطر  
الصلاح ورائحة الجنة .

ألا فى ذمة الله يا شيخنا وعند ملك مقتدر مقعدك إلى يوم أن تبث  
مرضياً عنك مع النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك لك  
ولأمثالك رفیقاً .

## هل ستكون أندونيسيا دولة إسلامية ؟

### INDONESIA NEGARA ISALAM KAH ?

في أغسطس عام ١٩٧٦ أفتتح الرئيس سوهارتو محطة إتصال تليفونى عن طريق القمر الصناعى الذى يربط بين جزر إندونيسيا المترامية الأطراف البعيدة داخل البحار .

وفى حفل الأفتتاح وزعوا خريطة تحمل ملخص المشروع وبها إحصائية عن عدد الجزر الآهله بالسكان ، وعدد السكان أنفسهم .

وبالأطلاع على ما جاء فى هذه الخريطة وهى آخر ورقة رسمية يعتمد عايبها فى معرفة جغرافية الجزر والسكان فى إندونيسيا نجد أن الجزر الإندونيسية عددها ١٣٦٧٧ جزيرة الآهل منها بالسكان ٦٠٤٤ جزيرة ، وعدد السكان ١٣٠ مليوناً .

وتقع هذه الجزر بين خط عرض ٦ شمالاً وخط عرض ١١ جنوباً وخط طول ٩٥ وخط طول ١٤١ وهى المنطقة الواصلة بين قارة آسيا وقارة أستراليا . وثراؤها مكشوف وكثير ففيها : البترول ، والقصدير ، والفضة ، والذهب والنيكل والحديد ، والفحم ، والنيحاس ، وقد إكتشف اليابانيون أخيراً معدن اليورانيوم بالإضافة إلى ثروتها الخشبية والأسماك ، والفواكه ، والمحاصيل الزراعية الأخرى مثل الذرة والأرز والشاى ، والبن ، والقافل ، والقمرنقل . . . والتوابل . . .

هذه الجزر يعيش فيها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً عندما بزغت شمس الإسلام واستقبل الناس في هذه الجزر دين الله الحنيف ساعة بزوغه .

وكان لهذه الجزر قبل الإسلام شأن بعيد في عبادة الأوثان ، وكانت هناك عدة ممالك مؤسسة على هذا البطلان مثل :

مملكة ماترام في جاوا الوسطى .

مملكة ماجاهايت في جاوا الشرقية .

مملكة نجا جاران بجاوا الغربية .

مملكة منغ كابو في سومطرة الشمالية .

مملكة سيروي جايا في سومطرة الجنوبية .

وكان بين هذه الممالك صراع على التوسع والحكم . . . فلما جاء الإسلام الحنيف ودخل الناس في دين الله عن طريق الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة وذلك في القرن الأول الهجري على ما هو المعتمد عند كبار رجالات العلم من أهل هذه الديار قامت في إندونيسيا عدة ممالك إسلامية بعد أن تلاشت ممالك البوذية والهندوسية .

وممالك الإسلام هي :

\* دولة فاساي بسومطرة الشمالية .

\* دولة ملاكا بماليزيا الآن .

\* دولة ديماق في جاوا الشرقية .

\* دولة فاجانج .

\* دولة تشربون في جاوا الغربية .

\* ودولة ماترام الإسلامية في جاوا الوسطى بدل ماترام البوذية .

\* دولة الإسلام في آتشه في سومطرة الشمالية بعد أن سقطت مملكة الإسلام في فاساي لهجوم دولة ماجا فاهيت عليها .

المملكة الإسلامية في جهور ماليزيا الآن .

ولقد ماش الإسلام في هذه الديار يزكي في أبناء الأرخييل ميولهم للأمن والطمأنينة ، ويقوى فيهم عواطف الحب والحنان ، ويجدون هم فيه متعة الروح ، ولذة العيش الأمين الهادى .

وكان المسلمون في هذه الديار أشبه بالملائكة وهم في المساجد يصطفون للصلاة رجالا ونساء ، ويحيون شعائر الإسلام ومواسم البر والخيرات والبركات . وعاشوا وخدم في دولة إسلامية وهم قوم يحسنون الجوار فيما بينهم وقد زكى الإسلام هذا التقليد فعاشت الدول الإسلامية في أرخبيل الملايو ( إندونيسيا وماليزيا وسنغافورا ) والمودة هي السجل الذى يربطهم ، والعيش الرغد ، والخير الكثير هو الذى ينجم على مجتمعهم فلم تكن لهم صلة بالدولة الإسلامية في الشرق العربى على تطورها : لم تكن لهم بالأمويين صلة ، ولا بالعباسيين ، غير أن الصلة الضعيفة التى يذكرها التاريخ أن حكام البلاد أردادوا إقامة علاقة طيبة مع الدول الإسلامية في عهد العثمانيين فأرسل الأتراك لهم خبراء عسكريين يدرّبونهم على فنون الحرب .

ولقد كان حكام الممالك الإسلامية في غاية الشوق إلى الاتصال بالحكام المسلمين في الشرق العربى فأسموا أنفسهم ( سلاطين ) تيمنا باللقاب التى كان يستخدمها سلاطين المسلمين في بلاد الشرق العربى الإسلامى .

لم تكن الدولة الإسلامية في الشرق العربى ذات صبغة توسعية .

ولم تكن طبيعة الإنتساب إلى الإسلام تعطو هذا المعنى ولا تدفع لهذا

الطمع فعاش المسلمون في الشرق العربي تحت رايتهم الإسلامية ، وعاش المسلمون في دول الإسلام بجنوب شرقي آسيا تحت رايتهم الإسلامية ... ولو قوى اللقاء بين أهل الدين الواحد والعلم الواحد ( علم الإسلام ) لما تمكن الاستعمار الأوربي من تحقيق نهمه في إستعباد بلاد الإسلام في جنوب شرقي آسيا فقد طمعت هولاندا في أندونيسيا في أواخر القرن السادس عشر ١٦٠٢ ، وطمعت البرتغال في مايزيا في أوائل القرن السادس عشر ١٥١١ ، وطمع الإسبان في ماينولاس ( الفلبين في عام ١٥٢١ م

وفي القرن الثامن عشر دخلت إنجلترا إلى منطقة جنوب شرقي آسيا في الملايو ، وسنغافورا... وبدأ التعاون الاستعماري للأجهزة على الممالك الإسلامية في هذه المنطقة وكانت الخطة كالتالي :

١ - تحويل جميع المواد الخام لتصنع في أوروبا حتى يترك أبناء المنطقة جاهلين بشئون الصناعة .

٢ - تركيز التجارة في يد الأوربيين والصينيين وإقصاء الجنس العربي عن التجارة الخارجية .

٣ - زرع بذور الخلاف الديني بين المسلمين .

٤ - زرع بذور الخلاف بين العرب والسكان الأصليين .

٥ - الدعاية ضد الإسلام بأنه دين العرب .

٦ - تربية الفكر القومي المعادي للقوميات الأخرى .

٧ - إدخال الفكر الإلحادى ليسهم في توهين التمسك للإسلام من نفوس الشباب .

٨ - تعليم الأطفال في المدارس أن العرب مرايون وأنهم بخلاء وأنهم مستعمرون وذلك عن طريق قصص باطلة في كتب المطالعة .



٩ - التبشير بالمسيحية عن طريق : المدارس ، المستشفيات ، المكتب والنشرات ، والزيارات الشخصية ، المنح الدراسية ، المعونات الاجتماعية ...  
١٠ - إدخال الجنس الصيني ليقوم بدوره في تشويه الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية .

ولم يفتن المسلمون لهذه الخطة.. وإنما مروا في الدعوة إلى الجهاد السياسي وإخراج المستعمر من البلاد . . .

لقد استمر الاستعمار الهولندي في إندونيسيا ثلاثة قرون ونصف قرن أتى على كل خير فيها ولم يترك فيها واحداً قد تعلم كيف يمر الشاي الأخضر بأدوار الصناعة ، وأرسى في نفوس الأمة صراعاً صمدع الأسس العظيمة التي كان يحيا عليها الشعب المسلم في إندونيسيا... ولم تظهر هذه الصراعات إلا يوم أن أعلن إستقلال إندونيسيا عام ١٩٤٥ .

وكان الحصول على الإستقلال نتيجة جهاد علماء الإسلام . . .

الإمام بونجول .

الإمام دي بونو جورو .

الإمام أجوس سالم .

الإمام حسي الدين .

الإمام عبد القهار مذكر .

وغيرهم من العلماء المجاهدين بالسيف والقلم والنفس والنيس . . .

ولكن الاستعمار كان قد صنع سوكارنو وعشش في نفسه عنكبوت القومية . ولذلك له الشيطان الابق عن الاسلام . . فظهر ما كان مكتوماً وبان ما كان مخفياً وظهر الحسك بشكله القبيح يوم أن إجتمعت الهيئة التأسيسية التي إنتخبت لوضع الدستور عام ١٩٥٧ م .

ولم يكن في الحسبان أن النص على أن إندونيسيا دولة إسلامية أمر عسير لأن ٩٠٪ من سكان إندونيسيا بل إن ٩٥٪ من سكان الأرخييل يدينون بالإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولكن الاستعمار كان قد ربي له الأفاعى ، وأعد من الأمة لها أعداء . . . فظهرت فكرة الفانشاسيلا Pancasila ( المبادئ الخمسة ) وهى :

١ — الإيمان بالله مطلقاً .

٢ — الإنسانية .

٣ — سيادة الشعب .

٤ — القومية الإندونيسية .

٥ — العدالة الاجتماعية .

وكانت هذه المبادئ فى مواجهة أن الإسلام هو أساس الدولة وقدم الماركسيون الاشتراكية كأساس للدولة الجديدة فظهرت اتجاهات ثلاثة :

الإسلام .

الفانشاسيلا .

الاشتراكية

وهذه الاتجاهات لم تكن وليدة الصدفة بل عمل الاستعمار لها منذ ثلاثة قرون . . . وبينما الحركة الإسلامية تجاهد من أجل الاستقلال وإخراج المستعمر الأوروبى من البلاد. كان الماركسيون يعملون على اغتصاب الحكم . وكان القوميون يضمرون السوء للاستيلاء على ثمرة النصر الذى سيحرزه المسلمون .

وفى اللجنة التأسيسية لوضع الدستور عام ١٩٥٧ ظن المسلمون أن الحركة معركة إقناع وبراهين وأدلة فقدموا تصوراً علمياً وتاريخياً رائعاً ، ألقاه

الأستاذ الدكتور محمد ناصر وطبع تحت عنوان : ( اختاروا إحدى السبيلين : الدين أو اللادينية ) .

ولكن القضية ليست قضية إقناع ولا قضية براهين وإنما هي قضية تسكتيك سياسي سريع وبدأ سوكارنو الخطة وهي :

- ( أ ) تحالف بين الماركسيين والقوميين في اللجنة التأسيسية .
- ( ب ) تخذيل التجمع الإسلامي وتوحيته وكسر قوته .
- ( ج ) تخذير المشاعر الإسلامية في الداخل والخارج ..

( أ ) أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فقد تحالف سوكارنو ممثل الحزب الوطني القومي الأندونيسي مع الاشتراكيين وهم صنفان : اشتراكيون يتبعون موسكو ، واشتراكيون يتبعون بكين ، وأعلن حل الهيئة ونادى بالفانشاسيلا كأساس للدولة وتمرد المسلمون على هذا الوضع ولسكن سوكارنو حل الحزب الإسلامي المتمرد ووصفه بكل ألوان السباب السياسي المعروف عند أشباه سوكارنو .

( ب ) وأما فيما يتعلق بتخذيل المسلمين فقد كان حل الحزب الإسلامي إحدى علامات الديكتاتورية التي لن ترحم العمل الإسلامي من قبول الفانشاسيلا فأعلنت الهيئات الإسلامية كلها قبولها لهذه المبادئ وجعلتها أساساً في برنامجها .. فوجد بذلك جو من الاتصاف بين المستمسكين بالحق والهدى وبين القيادات الإسلامية التي أرغمت على قبول الفانشاسيلا واستمر سوكارنو في تخذيل القيم الإسلامية حتى وصل به الأمر إلى فعل أهور ينعني الحياء من ذكرها بل يمنع الشرف الفطري من قصها .. وبات التجمع الإسلامي في إندونيسيا يابس ثوباً خلقاً بالياً ، ويعيش في صحبة عليلة : القيادات الأمينة في المهتلات والقيادات المرغمة على العمل تهنأ مع سوكارنو ، والشباب المسلم حائر بين شي الرحي : الجهاد المرء ، أو الحياة الرغيدة ، ووجدت الشيوعية

جذورها تتمدد في أرض رخوة سهلة فصار الحزب الشيوعي في إندونيسيا أقوى الأحزاب الشيوعية في العالم ... فقد تسلط على الحكومة والطيران ، البحرية والاقتصاد والعمال ...

وأرغم سوكارنو زعماء الحركة الإسلامية العملاء له أن يعانوا قبولهم للعمل مع الشيوعيين احتراماً لمبادئ الماشاسيلا وتحقيقاً للوحدة الوطنية التي جعل شعارها ( نساكم ) اتحاد التحالف الوطني الديني الشيوعي في الأمة الإندونيسية . (Nasakom)

واستقرت الحياة عند سوكارنو على هذا المزيج والخليط السيء المشوش المشوه حتى كانت ثورة الشيوعيين الفاشلة في سبتمبر سنة ١٩٦٥ م

وكان الحزب الشيوعي قد أقام له المدارس والجامعات واستورد لها من الصين أساتذة ، وبدأ في تنفيذ السلوك الشيوعي : لا شرف ، لا خلق . لا قيم ، لا قانون فانكسرت حدة التحمس الإسلامي في مظهرها العام لولا بقية استبقاها الله في بعض الشباب الصابرين المحتسبين .. (H.M.I.)

وأما فيما يتعلق بتخدير المسلمين في الداخل والخارج فقد كان سوكارنو يصلح الجمعة إماماً في مسجد صغير بناه في ساحة قصر الجمهورية ، ويقام احتفالات بالمولد النبوي الشريف ، والإسراء والمعراج ، وليلة القدر ، وإيالة النصف من شعبان .. وكان جل الحاضرين من القوميين واللادينيين ... فهي فرصة للضحك على أصحاب المشاعر الإسلامية ، وهي فرصة للتزلف والبذخ والإثاق ، وقيل في شأن سوكارنو بعد سقوطه إنه كان يحضر هذه الاحتفالات وهو في حالة غير لائقة بالقيم الإنسانية . هذا في الداخل .

أما في الخارج فقد كان سوكارنو يتمتع بأسلوب غاية في السحر والمجازية ... وذلك شأن كذابي السياسة ومناقي الشعوب .

فقد عملت الدبلوماسية اللبينة أيام مراكز القوى الموالية للاتجاهات

الماركسية في مصر أن يدعى الرئيس سوكارنو وهو في لحظة التفك بالإسلام هناك ليمنح الدكتوراة التخريبية من الأزهر كتخدير للشعور الإسلامي الذي استيقظ يصب عليه جام غضبه ، وجاء سوكارنو إلى الأزهر في أبريل سنة ١٩٦٠ وأقيم له احتفال لم تشهده من قبل قاعة الشيخ محمد عبده وخطب سوكارنو خطبة تقليدية تحدث فيها عن المائشاسيلا وكان مأخوذاً حديثه :

إننا في إندونيسيا نستمند قوى كبرى من فلسفتنا القومية ( المائشاسيلا ) إنها مجموعة من المعتقدات والإرشادات منحت من خبراتنا وتجاربنا الماضية ومن تاريخنا كله إنها فلسفة تقوم على الذاتية القومية . وقال :

« إن المائشاسيلا لا تستبعد على وجه التحقيق أولئك الذين يدينون بأديان أخرى ولا الذين لا يتبعون ديننا على الإطلاق .. نحن لا ننسى أبداً أن المسيحي والبوذي واللاذيني كل هؤلاء إلى جانب المسلمين هم مواطنون في الدولة الإندونيسية<sup>(١)</sup> .

وهذه مغالطة لأن المسلمين - ٩٠٪ - هم الذين أحرزوا الانتصار والبلدان الإسلامية في الأمم المتحدة هي التي وقفت إلى جوار إندونيسيا في قضيتها لأنها بلد إسلامي ومهمر الإسلامية هي أول الدول التي اعترفت بإندونيسيا وهي أول دولة أرسلت سفيراً إلى العاصمة القديمة ( جوجا كارتا ) لأن مصر قلب العالم الإسلامي ، ولأن أندونيسيا في ذلك الحين تمثل قطراً إسلامياً من أقطار الإسلام .

ولقد صارت الأوضاع في إندونيسيا منذ الاستقلال إلى يومنا هذا حول هذا الصراع هل ستقام في إندونيسيا دولة إسلامية ؟ .

(١) المحاضرات العامة للأزهر : الموسم الثقافي الثاني سنة ١٩٦٠ ص ١٣ ١٥

وإذا كانت ( الفاشيستيلا ) هي الأساس للدولة كما أراد سوكارنو ويريد  
الذين من بعده .. فهل قبل غير المسلمين هذه المبادئ للدولة ؟ .

هل قبل الشيوعيون ( الفاشيستيلا ) كأساس للدولة مع أنهم ترعرعوا في  
أحضان إقطاعها ؟ .

هل قبل المسيحيون الفاشيستيلا كأساس للدولة مع أنهم تمددوا بؤسستهم  
في ظلالها ؟ .

إن التاريخ المعاصر يشهد أن كلتا الطائفتين لم تقبل الفاشيستيلا كأساس  
للدولة القومية العلمانية .

أما الشيوعيون :

في عام ٢٩٤٨ إبان حركة التحرر من الاستعمار اعتصموا ١٨ ضابطا من  
ضباط الجيش وقتلوا وأشاعوا الارهاب والنهب في إندونيسيا حتى كان  
يوم ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٨ أعلنت الحركة الشيوعية قيام الجمهورية  
السوفيتية الاندونيسية من مدينة ( مادبون ) وتولى رئاسة هذه الدولة المزعومة  
أحد الرفاق المدعو عامر شريف ...

ولم يقصر لى هذه الثورة إلا الجنرال المسلم عبد الحارث ناستبون ...

فهل قبل الشيوعيون بذلك مبادئ الفاشيستيلا ؟ .

وفي عام ١٩٦٥ م لم يكتف الشيوعيون بالسيطرة على الحكومة  
والاقتصاد بل قاموا بانقلاب فاشل في ٣٠ سبتمبر فقتلوا سبعة من كبار ضباط  
الجيش مع وزير الحرية أحمد ياني . A. Yani .

ولولا عبد الحارث ناستبون الذى نجح بأعجوبة استعادت إندونيسيا فى يد

الشيوعيين<sup>(١)</sup> فهل قبل الشيوعيون الفاشاسيلا كأساس للدولة العلمانية في  
إندونيسيا... ١١١

أما عن المسيحيين فيمكنني في رفضهم للفاشاسيلا ما يلي :  
أولاً: أنهم رفضوا التسامح الديني الذي دعا إليه الرئيس سوهارتو مراراً  
في عام ١٩٦٧ ، وفي آتته عام ١٩٧٤ م وفي العام الحالي ١٩٧٨ م .  
ثانياً : التقرير الذي يصور استيلاءهم على كثير من العمل التخريبي من  
أجل تنصير مسلمي إندونيسيا .

---

(١) راجع كتابنا : الاسلام في أرخبيل الملايو ص ١٨٧ ' ١٨٨ .

## حقيقة الخطر الذي يتهدد مستقبل الإسلام في أندونيسيا

المراكز الهامة المؤثرة لطائفتي البروتستانت والكاثوليك  
في مختلف القطاعات الحيوية في أندونيسيا

١ — مقدمة

يراود الشعور بالقلق كثيرا من ذوي الغيرة الإسلامية في العالم ، بسبب ما يشاع عن نجاح التبشير الهائل في تنصير أعداد ضخمة من مسلمي أندونيسيا في الآونة الأخيرة . ويرد الكثير من الاستفسارات عن هذه الحقيقة ، مما ينم عن شعور إسلامي نبيل واهتمام صادق بمصائر المسلمين على اختلاف ديارهم وأقطارهم .

والحقيقة أن ما يذاع من أنباء عن قيام نشاط تبشيري هائل في أندونيسيا هو صحيح ، ولكن ما يذاع من ضخامة عدد المنتصرين من المسلمين إفيه الكثير من المبالغة ، حقا إن الهيئات التبشيرية تملك طاقة مؤهلة لأعمال التنصير وهي كبيرة العدد وتملك من المادة والمعدات التي تسهل لها استغلال الفقر والجهل والمرض التي هي من مخلفات الاستعمار ، ما لا يحصى عدد ، ويتلقون سيلا مدرارا من المساعدات المالية من مختلف الهيئات والمؤسسات العالمية . ولكن كل ذلك لم يحقق النصر الذي أرجهوا به وأشاعوه .

إنهم قد يسجلون الشخص الذي يتعالج في مستشفياتهم ، أو يتقبل شيئا من الأرز يقدم إليه أو قطعة من قماش ، على أنه قد تنصروتم تمهيداً ، وما أكثر الذين يترددون على مستشفيات التبشير وهم مصنفات أو يتلقون



معلومات الغذاء والكساء بحسن نية باعتبار ذلك مجرد مواساة وبر وعمل إنساني محض .

نعم هناك جماعات من البدائين يسكنون في منطقة الباتالك ( بسوه طرا الشمالية ) وفي كاليمنتان وجماعات في جاوا الوسطى انتمؤهم الإسلامي فيج ، بل مازال أكثرهم يجهلون الإسلام جهلا ، هؤلاء هم الذين ينصرون ، ولا يزيد معدل الذين يتنصرون من هؤلاء سنويا عن عشرات الألوف .

إن تنصير البالغين من المسلمين قد لا يكون هينا . أما الذين يتهددم الخطر فهم الأطفال الذين يلتحقون بمدارس التنصير ومعهده ، وهي منتشرة بكثرة كثيرة جدا سواء في العاصمة أو مدن الأقاليم وقراها .

## ٢ - التسرب إلى مراكز الساطة :

والخطر الذي يتهدد الاسلام ومستقبله في أندونيسيا بحق وحقيقة فهو آت من سيطرة النصارى . على مراكز العصب الحساس في أجهزة الدولة . وأزمة الاقتصاد ، مما يذكرنا بسيطرة نصارى المستعمرين أيام أوج الاستعمار الهولندى وإذا كان ذلك طبيعيا أيام الاستعمار فإنه من المازقات جدا أن يستمر بعد ثلاثين سنة من الاستقلال .

وهذه السيطرة قد خططوا لها منذ أمد طويل ، إذ أعدوا كوادرهم وأتاحوا لهم فرص التحصيل العلمى إلى أعلى المستويات في جامعات أندونيسيا وجامعات الخارج بما يؤمن لشبابهم من منح دراسية سخية . بينما أبناء المسلمين محرومون من تلك الفرص .

وما تم تنفيذه من ذلك المخطط حتى كتابة هذه السطور يتلخص في الآتى :

٣ - المراكز الهامة التي يحتلها البروتستانت والكاثوليك في أندونيسيا :

يحتل البروتستانت والكاثوليك مراكز هامة في أجهزة الحكم والإدارة والتشريع ، سواء على المستوى المركزى أو الإقليمى ، سيطروا عليها باسم الكفاءات والشهادات الرفيعة و باسم مختلف التنظيمات السياسية والاتجاهات الخيرية .

القطاع السياسى والعسكرى :

( أ ) في مجلس شورى الشعب :

مجلس شورى الشعب ( وليس المجلس الاستشارى الأعلى كما يخطئ ، ترجمته البعض ) هو أعلى سلطة تشريعية في أندونيسيا ، وذلك وفق ما نص عليه دستور سنة ١٩٤٥ م .

يملك هذا المجلس حق صياغة الدستور أو تعديله وحق انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه وحق وضع الخطوط العريضة لأهداف الدولة المزمرة لرئيس الجمهورية ؛ وجوب تنفيذها وعدم الحيطة عنها ، ورئيس الجمهورية مسئول أمام هذا المجلس وليس غيره .

والمفروض أن يتكون هذا المجلس من أعضاء منتخبين مباشرة ، إذ يتكونون من أعضاء البرلمان ومن مندوبى الأقاليم . والمجلس الحالى ( هكذا يتوقع في المجلس الذى يتكون من أغلبية ساحقة من طائفة الجولكار ( طائفة الحرفيين التى هى فى الحقيقة المنظمة السياسية للنظام الحالى ) ووجهة الجولكار فى البرلمان وفى مجلس شورى الشعب مسيطر عليها من قبل الأعضاء البروتستانت والكاثوليك وتملك الجبهة البرلمانية فى البرلمان وفى مجلس شورى الشعب السلطة الكبرى فى سير المناقشات وفى التصويت ، إذ يمارس تلك السلطة ( بدون معقب أو رقيب ) رئيس الجبهة فرئيس الجبهة هو كل شئ ، أما أعضاء الجبهة فجل مهمتهم التصويت لدى الاقتراع ، إذ ليس له أن

يقترح شيئاً إلا عن طريق الجبهة ، والمداومات تتم عن طريق اللجان في البرلمان وفي مجلس شوري الشعب ، وهكذا تبرز أهمية الجبهة البرلمانية في ممارسة ( أو ترقيف ) إرادة الأمة .

وفي دورة مجلس شوري الشعب لعام ١٩٧٣ كان أعضاء لجان الصياغة واللجان الخاصة الأخرى يتكونون من هؤلاء النصارى الآتية أسماؤهم :

- كوسماس باتوبارا .
- دكتور أندوس موردوبو .
- الدكتور يوهانس باتيستنا سومارلين .
- خريجور يوس أطونيوس سوقها رتو .
- يوسف واناندي ( وهو صيني كانوليكي اسمه لنم بيان كي ) .
- ر . روس كامدي ( ماجستير قانون ) .
- ي ب أوتارا ( ماجستير قانون ) .
- السيدة سورياتي أتاستينه لقوا .
- سابام سيرايت .
- ياكوب توينغ .
- \* دكتور ميديات سيرايت .

هؤلاء هم الذين قاموا بنشاط مكثف جداً ، خلال جلسات مجلس شوري الشعب عام ١٩٧٣ وهي الجلسات التي أنتجت الخطوط العريضة لأهداف الدولة الحالية التي تستوحى منها الحكومة سياستها العامة .

## (ب) في الحكومة المركزية ومؤسساتها :

يتبع النصارى على مقاعد هامة في الوزارة وفي المصالح والدواوين الحكومية منهم :

- الجنرال ما رادين بانقايمان وزير الدفاع والأمن القومي ، وقائد هام القوات المسلحة

- البروفسير الدكتور ج . أ . سيوايسى وزير الصحة .

- دكتور أندوس رادبوس براوير وزير التجارة .

- الدكتور يوهانس بابتستا سومارلين وزير الدولة لإعادة تنظيم وضبط أجهزة الدولة .

- س . سودارمان مدير عام مديرية الجوازات والهجرة .

- أ . ي . ما نيهوروك . مدير عام ديوان الموظفين .

- دكتور و . ب . نايتوبولو . مدير هام التعليم غير الرسمي بوزارة التربية والثقافة .

- ج . س . ت سيموران كيز . رئيس لجنة تطوير القوانين بوزارة العدل .

- دكتور راندوس برايتو مدير عام مصلحة السياحة .

ويتضح مما ذكر ، أن سلطة مراقبة وضبط ومعاينة موظفي الدولة هي بيد وزير كاثوليكى ، وسلطه تعيين وترقية ونقل وتجميد الموظفين بيد وزير بروتستانتى وهو أ . أى . مانى هوروك ، ومراقبة بوابة الدولة ( الهجرة والجوازات وتأشيرات الدخول والخروج ) بيد مسيحي هو س . سودارمان ،

حيث يتوقع تسهيلات كثيرة لدخول الإسرائيليين ورجال الأعمال الفاتكين ونحوم . وما يذكر عن مدير الجوازات المذكور أنه قرر إعفاء القس ورجال الكناس من رسوم تأشيرات الخروج وهي رسوم باهظة .

### (ج) وزارة الدفاع والأمن القومي :

تعتبر القوات المسلحة في أندونيسيا من أم الهيئات الفعالة لحماية نشاط الأعمال التنصيرية ، سواء في القيادة العليا أم مشتقاتها وفي قيادات المناطق العسكرية الإقليمية ، حيث يقوم النصارى بمهامهم بولاء ووفاء لانتهاجهم النصراني . ونذكر من بين هؤلاء :

١ - الجنرال مارادين بانقايمان ، وزير الدفاع والأمن القومي وقائد عام القوات المسلحة .

٢ - الجنرال يني موداني مساعد القائد العام لشئون الخابرات بوزارة الدفاع .

٣ - الميجر جنرال يوقى سوباردى قائد عام قيادة السوقيات ( اللوجستيك ) للجيش .

٤ - اللفتنانت جنرال ( بوليس ) دكتور أندوس ويدودبودى داره و قائد عام بوليس الدولة .

٥ - الميجر جنرال كانتز الحقوقي . رئيس هيئة تطوير القانون بوزارة الدفاع والأمن .

٦ - الميجر جنرال ليولوبوا ليسا قائد الفرقة الاستراتيجية بالجيش .

٧ - الميجر جنرال ج . ه . مانتيك قائد منقطة جاكرتا العسكرية .

٨ - ي . ب أوتورو القانوني ، رئيس القسم السياسي بالمخابرات المركزية .

٩ - البريجادير جنرال اى . و . ب . تامبونان مدير السككية الحربية قسم القوات البرية .

١٠ - الأميرال سودومو رئيس أركان قيادة عمليات إعادة الأمن والنظام ( بالاندونيسية : كوم كالب نيب ) وهى القيادة التى تستطيع أن تقارن أى شىء بذريعة الضبط والربط والحيلولة دون انتكاسة الشيوعيه ، حيث تمك ساطات استثنائية ، بعد إلغاء حالة الطوارئ فى أندونيسيا .

أما مراكز الدرجة الثانية وهى قيادة المناطق العسكرية ، فقد استولى البروتستانت والكاثوليك فيها على مراكز هامة جداً ، مثل قسم المخابرات والعمليات وكذلك بالنسبة لقيادات مناطق الدفاع ( كويلهان ) التى تضم كل واحدة منها عدة مناطق عسكرية قيادية فقد احتل النصارى فيها مراكز هامة أيضاً ، من أمثلة ذلك :

١ - قيادة المنطقة العسكرية الثانية « بوكيت باريسان » وتسيطر على منطقة سومطرا الشمالية ومقرها مدينة ميدان . كان قائدها الجنرال ليولوبوليسا وقد رقى إلى منصب قائد الفرقة الإستراتيجية للقوات البرية ، ويقال إن المرشح لخلافته فى القيادة هو أحد الجنرالات النصارى .

٢ - فى قيادة المنطقة العسكرية السادسة ، سيلى وانغى ، بجاوا الغربية ومقرها مدينة باندونغ ، رئيس مخابراتها كولونيل نصرانى اسمه ساملو .

٣ - فى قيادة المنطقة العسكرية السابعة دييو نغورو ( بجاوا الوسطى ) يتولى قيادة مخابراتها الكولونيل ليونغالى ، وقد أزم من هذا الرجل فى هذا المنصب الذى تربع عليه أكثر من عشر سنوات .

ومناصب المخبرات هذه حساسة جداً ومؤثرة جداً كما هو مفهوم بالبداية في توجيه سياسة القواد ، لأن كافة التقارير تمر بها وهي التي تقيمها وتستخلص معطياتها وتقدمها إلى القيادة فإذا كان القائمون عليها من أصحاب العواطف الدينية المتطرفين أو ممن جندوا عمداً فيها فمن السهل أن تحور التقارير وتعاد صياغتها وتلون بألوان خاصة .

ويذكر البروتستانت والكاثوليك في الآونة الأخيرة جهوداً مكننة لتولى مناصب قيادة العمليات العسكرية في قيادات المناطق العسكرية .

#### ( د ) في الهيئات التشريعية للدولة :

يحتل البروتستانت والكاثوليك مختلف الائتلاء التنظيمية ، ٨٤ مقعداً في البرلمان ( أربانك ) نسبة ٣٠ ، ١٨ ، ١٠ من مجموع الأعضاء وعندهم ٤٦٠ عضواً) ولم يكن الأمر قاصراً على العضوية فقط ، ولكنهم يحتلون مناصب في الجهاز البرلماني يمكنهم من التوجيه والسيطرة .

ولبيان ذلك نذكر أن :

١ - - - - - سابام سيرايت ( من حزب البروتستانت سابقاً ) يحتل الآن منصب نائب رئيس الجبهة البرلمانية للحزب الديمقراطي الأندونيسي .

٢ - - - - - سي . ه . د . تاها ماتا ( من حزب البروتستانت أيضاً ) يتولى منصب نائب رئيس جبهة الحزب الديمقراطي الأندونيسي البرلمانية .

٣ . في . بي . داكوستا ( من حزب الكاثوليك سابقاً ) نائب رئيس أيضاً .

٤ - - - - - دكتور أندوس تام سيجا توبانغ ( من البروتستانت ) يتولى منصب سكرتير جبهة الحزب البرلمانية .

٥ - دكتور أندوس كارو يندينغ ( من الحزب القومي سابقاً ) سكرتير  
جبهة الحزب البرلمانية .

هؤلاء النصارى يسيطرون على جهاز الجبهة البرلمانية للحزب الديمقراطي  
الاندونيسي .

### جبهة الجولكار البرلمانية :

٦ - جريجوريوس أنطونيوس سوقيهارتو رئيس جبهة الجولكار  
البرلمانية .

٧ - دكتور أندوس كوسماس باتورا منسق الشؤون السياسية للجبهة .

٨ - دكتور أندوس ي . سيان جونتاك منسق الشؤون الاقتصادية .

٩ - دكتور أندوس . سوقيهارتوا ( أخو جريجوريوس سوقيهارتو )  
منسق الشؤون العامة .

١٠ - وارتنو منسق الشؤون الخاصة .

### في اللجان البرلمانية :

اللجان البرلمانية هي التي تتخصص في مناقشات البرلمان ، لمثل الحكومة  
يحضر جلساتها ويقدم بيانات الحكومة أمامها ، وعندما تم المناقشة وتؤخذ  
آراء الجبهات يقدم الموضوع إلى الجلسة العمومية حيث تؤخذ الأصوات .

ففي هذه اللجان البرلمانية نجد الشخصيات الآتية أسماؤهم :

١ - في . بي داكوستا : نائب رئيس لجنة الشؤون القانونية ( لجنة ٣ ) .

٢ - دكتور أندوس تام سينتاتو بانغ : نائب رئيس لجنة المواصلات  
( لجنة ٥ ) .



- ٣ - ياكوب توينغ : رئيس لجنة الصناعة والثروة المعدنية ( لجنة ٦ ) .
- ٤ - ي . ه . داهاماتا : رئيس لجنة الصناعة والثروة المعدنية .
- ٥ - ل . م . سيان توري : نائب رئيس لجنة الشؤون الصحية والاجتماعية ( لجنة ٨ ) .
- ٦ - بودي ديبو بوانا : نائب رئيس لجنة الشؤون الصحية والاجتماعية .
- ٧ - آريفين ساري تامبوتان : نائب رئيس لجنة البحوث ( لجنة ١٠ ) .
- ٨ - دكتور أندوس . ي . سيان جونتاك : نائب رئيس لجنة الميزانية .
- ٩ - آي . بي . سوهارنو : نائب رئيس لجنة الشؤون الداخلية للبرلمان .
- ( ٥ ) في إدارة الحكم المحلي :

إدارة الحكم المحلي وهي الولايات واسمها مناطق الدرجة الأولى ( أو المحافظات وعددها قبل ضم تيمور الشرقية إلى أندونيسيا ست وعشرون ولاية ) تتمتع بنوع من اللامركزية ( الأوتونومي ) فلكل واحدة برلمان محلي يضع ميزانية المحافظة ويسن اللوائح المحلية وينظم اراداتها وينتخب محافظها ( ولو نظريا ) الذي تعينه بناء على ذلك الحكومة المركزية والحكومة المحافظة حق جباية بعض العوائد والرسوم والضرائب وتلقى مساعدة مالية سنويا من الحكومة المركزية تسد عجزها .

ولذلك نرى النصارى حريصين جداً على أن يسيطروا على إدارات الحكم المحلي . وقد نجحوا في أربع ولايات ، وهي : ولاية سولاويسي الشمالية ومحافظها الميجر جنرال ه . في وورانغ ، وسولاويسي الوسطى ومحافظها البريجادير جنرال .. تامبونان ، وكاليمنتان الوسطى ومحافظها سيلفانوس ونوساتنقارا تيمور ومحافظها البريجادير جنرال ابل تاري .

وبرغم أن سولاويسى الوسطى أغلبية سكانها مسلمون إلا أن مجلسها  
النيابي انتخب البريجادير تامبونان المسيحى وليس من أبناء المنطقة محافظاً ،  
وسارع فحين عدداً من النصارى فى مناصبها الهامة ، منهم :

- دكتور أندوس لى ل سلانا : سكرتير حكومة المحافظة .
- دكتور أندوس ف . س . سيالك : لإدارة شئون الحكم والإدارات .
- مى . ك . توماكاكا : لإدارة شئون التنظيمات العامة .
- دكتور أندوس س . تامبونا : لإدارة الشئون المالية .
- دكتور أندوس س . سارونقو : لإدارة المكتب العام .
- دكتور أندوس نيكو آدم : لإدارة شئون الموظفين .
- دكتور أندوس ي . و . سارا بانغ : لمصاحبة العوائد والإيرادات .

### ( و ) الهيئة المركزية لمنظمة الجولكار ( الحرفيين ) :

كلمة الجولكار منجوتة من كلمتين باللغة الأندونيسية وهى جولونغان كاريا  
Gclengankarya أى طائفة أصحاب الحرف وينضوى تحت مفهوم أصحاب  
الحرف كل من يحترف حرفة يعيش منها ، مثل موظفى الحكومة وموظفى  
المؤسسات العامة للدولة ، ومحترفى القتال ( القوات المسلحة ) محترفون أيضاً  
والصحفيون ومراسلوا الصحف والعنانون والممثلون والرسامون والنحاتون  
والمغنون كلهم حرفيون ، وضم هؤلاء إلى منظمة أطلق عليها اسم الجولكار ،  
ابتدع الفكرة ونفذها سوكارنو ، وكشف نشاطها العهد الجديد وأصبح لها  
رئيس يتولاه الآن اللفتنان جرنال امير مورتونو ، وفى العهد الجديد فرضت  
المنظمة فرضاً على كل من يتقاضى مرتباً أو أجرأ من الحكومة ومؤسساتها ،  
بل فرض على كل من له صلة بالموظف من زوجة وأولاد وأصحاب .

وهكذا نجد الوزراء والمديرين العامين والموظفين وحكام الولايات إلى عمد القرى ، وأسست في كل ديوان أو مصلحة « نقابة لموظفيها » ، تتقاضى نسبة من مرتباتهم اشتراكاً في النقابة ، ويقال إن كل مشتريات الحكومة تتقاضى منها منظمة الحرفيين نسبة عمولة تقدر بـ ١٠٪ من ثمنها الإجمالي .

وقد نجحت المنظمة في انتخابات عام ١٩٧١ في إجبار الناخبين على انتخاب لائحة مرشحيتها مما أثار ضجة ما أسرع ما كتمت وتلقى مثيروها تهديداً خطيراً .

وهكذا نجد أغلبية المنتخبين من لائحة الجولكار فازت بالتعسف والقسر .

وقد أسفر المؤتمر القومي للمنظمة ( لهيئتها المركزية فقط ) وقد انعقد بمدينة سرايايا ، وخيل للمشاهدين أنه مؤتمر للقوات المسلحة لاساد المؤتمر من الضباط وما استخدم فيها من تشهيلات الجيش ومعداته ، فيما أسفر ، عن هيئة إدارة مكونة من ١٧ عضواً ، سبعة منهم أي بنسبة ٤١٪ من البروتستانت والساكاوليك ، ولم تقتصر المناصب على الحكم فقط وإنما تمتاز أيضاً بأهميتها . ومن هؤلاء السبعة نذكر ستة وهم :

١ - البريجادير جنرال آ اي . مانهوروك رئيس ديوان الموظفين ،  
اختير نائباً لرئيس الهيئة المركزية .

٢ - دكتور أندوس موردويو : أميناً للشئون المالية .

٣ - يوسف واناندي ( صيني اسمه ليم بيان كي ) .

أميناً للشئون العامة والتخطيط .

٤ - كوسماس بانوبار : أميناً لشئون السكوادر والترتية .

٥ - دافيد نابي توبولو : أميناً لشئون الطلبة والشباب .

٦ - الدكتور ميحديان سيراييت : أميناً لقطاع المثقفين .

## ( ز ) الهيئة المركزية للحزب الديمقراطي الأندونيسي :

أسفر ما يمكن أن يعتبر بالمؤتمر الأول للحزب الديمقراطي الأندونيسي عن تشكيل إدارة عليا وهيئة مركزية للحزب الذي أصبح بوتقة صهر خمسة أحزاب قديمة وهي الحزب القومي الأندونيسي وحزب البروتستانت وحزب الكاثوليك وحزب الموريا ( أتباع تروتسكي ) - وحزب إيبكي الذي أنشأه في الخمسينيات ضباط الجيش الذين أحيوا إلى الاستيلاء بعد حركة أكتوبر سنة ١٩٥٢ التي قادها الجنرال ناسوتيون وفشلت .

ولقد احتل النصارى ( بروتستانت وكاثوليك ) مراكز مهمة في قيادة الحزب فقد تقرر عدد مقاعد الهيئة المركزية ٢٩ مقعداً ، توزع على أساس حجم كل من الأحزاب السابقة التي أدمجت في الحزب الديمقراطي ، وبذلك تقرر للحزب القومي ٩ مقاعد و لكل من حزب البروتستانت والكاثوليك ستة مقاعد و لكل من حزب الموريا والإيبكي ٤ مقاعد .

وبالإضافة إلى ذلك قرر جعل مقعد الأمين العام للحزب بيد البروتستانت وأسند إلى السيد سابام سيرايت .

لقد نال الكاثوليك والبروتستانت ١٢ مقعداً من أصل ٢٩ مقعداً وهذا وحده يمثل ٤١.٣٪ من المجموع . غير أنه قد احتل النصارى أيضاً مقاعد أخرى من حصة الحزب القومي وكل من حزب الموريا والإيبكي على أساس الاعتبارات الخاصة بالانتماء الحزبي وهكذا اكتمل عدد المقاعد في الهيئة المركزية للحزب الديمقراطي التي يحتلها النصارى ١٦ مقعداً من أصل ٢٩ أي بنسبة ٥٥.٥٪ من المجموع .

ولا يجوز أن ننسى أن أمثال هؤلاء المسيحيين لهم ولاء مذهل للكنيسة ( على العكس من بعض المسلمين الذين لا يرتبطون بأى ولاء إلا لمصالحهم

الخاصة) . ولا يضير هذا الولاء الكنسي الاتهام الحزبي الخاص بكل ، أى أنهم فى ممارستهم لمهامهم لا يغفلون التوجيه الكنسى وتنسيقاته

### ٣ - فى القطاع الاقتصادى :

من البدئى أن يكون النفوذ السياسى معهداً للسيطرة الاقتصادية . وهكذا كانت سيطرة النصارى فى أندونيسيا على الإدارة والحكم قد وضعت فى أيديهم مقاليد السيطرة على أزمة المال والاقتصاد . فكثير من قروض الاستثمارات الأجنبية استولى عليها البروتستانت والكاثوليك .

و يوجد هناك ( البنك الوطنى العام ) . ( بنك عموم ناشيونال ) .

وهو مؤسسة كاثوليكية ، ولذلك يحتل قطب الكاثوليك الأندونيسى اى . سى . كاسيمو مكاناً هاماً فى إدارة البنك وهو شخصية كاثوليكية معروفة بالتعصب .

وهناك الدكتور يوسف بانغلاى كيم ( بانغ لاي كيم ) Dr. Jusuf Pang Loy Kim وهو بجانب مركزه بمعهد دراسات العلوم الاجتماعية الذى يشغل مبنى شارع تانا بنغ الثالث رقم ٢٥ ) المعروف أن هذا المبنى هو عرين الجنرال على ( مورتوبو ) يمثل دور همزة الوصل بين شخصيات « بنك أندونيسيا المركزى ، وبين رجال الأعمال الصينيين » وأغلبهم من البروتستانت والكاثوليك) الذين يريدون الحصول على قروض من ذلك البنك المركزى .

بينما يقوم الدكتور يوهانس باتيستنا سومارلين الكاثوليكى ، وزير الدولة لشئون ضبط الجهاز الحكومى ، بنشاط آخر وهو تسهيل تزكية مقترحات المشروعات الكاثوليكية والبروتستانتية المعروضة على الهيئة المركزية للتخطيط الإنمائى القومى ، لأن سومارلين نائب رئيسها .

هناك عدد من الأسماء وهى نبوهان سيانغ Nyo Han Siang وليم سيوليونوع والمهندس تشيويو ترا وليم بيان كون وليم بيان كى .

وهي شخصيات عرفت بـبها من عمالقة رجال الأعمال والاقتصاد في أندونيسيا بجانب ما عرف عنهم بأنهم إما من البروتستانت أو من الكاثوليك « المتدينين » أي أنهم من الأجهزة المطبوعة لإرساليات التبشير النصراني في أندونيسيا .

وتوجد هناك مؤسسة علمية متخصصة في تطوير وبناء فنون الإدارة ، مقرها شارع ميتينغ رايا ( واحد من أحياء المترفين بجاكرتا ) يتم فيها تأهيل الطاقات الإدارية وبرغم أنه يوجد في هيئة التدريس بهذه المؤسسة عدد من المدرسين المسلمين ، أمثال السيد شفر الدين براوبرا نيقورا Sjafrudin Prawiru Negara رحمت لوليو ميسينو ، ( شفر الدين أحد أقطاب حزب مشومي ، ورحمت من أقطاب نهضة العلماء ) إلا أن هذه المؤسسة نصرانية ، رئيس هيئتها العام هو الجنرال المتقاعد الدكتور تاهي بونارسيا توبانغ Dr. Tahi Banar Sinatupang ( رئيس مجلس الكنائس الأندونيسي ، وعضو مجلس الكنائس العالمي ) ، وسكرتيرها بي . م . سيا توبانغ ومن أعضائها راديو س براويرو ( وزيرة التجارة ) . وف . اكس - سوهارتو F. Y. Soeharto وكان يمد هذه المؤسسة التعاليمية في أول نشأتها « جمعية الويسوس » الكاثولوليكية في سيارانغ ، وياباسان بوربا دانارانا البروتستانتية في سيارانغ أيضاً . ومن بين الهيئات الخارجية التي تتعاون معها مؤسسة صندوق القروض الاقتصادية الكنسية ( Econemica Church Loan Fund ) في جنيف ، ووكالة ميسوربور Miserlor للمساعدات الإنمائية في آخن بألمانيا ونجد في قطاع النشاط العامل في شركات التأمين أسماء ( نيوهان سيارانغ ) ولیم بیان کون ، ولیم کی ورودی وأنادی ( أخو لیم بیان کی أيضاً .

وقد بدلوا اسم شركة تأمينهم القديم ( ماسكاي باي اسورانسى فاديو )  
باسم جديد معناه ( مؤسسة واهانا تانا المحدودة للتأمينات ويتكون مجلس  
إدارتها من ؟

نيوهان سيانغ : رئيس مجلس الإدارة المنتدب  
دكتور يوسف نافع لاي كيم : نائب الرئيس

أعضاء مجلس إدارة	سفيان واناندى
	توماس سوبانتو
	سوهادى
	يوسف واناندى
مدير عام	سامو سوقيارسو
مديرون	رودى واناندى سنى دوى هارسونو

ومن فى أندونيسيا لا يعرف اسم (ليم سوى ليونغ) أحد المقرين إلى القصر  
إنه الآن أصبح يستعمل اسمه الجديد سودنوسالم . وقد تردد اسمه بين  
أقطاب المهربين الذين أفتلوا هربو إلى الخارج ( اسمه الصينى (Lim Svi Liong)  
واسمه الأندونيسى Svd no Salim لهذا الرجل ابن أصبح الوكيل الوحيد  
لسيارات ( فولفو ) فأصبح الآن اسمه بان دار مادى Jan Darmadi

ومن بين الأسماء اللامعة فى شركة استرا لتجارة السيارات ومصانع  
تجميعها نجد اسم ليم بيان كى أى يوسف واناندى .

وبجانب القطاع الخاص ( الأهلى ) حيث نفوذ الصينيين المسيحيين قوى ،  
نجد بعضهم يملك نفوذا فى الوزارات من ذلك فى وزارة الأشغال العامة والطاقة  
الكهربية ، فبجانب وزيرها المهندس س سونا مى نجد شخصا يعرف باسم  
( بو Po )

قوى النفوذ في الوزارة ، وله اسم أندونيسي هو مورديا .

لقد استطاع هذا الصيني الذي لم يتجاوز العقد الثالث من عمره أن ينال من ميزانية الوزارة مبلغ ٣٢٦ بايوان رويية لعام ١٩٧٦ قيمة توريدات مؤسسة كهرباء الدولة ، وقد بلغ من استفحال نفوذه وتأثيره أنه تسبب في نقل تاديبي لسبعة من رؤساء فروع إدارة الكهرباء اصطدهوا معه . وإذا صادف وجود موظف يجرؤ على أن يبدي اعتراضا على أي مقترح لهذا الصيني فسرعان ما يأتي إليه ويهمس في أذنه ( ألا تزال راغبا في البقاء في مركزك أم ترش ب في النقل ) وطبعاً لا يريد أن ينتقل فيلزم أدبه مع الصيني الشاب أنه متبني معالي الوزير سومارلين .

#### ٥ - قطاع الشؤون الاجتماعية :

لقد كان للنصارى تجارب قيمة وقدم راسخة في قطاع الشؤون الاجتماعية اكتسبته هيئات التبشير في مختلف أصقاع أندونيسيا .

ونحن الآن بسبيل تجميع مختلف المعطيات والحقائق الدقيقة لنشاط القوم في هذا الميدان ، بمساعدة إخوة لنا في الأقاليم .

على أن نشاط القوم لم يقتصر على عامة الشعب فقط ، بل استطاع أن ينفذ من خلال أسوار قصور السلاطين ، كسلطان سولو Solo بجوار الوسطى الذي أنكح بنته للمهندس المسيحي سليفانوس Sylvanus محافظ كاليتتان الوسطى ويقال إن هذه البنت كانت خطيبة لشاب مسلم وطالب جامعي ، ولكن قوى خفية أجبرت السلطان على اختطاف البنت من خطيبها لزوجها من هذا المسيحي الذي تجاوز مرحلة الشباب وتم قرانها بقصر أبيها السلطان الذي كان في يوم من الأيام مقرا « لظل الله في أرضه » ومركزا لإشعاع الإسلام ، وتم الزواج بلا مراسم كزواج إسلامي واحتفل به احتفالا باذخا



دعى إليه رئيس الجمهورية وعقيلته وكبار رجال الحكومة والسلك الدبلوماسى من جاركتنا بالطائرة حيث أرفقت تذاكر الطائرة ببطاقات الدعوة .

#### ٥ - بين أيدي الانتخابات العامة :

واليوم لما الذى أعده المسلمون لكي يستطيعوا أن يحافظوا على كياناتهم من الاضمحلال ، .

بقول المرحوم الأستاذ براورتو مانكو ساميتو آخر رئيس لحزب ماشومى قبل أن يأمر سو كارنو بحله : مهما كان عدد الجبهة الإسلامية ضئيلاً ، إذا تحددت ووقفت صامدة فلا بد أن يضطر الآخرون إلى الأخذ بعين الاعتبار واحترام موقفها ورأيها .

ولكن كيف يرجى هذا من الذين وضعوا وضعاً على قمة القيادة الإسلامية ومضوا يكتبون فى الإسلام وعن الإسلام مما يسكرب ويعقى الناس مثل ( كتاب الاسلام والسياسة والاسلام والدولة فى أندونيسيا ) يملا بالعث من السكلام والضجمل من البحوث عن الإسلام ويفضل أقوال المستشرقين باعتبارهم أعلم بالإسلام ويبحث على دراسته فى كتبهم ، ورحم الله القائل :  
ذو العقل بشى فى النعيم بعقله . : وأخو الجمالة فى الشقاوة بنعم

يقول كاتب هذا الكتاب وهو رئيس حزب الوحدة الإنمائية ( بتقديم النون على الميم) إنه لا يهيمه من الذى سيفوز فى الانتخابات القادمة فالأمريسيان عنده على الأفل ) ، أما النصارى فقد استولوا على أربعة مقاعد وزارية ، ثلاثة منها فى غاية الأهمية وهى وزارة الدفاع والأمن القومى ووزارة التجارة ووزارة غريلة الموظفين ، كما احتلوا مراكز هامة فى دواوين الحكومة ومصالحها وفى الهيئات التشريعية .

وكلها مراكز تتيح الفرصة للتوجيه والتحكم ، بجانب ماتدوره من

إيرادات ودخول مشروعة ، فاذا أضفنا إلى ذلك المساعدات الضخمة التي تتلقاها مؤسساتهم المحلية من المؤسسات التبشيرية في أوروبا التي كسدت فيها بضاعتها سواء المساعدات للتبشير أو للاقتصاد واستثمار الأموال ، فانهم لن يعجزوا عن تحقيق مخططاتهم الهادفة إلى السيطرة الشاملة وبسط النفوذ على قطاعات واسعة ومستويات مختلفة .

وعلى سبيل المثال نذكر أن منظمة ( الجول.كار ) قررت لضمان الفوز في الانتخابات أن يكون لها مرشحون من منظمة الجنود المتقاعدين ، ويبدو أن النصراري قرروا أيضاً أن يكون لهم مرشحون من هذه الفئة وأنه لضمان ذلك، يجب أن يتدخلوا في إنشاء فروع تلك المنظمة في خارج جاوا تمهيداً للنجاح واحتساباً لكل شيء ، إذ أنه من السهل أن يقدم للترشيح مرشح نصراني باسم المنظمة إذ قادتها مسيطر عليهم من النصراري . وهكذا أوفدوا كوسماس باتوبار لمنطقة سومطرا ودافيد نايتوبولو إلى شرقي أندونيسيا وكور نيولوس سيمان جونتا إلى كاليمنتان، بحجة تشكيل لجان انتخابات لمنظمة الجولكار .

ولسكن يبدو أن ما أبلغناه من نيات قد تسربت أخبارها فحدثت ردود فعل معاكسة خطيرة فقامت اعتراضات على كوسماس باتوبارا السكاو ليكي في آتشيه ، وعلى دافيد نايتوبولو في أندونيسيا الشرقية .

ولكن مخططاتهم قد استكمل جوانبه ، فالمرشح الحزبي أو العائلي لا ينجح إلا بعد أن يوافق على ترشيحه من قبل المخبرات وقائد عمليات إعادة الأمن والنظام ( كوم كام تيب ) وكلاهما شهاب الدين وأخوه أي من النصراري ( بيني مورداني وسو دومو ) فيستحيل أن يزكى أحداً إلا إذا كان على موام .

ولذلك فقد أثار العجب أن يتقدم أحد أقطاب حزب الوحدة الانمائية يستصرخ الأخوة العرب أن يساعدوا على إنقاذ أندونيسيا من أخطار

امتصاص النصارى للمسلمين وأنه يجب مساعدة حزب الوحدة الإنمائية مالياً حتى يفوز في هذه الانتخابات .

أما أن المسلمين في خطر فهو حق ، وأما أن نقول إن إتناذم بتقديم المساعدات المالية لحزب الوحدة الإنمائية حتى يفوز مرشحوه في الانتخابات ، فنقول :

هذا كلام له خبيء . معناه ليست لنا عقول .

إن المسلمين في خطر منذ عشرات السنين وقبل عشرات السنين ، منذ أيام سوكارنو حين كانوا من بين حواريه ، فالأجدر أن يكونوا آخر المسلمين الأندونيسيين إدراكاً لذلك الخطر والاستصراخ لنزع جيوب الغيورين من الموسيرين . إذن فهى كلمة حق أريد بها باطل وهل من السهل تقديم المساعدة لحزب من أجل مواجهة الإنتخاب والفرز فيه ألا يسبب ذلك قيام الحكومة بجهاز ( السكام تيب ) ضاحب السر الباع ليقمع كل ذلك ويمضى الإسلام في العناء .

الخلاصة : وبعد : فان نفوذ النصارى مستحفل يحدث ذلك بموجب مخطط تضافرت على تنفيذه قوى مؤهلة مجندة ، بل يتوقع أن يزداد استفحالاً والعياذ بالله مستقبلاً ، والذين على مقاعد السلطة من المسلمين « مستضعفين » أو عملاء وكلمة نذت صرخة عن تكالب أخطار التنصير على مسلمى أندونيسيا نجد واحداً يرفع عقيرته مكذباً أن لا خطر على الإسلام في أندونيسيا بخير ، والدليل أنه لا يزال بهامته وجبته ويتلقى الملايين يقول من يقول بمخطر التنصير على الإسلام في أندونيسيا فهو عدو التنمية وعدو الأمة وغيره كثيرون ممن وضعوا على القمة في مختلف المناصب وهم لا يساؤون ملء آذانهم نخالة ، كما يقول المازنى رحمه الله :

وكل من يجرؤ من الدماء والمبلغين والخطباء على تمذير الناس من أخطار

التبشير سرطان ما يغفل بالأصعاد فور نزوله أو عند خروجه من المسجد حيث لا يعرف له مزار خلال أيام ، ( وإن عدتم - رغم هذا الإجراء التعسقي - عدنا ) كما يقول لسان حال الساطان .

و حين يجتمع مجلس الكنائس الآندونيسى ترى أسيعيدون النظر أم سيدعمون مخططهم من أجل تنصير أندونيسيا خلال خمسين عاماً ، عن طريق السيطرة على مقدراتها ومقاليدها . علم ذلك عند ربى ورب العباد (١) .  
والآن أسأل أصحاب الباتشاسيلا بعد وضوح هذه الرؤية ، هل أصحاب هذا النشاط يؤمنون بالفاناشاسيلا ١٠٠٠ ..  
نافذة أمل :

غير أن هذه الجهود التى صورت رفض المسيحيين للفاناشاسيلا كأساس تقوم عليه إندونيسيا العلمانية قد وجدت واحداً من أبناء إندونيسيا أنفسهم يجابهونها وهو الجنرال عالم شاه وزير الشؤون الدينية الحالى .

ولقد قابلته مع الوفد الذى أرسله فضيلة مولانا الإمام الأكبر الراحل الشيخ عبد الحلیم محمود رضى الله عنه للمشاركة فى أعمال المؤتمر الأربعين للجماعة المحمدية .. وكان الوزير يومها غاضباً مما ينشر عن تنصير أندونيسيا بالصحافة العربية وذكر أنه بصدد قرار مانخصه :

١ - أنه لا يجوز نشر دين من الأديان وسط جماعة متدينة بدين من الأديان .

٢ - أنه لا يجوز نشر الدين بأساليب خداعة تستغل مواقف الضعف البشرى .

---

(١) هذا التقرير قامت به هيئة علمية فى جاكرتا عام ١٩٧٦ م .

٣ — أن كل المساعدات والمعونات التي تقدم لأصحاب الأديان يجب أن تكون عن طريق الوزارة .

٤ — بوجه التبشير بالأديان داخل الجماعة غير المتدبنة أصلاً ..

و كان الوزير صادقاً فيما وعدنا به فأصدر عدة قرارات وهي :

القرار رقم ٤٤ لسنة ١٩٧١ م ويتضمن :

عدم ضرورة الحصول على إذن مسبق من وزارة الشؤون الدينية لإلقاء الأحاديث الدينية مادامت هذه الأحاديث لا تتعرض للتنمية الوطنية ولا تتعارض مع الفاناشاسيلا ودستور عام ١٩٤٥ .

يحرم على أي طائفة القيام بنشاط تبشيري بين معتنقي الديانات الأخرى سواء عن طريق تقديم هدايا أو توزيع نشرات أو الزيارات التي يقوم بها المبشرون للمازل .

القرار رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٨ .

لا تتم مساعدات من الحكومات الأجنبية أو الهيئات الأجنبية إلا عن طريق وزارة الشؤون الدينية

وهذه القرارات مهمتها تجميد النشاط التبشيري العلني وسط الأمة الإسلامية .. ولسكنها لا تمنع من التبشير السري الذي يملك في الدولة سلطة من المحابرات والوراء والقانونيين وأعضاء مجالس الشعب .

ومع هذا فقد رفض المسيحيون هذه القرارات، وأعلن المسلمون الترحيب بها في يوم الأحد ١٧ من سبتمبر ١٩٨٧ م فقد عقد دولة الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية مؤتمراً في مشهد الفرقان بجاكارتا أعلن فيه موافقته على هذه القرارات وأيد مسالك الجنرال عالم شاه

وأهاب بالأمة الإسلامية في أندونيسيا أن يكون كل بيت من بيوت المسلمين  
معقلاً وحصناً للإسلام الحنيف .

وهكذا يتبخر الأمل من إنشاء دولة إسلامية في أندونيسيا إلى نافذة  
صغيرة هي تلك القرارات التي تحمي بيوت المسلمين في أندونيسيا من التنصير  
الكاثوليكي والبروتستانتي .

فلم يؤخذ المسلمون الراضون لمبادئ الفاشيستيلا بحد السيف والإعدام  
والتشريد وهم أصحاب الجهاد المقدس الذي أحرزت به أندونيسيا استقلالها؟  
في حين أن غير المسلمين شيوعيين أو قوهيين أو مسيحيين يعادون  
الفاشيستيلا سلوكياً ومع هذا فهم المنعمون المالكون المترهبون على عرش  
الحياة في أندونيسيا؟؟؟

أمن العدل أن يعدم المجاهدون في سبيل الحرية والاستقلال؟

بينما ينعم الخونة بالحياة في جو الحربة التي سعى إليها المسلمون المجاهدون؟  
إن نافذة صغيرة تفتح اليوم لتحمي بيوت المسلمين من مشاغبات التبشير  
سوف تكون في الغد إن شاء الله شمس الإسلام الحنيف على دولة الإسلام  
في أندونيسيا المعززة ...

وإننا انضم صوتنا إلى صوت السيد الوزير الجنرال عالم شاه كمرحلة تضيء  
الطريق ، ونضم صوتنا إلى صوت دولة الدكتور محمد ناصر لتقوم دولة  
أندونيسيا الإسلامية والله غالب على أمره إن شاء الله ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون ..

## الحكم الذاتي للمسلمي الفيليبين حق يقرره التاريخ

لم يعرف التاريخ أمة من الأمم تعيش منذ القرن السادس عشر حتى اليوم وهي صابرة محتسبة في الدفاع عن دينها وعرضها وديارها مثل أمة الإسلام في جزر : منبولاس التي اغتصبها مسيحيو أسبانيا وسموها باسم ملكهم « الفيليبين » .

ذلك أن الإسلام قد دخل إلى هذه الجزر في القرون الوسطى قبل اتصال الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي الذي عاد منه بروح الصليب تحطم قيم الإسلام ودوله ، وكان من أشد أنواع البلاء التي نزلت بالإسلام في منطقة جنوب شرقي آسيا ماجره ماجلان على المنطقة من استعمار صليبي يحاول أن يقضي على الإسلام والمسلمين ويستولي الصليبيون على ممالك الإسلام وخيرات بلاده في هذا الشرق البعيد

وتبدأ القصة بدخول الإسلام إلى جنوب شرقي آسيا منذ القرن التاسع الميلادي حيث بدأت بشار البناء الإسلامي تبدو في إقامة دولة فاساي Pasai بسومطرة الشمالية أسسها رجل يسمى : سري فادوكا جوهن شاه عام ١٢٠٥م وقامت على الشاطئ المقابل لها من مضيق « ملاكا » دولة ملاكا Melaka بماليزيا أسسها الملك محمد شاه في عام ١٣٦١ م على أحد الأقوال .

وفي جاوا قامت مملكة ديماق Demak أسسها العالم المسلم المجاهد : الشريف فتح الله عام ١٥١٨ .

ثم قامت مملكة جهور Johor جنوب ماليزيا وهي التي تعتبر البوغاز الوحيد لنشر الإسلام في جزر « ما نبولاس » .

فلقد كادت الروايات تتفق على أن الدعوة إلى الله اتجهوا من «جمهور» إلى جزر «مانبولاس» لنشر الإسلام في هذه الجزر القابعة في المحيط الهادئ. يقول البرفيسور «تن سري عبد الجليل حسن» عميد السككية الإسلامية بالملايو سابقاً : من ولاية جمهور إحدى ولايات ماليزيا:

خرج الشيخ الشريف محمد بن علي بن زيد العابدين لنشر الإسلام في جزر الأرخبيل بعد أن تزوج وأنجب أولاداً : أحمد ، وعلوى ، وكبسونان .

\* أما أحمد فقد أسس سلطنة إسلامية في بروناي .

\* وأما علوى فأسس دولة في سولو --- بالتيباين .

\* وأما كبسونان فقد أسس دولة في منداناو --- بالتيباين .

#### الدولة الإسلامية في سولو :

يرجع تاريخ تأسيس هذه الدولة إلى عام ١٣٨٠ م بعد أن وصل الشيخ شريف كريم مخدوم إلى سولو وكانت تعرف باسم : « سيهوانول » وأخذ الشيخ في نشر الإسلام متنقلاً بين الأهالي من جزيرة إلى جزيرة حتى توفي فخذه رجلان : سيد أبو بكر بن الشريف محمد بن علي الذي جاء من الماسكة الإسلامية في جمهوره وراج باغندا أحد أمراء « مانسكاو » بسومطرة .

وظل الرجلان يدعوان إلى الله حتى وجد الشريف سيد أبو بكر أن المسلمين أصبحوا في حاجة إلى مجمع سياسي ونظام اجتماعي موحد فأعان قيام الدولة الإسلامية في سولو عام ١٤٥٠ م وتزوج من الأهيرة : براهيسولى ابنة الملك الداعية بأوغندا ... ومن بعد الشريف أبو بكر تولى السلطنة رجال على غرارهم جسماً وورثاً وجهاداً وإيماناً ، ولا تزال سولو إلى اليوم تسمى حى الإسلام الحنيف وسط الزحام الكثيف من حرب الإبادة الذي شنته حكومة ماركوس الحديث .



## الدولة الإسلامية في منداناو :

« منداناو » أو « كوتاباتو » إطلان على الجزء الجنوبي الغربي لجزيرة :  
منداناو .

ويرجع تاريخ بناء الدولة الإسلامية في هذه الجزيرة إلى عام ١٣٧٥ مع نزول الشريف كفسوان الأخ الأصغر للشريف سييد أبو بكر سلطان سولو .

يروى أن الشريف كفسوان نزل أول ما نزل في منطقة تسمى : « نيتو ندانان » على مقربة من نهر « منداناو » ، وفي هذه المنطقة التقى مع وجهين من رجال الوثنية فاتفقوا جميعاً على الصحبة ، فساروا إلى « ماجنداناو » التي هي الآن كوتاباتو وفضل ما نشر كفسوان من تعاليم الدين الحنيف أسلم أحد الرجلين « تابوناوى » وتزوج الشريف من ابنته « فوترى تونينا » فأنجبت هذه السيدة ثلاث فتيات وكن زوجات لثلاثة أمراء حكوا ثلاث إمارات هي :

إمارة بوايان التي تعرف الآن باسم : كورونادا .

إمارة كابوتالان التي تعرف الآن باسم : تومباو .

إمارة ماجنداناو والتي قامت على أتقضاها مدينة : كوتاباتو حالياً .

ومن هذه الكلمة « ماجنداناو » اشتقت كلمة « منداناو » وهي المنطقة الإدارية الثالثة لجمهورية الفلبين الحالية .

يضاف إلى هذا أن الحكم الإسلامى لهذه الدولة أخذ يوسع رقعة الإسلام في جزر مانيلا والكثير المتعددة فكانت دولة سياسية وكانت دولة للدعوة فهي دولة للعلم وهي دولة للإيمان .

## الدولة الإسلامية في لاناو :

يعود بناء هذه الدولة إلى جهود الداعية العربي المسلم الشريف علوى أحد أبناء الشريف محمد بن على بن زين العابدين سلطان جهور فقد استقر بالشريف علوى المقام في منطقة « لاناو » واختار مدينة « تاجولوان » مركزاً لنشر رسالته حتى وصل إلى نهر « لاناو » وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً بما وهبه الله لهذا الداعية من البركة وحسن الدعوة وجليل الشئامل .

وإذن فإن الاسلام منذ بناء دولة فاساي ١٢٩٥ م ودولة سولو ١٣٨٠ له وجود تاريخي في منطقة جنوب شرقي آسيا لاسيما الجزر التي كان اسمها قديماً :  
١٠ : زيلاب زامبانيه إلا بعد الغزو الصليبي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي .

## الغزو الصليبي :

ليس من هدف التاريخ للغزو الصليبي على المسلمين في جنوب شرقي آسيا أو على المسلمين في جزر « مانبولاس » بقدر ما هو من هدف يريد أن يوضح تكاثر الصليبيون على الاسلام لدحر الاسلام وإخراجه من الشرق كما أخرجوه من الغرب .

فلم تكن الكشوف الجغرافية إلا صدى لأحفاد مسيحي شبه جزيرة أسبانيا التي تمخضت عن ثلاث دول بعد خروج الإسلام هي :

هولاندا .

البرتغال .

أسبانيا .

فقد استغل ملوك هذه الدول روح التعصب المسيحي ضد الاسلام فعملوا

على تطويقه ومحاصرته فكانت الكشوف الجغرافية للبحث عن أسباب قوة المسلمين في كل بقعة للقضاء عليهم .

ولذا نجد الظاهرة الواضحة في إحتلال الموانئ الإسلامية في هذا الشرق البعيد من أسبانيا ، والبرتغال وهولاندا ... كأنما القسمة كانت معدة وحمل الموج عبر المحيطات بواخر الغزو الصليبي إلى الضياع والممتلكات التي إنتهى إليها التقسيم .

فقد نزلت جنود البرتغال موانئ ملاكا بمايزيا عام ١٥١١ م .

ونزلت سفن ماجلان شاطيء مانبولاس عام ١٥٢١ م .

ودخل الهولنديون أندونيسيا عام ١٦٠٦ م باسم التجارة ثم إستعمروها حتى عام ١٩٤٥ م .

والمطالعون لتاريخ الحروب الصليبية في هذه المنطقة يقفون على حقيقة عالمية هي أن ماجلان خرج في ٢٠ سبتمبر سنة ١٥١٩ وهو يعتقد أنه صاحب الحق الأول في إمتلاك أرض الله ، وليس لأحد حق في مقاومته لأنه مفوض من قبل الكنيسة في نشر المسيحية حسب الصكوك التي كان يرمها رجال الكنيسة لعلماء الكشوف الجغرافية ، ووصل ماجلان إلى جزر « مانبولاس » في ١٦ مارس سنة ١٥٢١ وهو لا يعلم أسمها ولا طبيعة البلاد ولا دياناتها غير أنه فوجيء بحرب عنيفة لم تسمح له بالحياة فقد قتل وسط مئات رجاله الذين لقوا حتفهم في موقعة « ماكمان » وعادت سفينته تلبس ثوب الحداد حزناً عليه وعلى آماله العراض التي ضاعت .

ولكن أسبانيا لم تهدأ فقد أرسلت عدة حملات عسكرية للقضاء على الإسلام الذي تنفك دم الغازي « ماجلان » فأرسلوا :

١ - حملة عام ١٥٢٥ م بقيادة جارسيدى لوبا

٢ - حملة عام ١٥٢٧ م بقيادة الفاروذي سافيدا .

٣ - حملة عام ١٥٤٢ م بقيادة روى لوجز دى فيلالوبوس .

وهذه الحملة هي التي أطلقت على ممالك المسلمين المسماة قديماً مانبولاس ، امم : الفيلبين وهو اسم مشتق من اسم ملك أسبانيا في ذلك الوقت فيليب الثاني ولم تسقط الحكومة الإسلامية في جزر الفيليبين إلا عام ١٥٧١ م بعد أن سقطت أمارتا : توندو ، وباسيج ولكن سولو الإسلامية قاومت الغزو ومازالت تقاوم حتى اليوم .

وفشل الإستعمار الأسباني في السيطرة على المسلمين في الحكومات الباقية حتى جاء الاستعمار الأمريكي واتخذ من الفيلبين قاعدته لأسطولها في الشرق الأقصى وتجمد الوضع وبقى المسلمون في مناطقهم لا يخضعون لحكم .

فلم تقع سولو ، ولا منداناو تحت سيطرة سياشه لأى لون من الإستعمار فقد قاوم المسلمون الاستعمار الأمريكي حتى إنتهى الأمر إلى توقيع معاهدة في عام ١٩١٥ مع سلطان سولو « جمال الكرام الثاني » ومعنى توقيع المعاهدة إقرار من أمريكا بولاية المسلمين على سولو وما يتبعها من بلاد ولهذا أنشأت أمريكا وزارة خاصة بشؤون المسلمين وسميت بوزارت المناطق الإسلامية السبع وهي :

سولو ، لاناو ، كوتاباتو ، زمبوانجا ، أبا أغوش ، بوكيدنون .  
وهذا يؤكده حق المسلمين في وطنهم المستقبل ، ويمنحهم الشرعية في المطالبة بالحكم الذاتي لأوطانهم التي عاشوا فيها منذ عدة قرون .

ولكن الخيانات السياسية لا تعرف حقاً ولا حقوقاً فقد ملت الحكومة هذه الوزارة عام ١٩٢٠ وضمت أعمالها إلى مكتب شؤون القبائل غير المسيحية .  
وفي يوليو عام ١٩٤٦ م أعان إستقلال الفيلبين وبفاجأ المسلمون بأنهم

قد دخلوا تبعاً للدولة الجديدة فبدأ الجهاد المقدس ، وبدأت الحكومة في حرب  
الإبادة لإجلاء المناطق الإسلامية من المسلمين ووضع مستوطنين مسيحيين في  
بلادهم... ومازالت المعركة دائرة ، وإرتفع صوت الأزهر ينادي المسلمين في  
شتى أنحاء العالم ليهبوا لمساعدة إخوانهم المسلمين ولكن إنشغال المسلمين  
بأحداث معارك العرب مع إسرائيل لم تجعل لأنين المسامين في القيليين  
صدي يسمع .

وما زال المسلمون يطالبون بالحكم الذاتي لأنهم أصحاب هذه الأرض من  
قبل أن يفزروها ماجلان ، لأنهم أصحاب هذا الدين من قبل أن يولد رئيس  
جمهورية مسيحي ، ولأنهم أصحاب دولة إسلامية من قبل أن يظأ المستعمر  
الأبيض أرض السمر الميسامين وإن لله في كل طرفة عين مائة ألف فرج  
قريب ، ولسوف يتقن الله على مسلمي القيليين بالنصر المبين إن شاء الله .

## الاسراء والمعراج في تصور الدعوة الاسلامية

والدروس المستفادة منه

أولاً : تصور الدعوة للاسراء والمعراج :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع « البصير . . . أول سورة الاسراء -

« فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفطارونه على ما يرى ) ٠٠ ( ١٠ : ١٢ سورة النجم » .

« . . . وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك إلا فتنة للناس . . . »  
( من آية ٦٠ الاسراء )

وظيفة الدعوة الأولى هي أن تنشئ نظاماً يتبع المنهاج الإسلامى الذى اختاره الله .

وهذا النظام يحتاج فى نشائه إلى أمة تمثله وتقوم عليه . . . وغاية المنهاج الإسلامى هي عبودية الناس لربهم وحده ، وهذا يستلزم القضاء على الجاهلية ، والجاهلية فى أى عصر هي عبودية الناس للناس ، وأساس العبودية فى كلتا الحالتين هو الخضوع للتشريع . . . .

وعبودية الناس جميعاً لله وحده تكون بتلقينهم منه وحده العقيدة والشريعة والأخلاق وموازن التعاشر الاجتماعى . . . .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين » . . . ( ١٨ : ١٩ سورة الجاثية )

والإسلام بهذا المفهوم هو تكريم للانسان وتحرير له من سلطة الانسان المتجبر .

والدعوة الإسلامية في مكة قد حوصرت وسد في وجهها الطريق فكان لابد من بحث عن قاعدة جديدة تنتقل إليها الجماعة التي حققت العبودية لله ، وكان لابد من التأكد من سلامة كل أفراد الجماعة وصلاحياتهم لهذه النقلة التي ستنشئ منهاجاً جديداً في مواجهة أعداء الله حتى تنفذ مراحل الدعوة مستقبلها في جو مأمون من الاضطراب بعيد عن التهم منزه عن المطاعن ، فكان لابد من اختبار المسلمين عامة في مكة من أجل انتخاب القيادة الراشدة التي ستنتقل مع النبي - ﷺ - إلى المدينة المنورة ، وكانت مادة الامتحان من نوع غريب يهدف إل إبراز مدى إيمان الفرد المسلم ومقدار تمسكه بدينه .

لقد كانت غاية هذا الامتحان هي التعرف على مدى استسلام الوجه لله من كل فرد ، واختبار عقله ووجدانه إلى أي مدى يستجيب للنص المعصوم فكان حدث الاسراء والمعراج هو مادة الامتحان ، وإلى ذلك أشار الإمام القشيري - رضى الله عنه - في رسالته بجملة قصيرة قال : فجعل ذلك بالليل امتحانا للخلق .

واقدر كان من الثمار التي جنتها الأمة الإسلامية والتي كانت من مقاصد إذاعة النبأ ، انفصال ضعاف النفوس والشاكين والمترددین ، انفصال كل هؤلاء عن الأمة الإسلامية الناشئة . . . لقد كفر - عند سماع النبأ - من كفر بعد إسلامه ، وإرتد من إرتد بعد إيمانه وما كان هؤلاء - لو بقوا - إلا عاملاً من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملاً من عوامل القوة ، أن

هؤلاء المسكين الذين آمنوا وصبروا على الحوادث الناسية ، على التعذيب وعلى الآلام وعلى الفتنة في جميع مظاهرها . .

إن هؤلاء المسكين الذين صبروا ، وصابروا ، وتخاصمت أنفسهم من جميع النزعات المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خالصة لله وحده . .

إن هؤلاء المسكين الذين كان في تقدير الله سبحانه وتعالى أن تقوم عليهم الدولة في نشأتها ، والذين من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيبين لأن يصددوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات .

نقول : أن هؤلاء المسكين يجب أن يصفوا تصفية كاملة ومن وسائل هذه التصفية اعلان نأب الاسراء والمعراج لينتكس من ينتكس ، وليبقى من يبقى عن بصيرة وبينة وعن إيمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث ، إيمان بصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه في كل ما يأتي به ، يصدقه بمجرد أنبائه . .

والمثل الأعلى في كل ذلك إنما هو سيدنا أبو بكر - رضى الله تعالى عنه حينما يعلن في غير تردد ولا فتور :

لئن كان قال قاله فقد صدق ؟ فما يوجبكم من ذلك ؟ فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه . . .

لقد كان حادث الاسراء والمعراج محور تمحيص للصادقين في إيمانهم والسطحيين في تصورهم للحقيقة الايمان ، فان من صدق بذبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد آمن باتصاله بالوحى ، والقرآن يأتي من عند الله يحمله الوحى ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يتلوه على الناس ويخبرهم بأن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى والذين آمنوا يصدقون ذلك مع أنهم لا يرون وحيا ينزل ويصدق ،



ولكنهم يرون آثاره على النبي - ﷺ - وهو يتفصد عرفاً في اليوم الشديد البرد ويسمعون بعد ذلك قرآناً تنجذب إليه نفوسهم وتتشعر له جلودهم وتاين له قلوبهم ، ومقتضى هذا إذن الإيمان بالنبوة وبالوحي وهذا يستلزم الاعتقاد بأن هناك صلة عليا خارقة للعادة بين النبي - ﷺ - وبين ربه جل وعلا ، وإذن فلا ضير أهدأ أن تنقلب صورة اللقاء بالوحي وتبديل الحركة من عل إلى أسفل فتصير من أسفل إلى عل ...

الحركة الأولى يحمل فيها جبريل قرآناً إلى النبي - ﷺ ...

والحركة الثانية جاء ليحمل فيها مجداً ﷺ إلى سدره المنتهى ...

فان كلا من الحركتين في التصور الإيماني السليم متعادلتان ...

وحركة الوحي مطلقاً نزولاً أو صعوداً من ضمنيات الإيمان بالوحي الذي يأتي إلى الرسول - ﷺ - مراراً وتكراراً ، وهي من غير شك حركة فوق تصور العقل حتى ولو تقدمت الأبحاث التكنولوجية لأنه لا يمكن للبشر أن يحدد مبدأ حركة الوحي من عل ومبدأ صعوده مرة أخرى ...

إن تحديد نقطة تحرك الوحي ذهاباً وإياباً فوق جميع المستويات العلمية والعقلية فهي سمعية لا تحتاج إلى دليل ...

والمؤمن الصحيح يتصور كم من بلايين المسافات والأجواء والأجرام قد قطعها سيدنا جبريل عليه السلام في أقل من لحظة بصر وهو يسعى إلى النبي - ﷺ - ليبلغه وحيّاً من عند الله فاذا ما قيل لهذا المؤمن الصحيح أن النبي - ﷺ - صعد في مثل هذه اللحظة إلى السموات العلا لم يجد في ذلك غرابة ، وقد قرب سيدنا أبو بكر هذه الحقيقة إلى الناس : إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعده مما تعجبون به

فهو أمر لا يخرج عن حقيقة ما وعاد القلب الصادق من معنى الإيمان ومداه ومن هنا كانت نقطة الاختبار والامتحان لمن كان له إيمان ثابت ويقين مستقر وإذعان مستسلم فأمن وصدق ورضى ، وكانت نقطة الاختبار والامتحان كذلك لمن فكر وقدر وعبس وبسر وزين له سوء عمله فراه حسناً ، فاستبعد وإستكبر وحول هذا يقول ابن هشام : ( وكان مسراه وما ذكر عنه بلاء وتمحيصاً وأمر آمن أمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الأبواب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد . . . )

لقد كان حادث الاسراء والمعراج إمتحاناً وإبلاء لمراتب الثمانية الإسلامية وتهديباً لها من ضعاف البصيرة واليقين إستعداداً للهجرة ومنهجاً جديداً يستعد فيه الحق للوقوف الناضل . . .

وهذه قاعدة ينبغي أن تلاحظ دائماً في تنظيمات الجماعات التي تدعى لنفسها أنها تتصدي لتبليغ دعوة الله ، فكلم من منافق يندس ليخرب وكم من ماجن يتسرب ليفسد وكم من واهي العقيدة يهرق ، وكم من دنيوى يسعد أن يبيع آخرته ودعوته ودينه بعرض بنحو زهيد ، وكم من شيوعي ماجد يندس وسط المسلمين ليخرب ويشوش . . . ؟

وفي ضوء حادث الاسراء والمعراج ما يتصل به مرحلة التمهيد الدعوة الإسلامية فإن الميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء ليؤمنن بمحمد ولينصرنه قد هيأ الله له فرصة يعان فيها الأنبياء جميعاً إيمانهم بالنبي الخاتم ويأتون به من صلاة تعان وحدة الرسالة ووحدة الهدف الذي سعى به هذا الموكب الجليل .

يقول ابن هشام :

( فمضى رسول الله - ﷺ - ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر الأنبياء فأمرهم رسول الله - ﷺ - فصلى بهم ...

وفي الخافية :

( ولما أقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفًا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده - ﷺ - فقدمه فصلى بهم ركعتين .. )

« سبحان الذي أسرى بعبده » ..

« فأوحى إلى عبده ما أوحى » ..

لقد حقق سيدنا محمد - ﷺ - مدلول العبودية لله وقابل كل موجات الاعتداء بالصبر الجميل والثبات المسكين فهو الرابى الكامل والعبء الكامل فى ربانيته وعبوديته لله رب العالمين ، فما جزاء المحقق للعبودية وقد غاب عنه حبيباه : عمه وزوجه وتكأ كأت عليه الأعدى .. ؟

لقد كانت آخر موجة الغضب الجاهلى صببية من بنى ثقيف من الطائف ترميه بالحجارة حتى دمت قدماه الشريفتان ، وسامحهم ودما لهم بالهدى ، أفلا يستحق هذا العبد الذى وصف وحده : بهذا النعت ( عبده ) : عبده فى الاسراء وعبده فى سدره المنتهى فلم يخرج محمد - ﷺ - عن العبودية لله وحده .

أفلا يستحق دون سائر البشر جميعاً أن تحمله الملائكة على البراق ليصلى أماماً بكل الأنبياء ؟ .

ولم يخرج محمد - ﷺ - طرفة عين عن العبودية لله وحده .

أفلا يستحق أن تقف له الأنبياء والملائكة وأهل السموات جميعاً  
ينتظرون مقدمه عند سدرة المنتهى ، حيث يكون هو وحده « عبد الله »  
حيث يكون ( عبده ) .

لقد حقق هذا النبي العظيم العبودية لله .

حققها رافة وسكينة ...

حققها قلباً ورحاً ...

حققها صفحاً ودماء ...

حققها صبراً ورضاً ...

حققها تبليغاً وأمانة ...

حققها سماحة وحنواً ...

حققها كمالاً وخلقاً ... الخ .

لما جزاه هذا عند ربه الكريم ؟

أما الامام القشيري رضى الله عنه فقد أشرق بالجواب اشراق العارفين  
يقول : ( أن الملك العظيم إذا أراد تخصيص أحد عباده وولى من أوليائه  
أشده من أملاكه وخزائنه ما أخفاه عن غيره ليدل بذلك على تخصيصه .

كذلك الحق سبحانه وتعالى لما أراد اكرام المصطفى - ﷺ - أطامه  
على كثير من الخلوقات ما لم يشهده غير تخصيصها له وتشريفها ومن ذلك : أنه  
لما طوى له الأرض فأراه مشارقها ومغاربها ، كذلك أراه : الملكوت  
والسموات والجنة والنار تلك الليلة إلا ليزداد به اعتباراً على اعتبار واستبصاراً  
على استبصار ...

إن مسألة المعراج في جوهرها عندما نلاحظ العلاقة بين الله وبين نبيه هي كما قالها الأستاذ أبو علي الدقاق رضى الله عنه :

( ليعرفه أنه لا رتبة لأحد فوق رتبته فيكون أبلغ في باب كرامته ) .

ولا يمر الإسراء والمراج كحدثين مضميا في التاريخ القديم ولسكنهما كانا كمنهج حياة في العقيدة والأخلاق من جانب ثم يكونان دائما من دلائل النبوة الخاتمة للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أخبر عن أحداث ستقع في مستقبل هذه الأمة رآها بعينه في الجنة وفي النار فأخبر عنها ليتقيها الورعون ، وليصلحها المصلحون أو لينتهي عنها الآثمون وليفقهها الداعون لينذروا قومهم لعلمهم يحذرون . .

أما النعمة العظمى والتجلى الإلهي الأكبر في ليلة الإسراء والمعراج فانه الصلاة إن الصلاة هي الشرف الأسمى للإنسان فهي تصله بالله سبحانه ، وهي الوسيلة إلى رضوانه ، وباب الفتوح والقبول ، وهي المعراج الروحي الذي تتصل فيه أرواح العباد الأطهار بخالقهم جل وعلا . .

إنها لحظة المناجاة التي لا تحتاج إلى وسيط ولا شفيع ، إنها القربى إلى الله جل وعلا شأنه بأنس فيها القلب بربه وتصل فيها الروح ببارئها وتستريح من وعناء السفر في الحياة ، وتهدأ من صخب الشهوات ، وتنجو من وسواس الشيطان .

وقد شاء الله تعالى أن يشرع تنظيم الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة من عند سدرة المنتهى لأنها فقط العبادة التي تصعد إلى الله مع الملائكة الذين يتعاقبون في الليل والنهار وهي وحدها ، الصلاة التي تحقق العبودية لله ، تسجد الجباه والأيدي والركب والأقدام ويسجد القاب والعقل والفؤاد لإجلاله وتعاليها وتمجيدا لله رب العالمين ، وهنزة الصلاة رفيعة تهبط شرعيتها من منزلة تماويلها من عند سدرة المنتهى . .

إن الصلاة حبل واصل بين الطائعين في الأرض وخالقهم الأعلى والحبل الذي يصل بين الله وعباده هو الذي يرتضيه لهم ونوع الصلاة التي يتعبد بها المسلم لا يملك أن يقترحها إنما نلغى إليه كما يشاء الله .

ولهذا انتدب الله عز وجل حبيبه مهدياً — صلى الله عليه وسلم — في ليلة الاسراء والمعراج ليوحى إليه تنظيم الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة . إعلاناً بما للصلاة من منزلة عند الله وما لها من منزلة عند الطائعين وما لها من حقوق يجب أن تراعى ، وهي الغرض الوحيد الذي لا يسقط عن الصحيح والمريض والمسافر والمجاهد ، ولهذا كانت عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي الفاصل بين المسلم والكافر وهي النور الذي يملأ القلب والمسجد والبيت وهي بركة العمر والرزق والعافية والعلم .

لقد كانت غاية الحدث الجليل : الاسراء ، والمعراج تصفية لروح الجماعة الاسلامية التي ستتولى القيادة الراشدة قريبا تميزاً لنقله بالهجرة من مكة إلى الصادقة حيث تهاجر العناصر القوية التي نجت بامتياز في هذا الاختبار الدقيق لأنها — وحدها يوم أن ينضم إلى منهج التبليغ حد السيف — تستطيع أن تبرهن على أن الجهاد بالسيف ليس وراءه طمع مادي ولا شهوة في شهرة ولا رغبة في اكتساب أرض أو استعمار قطر ، وإنما فقط لتكون كلمة الله هي العليا ولتكون العبودية وظيفته البشر ، قد وجدت لها مناخا يحقق فيه الناس عبادتهم لله الواحد القهار .

وبعد :

فان الدرس العملي الذي ينبغي أن يعيه شبابنا المعاصر هو : أن يتفحصوا أعضاء أسرهم وأفراد معسكراتهم وأساتذة توجيههم حتى تسلم حركة الدعوة

من الدخلاء الذين يبيتون لها بالحق والمكر كل سوء فقد علمنا القرآن الكريم  
أسلوب هؤلاء القوم ، يقول الله تعالى فيهم :

« لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الذنبة  
وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » .

( ٤٧ - التوبة )

ولقد كان حادث الاسراء والمراج علامة على طريق الدعوة ليجيا من  
حى عن بيعة فليعتبر الدعاة ، وليستيقظ شبابنا المسلم .

## ثانياً — دروس من الإسراء والمعراج :

من أمتيازات خوارق العادات في ظل الدين الخاتم أن المعجزات لا تمر لتقرع العقل في حين واحد من الزمن فتدك أعناق الجاحد وتأخذ بيد المستعدين للهداية وتقوى إيمان الذين صدقوا بلى أن المعجزات في ظل الدعوة الإسلامية تمتدوظائفها امتداد الدعوة فتظل تعطى للمؤمنين وغيرهم على السواء دروساً وعبراً كما ينهدر الماء العذب السلسبيل من علو مرتفع ثم يمضي في طريقه ليروي الأكارب الضامئة ويسقي الحقول المحترقة ويزين الأرض خضرة وبهجة .

ولقد كان حدث الإسراء والمعراج فعلاً خارقاً للعادة وسيظل أمرهما فوق تقدم العلم والتكنولوجيا فعلاً معجزاً في كل شيء . لأنه حدث له دلائل يستشف منها دروس تنفع المسلمين مادام على الأرض إنسان يشهد أن لا إله إلا الله .

### الدرس الأول : الالتزام والتسليم .

والدرس الأول الذي نستخلصه من حادث الإسراء والمعراج هو الالتزام بمبادئ التصديق الذي أعلنه المسلم أنه يصدق محمداً ﷺ في تلقيه الوحي والرسالة من عند الله ...

فاذا كانت العقيدة صادقة والتم صاحبها بالاستمرار في هذا الصديق تجاه صاحب الرسالة فانه لا يحاول عن هذا التصديق وهذا الصديق شيء منها كانت الأحوال والملايسات التي تحاول أن تعوق صدقه وإيمانه وقد ظهر ذلك جلياً



في موقف سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه عندما أخبره القوم وهم في حالة دهشة ، لقد قال لهم : « لئن كان قاله فقد صدق ؟ فما به جيبكم من ذلك ؟ فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه » أ . ه .

لقد كان صدق أبي بكر وتصديقه للنبي ﷺ على مستوى التزام لكل ما يترتب على ذلك التصديق وذاك الصدق من شتى الأمور ، ذلك لأنه أستقر في طمأنينة على أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً ، فانه يأتيه الوحي وأن خبره صادق ومعصوم .. وعلى هذا فكل ما يقوله فهو حق وهو صدق وما عليه بناء على صدقه وتصديقه إلا أن يؤمن بمجرد أن يقول محمد ﷺ خبراً ما غيبياً أو غير غيبي .

واستقر في علم الدعوة أن الالتزام هو السمة الخاصة في تربية القيادة للعمل الإسلامي ، وأن أي جماعة إسلامية لا تضع في حسابها إعداد القيادة على هذا المستوى فقد تجاوزت مع أول الدروس الاستفادة من معجزة الاسراء والمعراج .

الدرس الثاني : وحدة العقيدة وأفراد الله بالعبادة :

تقول الروايات المعنية بسرد وقائع الاسراء والمعراج أن النبي ﷺ صلى بالأنبياء جميعاً إماماً .

لقد ائتموا به وكان لهم إماماً .. من هذه الامامة نستخلص درساً أساسياً مقصوداً في حادث الاسراء والمعراج ذلكم الدرس هو أن عقيدة الأنبياء واحدة ، أنهم جميعاً يدعون إلى توحيد الله تعالى وتزويجه عن كل ما يغيره ذاتاً وصفات وأفعالا .

إنه جل جلاله هو مالك الملك ، وهو وحده خالق كل شيء ، وهو

وحده الآخذ بنواصي المخلوقات كلها ، وهو وحده جل شأنه على كل شيء حفيظ ..

إنه وحده الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له ولا ولد ..

لقد أتحدت عقيدة الأنبياء جميعاً وصلوا خلف خاتمهم الذي جاء ليصحح ما أفسده الاتباع الذين لم ياتزموا بما يوجهه مبدأ التصديق بالأنبياء ، لقد جاء ليصحح العقيدة تلك العقيدة التي حملها جميع الأنبياء إلى البشرية يقول الله تعالى ..

« واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أبعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » .  
(٤٥ - الزخرف)

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . .  
(٢٥ - الأنبياء)

« قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين .

قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم لكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .  
(١٠ - ١١ إبراهيم)

وأهمية هذا الدرس أنه يتواءم تماماً مع دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب والعرب إلى تصحيح العقيدة وإبطال مزاعم أن لله ولدا سواء كان الولد في مفهوم العرب الذين قالوا : أن الملائكة بنات الله ، أو في مفهوم اليهود الذين قالوا : عزير بن الله ، أو في مفهوم النصارى الذين قالوا : إن

عيسى ابن الله فاذا ما وقف أنبياء هذه الأمم مأمومين خلف سيدنا رسول الله ﷺ في المسجد الأقصى فقد أعلن أنبيأؤهم وحدة العقيدة التي جاؤا بها وأنها هي عقيدة الإسلام التي جاء بها خاتم النبيين - سيدنا محمد ﷺ ، ويكون ذلك الدرس . أساساً لمناقشات طويلة ستأتى مع أهل الكتاب عند إنتقال الدعوة من مكة بعد الإسراء والمعراج إلى المدينة المنورة التي نزلت فيها السور الطوال التي تعالج قضية التوحيد مع أهل الكتاب في سورة آل عمران والمائدة والنساء والبقرة .. ألع .

ووحدة العقيدة التي تستخلصها درساً من الإسراء والمعراج تجعل من الأمة الإسلامية رقيباً وحامياً ومناخاً ووكيلاً عن إمام الأنبياء في حماية وحدانية الله في قلوب البشر من تأويل الجاهلين وتشكيك الضالين ، والحاد الشيوعيين ، وتحريف المنتحلين ..

ويبقى في عنق الأمة الإسلامية وفي مقدمتها علماء الإسلام في كل قطر وفي مقدمتهم الأولى علماء الأزهر بمصر والعالم الإسلامي . . ويبقى في عنق هؤلاء جميعاً مسؤولية الدفاع عن التوحيد الخالص في الاعتقاد والثقافة والسلوك والاجتماع .. فان العقيدة ليست لفظاً يتفوه به بل هي ركيزه في القلب تظهر أثارها على السلوك والفكر وحياة المجتمع .

وما أفضلها من وظيفة وما أثقلها من مسؤولية لورعاها العلماء لما باتوا يفكرون في قيم الأرض والمادة والمناصب . ولا أحالوا تهكير العداوات والمشاحنات إلى مودة وإجتاع يتألفون من أجل صد تيارات اللحاد والتشويش على صفاء العقيدة ويا ويل قوم يدخلون في هذا الحديث .

(آفة الدين ثلاثة .. فقيه فاجر ، وإمام جائر ، ومجتهد جاهل) .

ولقد حذر الله الأمة الإسلامية من الاختلاف والشقاق ، والتدابير

فقال تعالى :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ويقول النبي ﷺ : -

( لا تباغضوا ولا تتحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ) رواه البخاري في كتاب الأدب .

وأنها دعوة صريحة أوجهها إلى علمائنا الأجلاء لاسيما الشباب عايكم بالالتزام والاتحاد تأسياً بالسلف الصالح لتبني ما للإسلام جيشاً فكرياً فقد استنر الحاد في الوطن الإسلام الأكبر .

الدرس الثالث : - تنفيذ ميثاق الأنبياء .

في الأزل البعيد أخذ الله على الأنبياء ميثاقاً غليظاً أن ينصروا محمداً ويشيروا به يقول الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقرنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . ( ٨١ - آل عمران )

قال ابن كثير في تفسيرهما :

( قال ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس وقتاده والسدي : يعني عهدي وقال محمد بن إسحاق أي ميثاقاً في الشريعة المؤكد . . ثم قال ابن كثير :

قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما : « ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمر أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمداً وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه . » .

وقد وثق ابن كثير هذا التفسير بما رواه من احاديث تفيد أن النبي ﷺ أكد هذا المعنى فقد روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن جابر الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول

الله أنى صهرت بأخ لى يهودى من بى قريظة فكتب لى جوامع من التوراة  
الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله بن ثابت  
قلت له : الا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ فقال عمر : رضيت بالله ربا  
وبالاسلام ديننا ومجداً رسولاً قال : فسرى عن النبي ﷺ قال : والذي نفسى  
بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتمونى ضالماً انكم  
حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين .

يقول ابن كثير : فالرسول مجد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم  
الدين ، هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر كان هو الواجب  
الطاعة المقدم على الانبياء كلهم وبهذا كان إمامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا  
فى بيت المقدس . .

ومن رحمت الله التى لا تحصى أن هيا الله لأنبيائه الذين أخذ عليهم الميثاق  
فرصة لتنفيذه فجمعهم الله على وفق علمه وارادته وقدرته فى بيت المقدس لأنه  
طاهر يومذاك من الاوثان والأصنام وليس غيره بعد المسجد الحرام مسجد  
بناء نبي من الأنبياء الذين يصطفون فى الصلاة خلف سيدنا محمد ﷺ وعلى  
جميع الانبياء والمرسلين . . من أجل أن يعانون بصورة عملية أنهم صدقوا  
مجداً وآزروه فقد حملوا أخباره إلى حوارهم كما ينص القرآن فيما بعد حادث  
الإسراء والمعراج على هذا ، إذ يقول الله تعالى :

« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

وتكون الارهاصات السابقة على الرسالة التى لمح بها بحيرا ونسطورا  
من الدلائل التى تصدق ميثاق الأنبياء الذى قطعه مع الله أن ينصروا مجداً  
وينشروا أخباره بين أممهم ليصدقوه إن أدركوه . .

وآية تنفيذ هذا الميثاق أن الأمة الإسلامية هي الحفيظة على ميراث الأنبياء

جميعاً ، وأنها الأمة التي من حقها أن تجعل من نفسها المدافع عن كرامة الأنبياء  
ولهذا خصها الله بخواتم البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته  
وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون ( ٢٨٥-البقرة )  
فنحن أولى الناس جميعاً بعيسى ابن مريم وموسى ، هارون ، تضعهم  
في موضع النبوة الصحيح لا افراط ولا تفريط ولا حساسية تجاه اتباع يرون  
الحق السليم .

### الدرس الرابع : - الاعتراف بنخاتم الرسالة والنبوة

لقد تمت تجربة هداية البشر بمنهج عدة بعث الله بها الرسل وكان آخر  
هذه المناهج هو منهج الرسالة الإسلامية التي حملها سيدنا محمد ﷺ وهو  
منهج شامل ذسم يحاول أن يصحح أخطاء الذين مضوا من الأمم .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون »  
( ١٨ - الجنانية )

وأهواء الذين لا يعلمون هي التي جعلت من منهاج الدعوة الإسلامية « قيا »  
على ماسبق من الرسالات يقول الله تعالى :

« وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك  
إلى أجل سمي لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك  
منه ضريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما  
أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم  
أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير؟ » ( ١٤-١٥ الشورى )

فهل بعد هذا المنهج يحتاج البشرية إلى شيء سواه ؟  
كان لا بد من إعلان ذلك صريحاً ، وكان الإعلان من الإتيان مقبول

لكنه ليس هو الأصل في الموضوع إذ أصحاب الرسالات هم الأحق بالشهادة على أن البشرية لا تحتاج من بعد سيدنا محمد ﷺ إلى نبي ولا إلى رسول . . . فكانت معجزة الإسراء والمعراج ليلتقي النبي ﷺ بهم إماماً فيعلنون له التبعية ويستقبلوه حيث وضعهم الله في سماواته العليا ليقولوا له مقالة واحدة فيما يرويه البخاري : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، ومرحباً بالنبي الصالح والأبن الصالح .

فأى نبي يستحق الابتعاث للخليقة من بعد محمد ﷺ الذي أسرى به وعرج به إلى السماء وتهيأت له الأكوان فرحاً وحباً وانسجاماً ، وتغيرت له الأجواء والسموات وقوانين الكون عزة وابتهاجا .

والدرس المستفاد من الاسراء والمعراج أن الانبياء جميعا في بيت المقدس ، وهم السموات الملا قد اعترفوا بأن محمدا ﷺ هو خاتم المرسلين . . . وليس من بعد منهجه منهج آخر تحتاجه البشرية إلى يوم الدين .

الدرس الخامس : تمام التصور للتشريع مستقبلا .

من الامتيازات الخاصة بالتشريع الإسلامي أنه يأتي في غالب أحكامه بناء على حاجات الأمة : - قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر . . . يسألونك عن اليتامى . . . يسألونك عن الشهر الحرام . . . »

القوانين تستمد احترامها من اقتناع المجتمع بها والمحافظة على احترام القوانين تصدر من ثقة الأمة في عدالتها وتحقيق آمالها .

والتشريع الإسلامي يحافظ على هذه الامتيازات فكان تدرج الأحكام وكان تدرج الحكم الواحد على عدة مراحل توطئة لاستقرار تام للحكم حسبما يرغب المسلمون دون شعور مستقبلا في التمرد عليه .

وقد عافانا الله تعالى من تجارب الأمم السابقة يقول الله تعالى : -

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وينوب عليكم والله عليم حكيم »  
( ٣٦ - النساء )

والدرس المستفاد من الإسراء والمعراج في هذا المجال هو المراتي التي  
رآها سيدنا رسول الله ﷺ ..

لقد رأى : - ملكا يده صخرة يضرب بها هامة الآدمي فيقع دماغه  
جانباً وتقع الصخرة جانباً إن ذلك مثال للذين ينامون عن صلاة العشاء الآخرة  
ويصلون الصلوات لغير أوقاتها .

\* ورأى ملكا يده كلوب من حديد يضعه في شدة آدمي حتى ينتهي  
إلى أذنه، وذلك مثال الذين يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا بينهم ..

\* ورأى نهراً من دم يفور كالرجل وعلى حافته ملائكة بأيديهم نار  
كلما طلع طالع قذفوه بها فيقع في النهر فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر أنه مثال  
للذين أكلوا الربا .

ورأى بيتاً أسفله أضييق من أعلاه وفيه قوم عراة تفور من تحتهم النار ،  
وقد أمسك النبي ﷺ بأنفه من نتن ما وجدته من ريحهم .

وذلك مثال للزناة ، أنه مثال نتن فروجهم التي تلذت بالحرام عن الحلال .

° ومر النبي ﷺ بثل أسود عليه قوم محنيون تنفخ النار في أديارهم  
فتخرج من أفواههم ومناخرهم وأذانهم وأعينهم . وهو مثال للذين يعملون  
عمل قوم لوط .

° ومر كذلك بنار مطبقة موكل بها ملك لا يخرج منها شيء إلا أتبعه  
حتى يعيده فيها .. وهو مثال لنار جهنم .

° وعلى النقيض من ذلك رأى الرسول ﷺ روضة خضراء فيها رجل  
جميل حوله الولدان فهي صورة لحياة سيدنا إبراهيم .



• ورأى شجرة ورقها كآذان القيلة وتاك صورة منازل النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين .

• ورأى نهراً عليه جسر من ذهب وفضة وعلى حافة النهر منازل لا منازل  
أحسن منها وهذا هو حوض ( الكوثر ) الذي أعطاه الله له وحواليه منازل  
أمته عليه أفضل الصلاة والسلام .

هذه المراتى لها أهمية فى التشريع \* \* \* أن الرسول ﷺ يوم أن ينتقل إلى  
المدينة المنورة ويصبح عدد المسلمين كبيراً وكثيراً سوف يحتاج المجتمع إلى  
نوع من التشريع يضبط السلوك - فكانت هذه المراتى :

١ - ليكون التشريع منطلقاً من رؤية بواقع فلا يكون التشريع تابعاً  
من فراغ كما تكون القوانين الوضعية .

٢ - لتكون التشريعات متناسبة مع ظروف المجتمع النفسية والعقيدية .

٣ - لتكون التوعية الاجتماعية واعية فتربط بين الشخصية الإسلامية فى  
الدارين الدنيا والآخرة .

٤ - لتستمر آيات صدق النبوة مستمرة إذ لم يتحول السلوك الاجتماعى  
عن الصورة التى رآها سيدنا رسول الله ﷺ .

٥ - لبيان أن أحكام القرآن الكريم جاءت لعلاج أمور تظهر تلقائياً  
فى المجتمع ، وإن علاج هذه الأمراض الاجتماعية لا يكون إلا بعلاج قرآنى  
لأنه هو الذى فيه للناس شفاء .

والدرس المستفاد: أن التشريع الإسلامى هو الذى يضمن سلامة الحياة  
الاجتماعية ، وإن الطمأنينة التى يبحث عنها الإنسان فى الدنيا وفى الآخرة  
إنما هى فقط فى التشريع الإسلامى الحنيف .

## الدرس السادس : مستوى العلاقة بين الله ورسوله :

في الحياة العادية يجد الناس عدة أنواع من مستويات العلاقات وكمها تخضع لمستوى الطرفين في الأحوال الاجتماعية والفكرية .  
ومع أن القرآن الكريم استفاض في توضيح بشرية النبي ﷺ فقال  
الله تعالى :

• ألم يجدك يتيماً فأوى .

• فأذك بك بأعيننا .

• وإذك أعلى خلق عظيم .

• قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

• يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه  
وسراجاً منيراً .

• قل إنما أنا بشرأ مثلكم يوحي إلى .

فبشرية الرسول ﷺ ليست كبشرية الناس لأن العاديين معادن ، فما  
بالنا بالنبوة كيف تكون بشريتها ؟

ولقد وصفها الله في إطار رعايته وتأديبه وإحسانه وفضله ووحيه .

ووصفها بأنها بشرية نورانية وإن صاحبها نور ، وإنه سراج منير .

ولكن العلماء خاضوا في أحاديث شتى فيما يتعلق بالإسراء والمعراج ..

هل كان بالروح والجسد معاً أو كان الإسراء بهما معاً والمعراج بالروح  
فقط .. الخ .

ولقد نسي العلماء أن الفعل موضوع في الدائرة الإلهية « سبحانه الذي

أسرى بعبده» . . فكان ينبغي أن يدرك العلماء أن الإسراء موضوع في جو فاعلية الخالق الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون .

وعلى هذا الأساس فالإسراء والمعراج كانا بالنبي ﷺ لأن الله اصطفاه للرسالة وخلقته مهيباً لكل ظروفها إن في الأرض أو في السماء إن في النوم أو في اليقظة .

وهذه البشرية النبوية لا ينبغي أن يخرج عنها النبي ﷺ في أية مرحلة من مراحل الرسالة .

فهو نبي بشرى النبوة قبل الإسراء وهو كذلك عند الإسراء وعند المعراج .

وهو كذلك بعد الإسراء والمعراج .

والذين يتصورون أن النبي ﷺ عرج به السماء بقانون خاص غير قانون بشرية النبوة يصطدمون مع نص صريح في القرآن ويقعون في خطأ جسيم تروى فيه ما نعوا الرسالة للبشر المصطفى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهو يرد على الكفار مقالتهم :

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ؟

قال الله تعالى لهم :

\* ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون .

\* ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون .

( ٨ - ٩ الأنعام )

فالقرآن يقطع بأن الأنبياء لا بد وأن يكونوا من البشر لأن وظيفة الملائكة مع البشر غير وظيفة الأنبياء مع الناس ولو نزلت السماء على اقتراح

أهل الأرض فجعلت الرسول ملكاً لما صبح أن يكون أهلاً نمل الأحكام إذ الأحكام الشرعية تحتاج إلى القيادة والتدوية والأسوية فكان الله يجعل الملك رجلاً ليصبح التكليف والإرسال فلو خرج النبي ﷺ ليلة المعراج عن بشرته النبوية التي بها يتلقى الوحي عبد الله فكيف يتحمل فرض تنظيم الصلوات خمس مرات في اليوم والليالي . .

أيتلقاها بملائكته المستجدة فيه ؟

أم يتلقاها ببشرية مؤقتة بعد الملائكة التي عرج بها ؟

ولماذا نخرج الرسول ﷺ عن بشرته النبوية وهي التي تسهل على الناس تصور وقوع المعراج .

أن هذا الأمر لا ينبغي في تصوير آخر خارق للعادة .

فالأمر الخارقة للعادة لا تبسط وإنما يجب الإيمان بها كما أخبر عنها المعصوم المرسل من قبل الله تعالى . .

والذي يؤكد الإعجاز في معجزة الإسراء والمعراج هو تغيير المسار في طريق المعراج فالله تعالى يغير قوانين الكون في المسار الذي يمر فيه موكب النور تكريماً للنبي المصطفى الخاتم وإبقاء على بشرته النبوية التي بها يتلقى الوحي عن الله ، والتي بها بعث للعالمين رحمة ونوراً ومراجاً منيراً ويكون ذلك أبلغ في في تصوير معجزة الإسراء والمعراج .

لقد غير الله الكون في مسار موكب المعراج تكريماً لنبيه حبيب حضرته العلية .

وهذا أجل من تغيير النبي بحيث يتلاءم مع قوانين الطبيعة والكون لأن آية التكريم والإعجاز تكن في تغيير قوانين الكون من أجل مسرى سيدنا رسول الله ﷺ ومراجته لأنه هو الذي يتغير .

إذ لو تغير لخلق للذين قالوا : إبعث الله بشراً رسولا أن يعترضوا ولقد

أكد القرآن الكريم على لسان جميع الرسل رد هذا الاعتراض بإثبات البشرية لهم ، قال الله تعالى :

قالت لهم رسولهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمشي على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .  
( ١٧ - إبراهيم )

والذين يصعدون إلى القمر لا يغيرون ذواتهم وإنما يغيرون البيئة المحيطة بهم حتى تتلاءم ذواتهم العادية مع البيئة القمرية .

أليس الله ورسوله أولى بالحفاظ على ذات النبي ﷺ وتغيير قوانين الكون لمعراج رسوله المصطفى ؟!

بل أليس للكون الذي تجلّى بهجة ليلة مولده الشريف أن يأنس بمسراه ومعراجه فيتبدل له تكريماً لموكبه اليتيم ؟

إن الدرس الذي نستفيد منه من الإسراء والمعراج فيما يتعلق بأدراك العلاقة بين الله جل شأنه وحبيبه محمد ﷺ هو أن الله إصطفاه وجعله رحمة للعالمين فليس للعقل أن يحدد هذه العلاقة إلا في إطار النصوص التي تجعل من البشرية لرسول ﷺ بشرية المصطفى الذي اختاره الله للعالمين بشيراً . .

## الطريق إلى طابه وخاصية الدعوة

كانت مواجهة الكفار للدعوة قائمة على النظر العقلي المجادل الذي لا يتغنى من وراء الجدل إلا الهراء والسفسطة ، وتظهر دلائل هذا الهراء في الادعاءات الكاذبة التي لا تقوم على أساس من العقل الفاهم المنصف .

فلقد أجمع الناس في مكة على أن محمداً ﷺ هو الأمين ، وإرتضوه حكماً في مدلهمات الأمور وما جربوا عليه كذباً قط فلما جاءهم بالهدى والبيينات لماذا كفروا به رسولا ؟ فلماذا كفروا .. ؟ !

لقد اتهموه بالسحر ، وقد حكم عقلاؤهم أنه ليس بساحر فهي دعوى يعارضها منطق حالم ولا ينفقون عليها جميعاً وليس عندهم دليل عليها لآمن الحياة السالفة ولآمن الحاضر الذي كانوا يعيشونه .

لأنه لو كان ساحراً لوقع أحد أمرين :

\* أما أن يؤثر سحره فيهم فيكونوا له أتباعا .

\* وإما أن يقدروا على معارضته بسحر مثله يجعله غير قادر على عمل السحر أو يفسد سحره فيهم .

ولم يناقشوا إلى أى مدى يستمر هذا السحر . . . فهي دعوى لا دليل عليها لأنها هراء .

وآتهموه بأنه يؤلف القرآن وطلبوا منه :

\* أن يفجر لهم الأرض عيوناً .

\* أو أن تكون له جنة من نخيل وعنب تجري من خلالها الأنهار .

• أو أن يسقط السماء عليهم كسفا .

• أو يأتي الله — إستغفر الله — والملائكة معه قبيلًا .

• أو يكون له بيت من زخرف .

• أو يرقى في السماء ويأتي بكتاب يصدق نبوته .

ولما كانت دعوى تأليف القرآن يمكن مناقشتها بالأسلوب العملي فقد تعرض لها القرآن الكريم في صورة التحدى وطلب منهم محاولة الاستدلال على الدعوى بالممارسة العملية : فتجدهم بالقرآن على سمته الرباني دون إدهاء الزيف الذى يتقولونه فقال لهم :

« فأتوا بمثله وادعوا من أستطعتم من دون الله أن كنتم صادقين » .

( ٢٨ — يونس )

فلما عجزوا عن الأتيان بمثل القرآن في حقيقته الربانية تجدهم بما وصّوه به من أنه متقول : فقال لهم لئن كان الأمر كما تزعمون فأتوا به على هذه الصورة وهى سهلة فإن مجدأ صلى الله عليه وسلم وحده أستطاع أن يؤلف مثل هذا القرآن حسب زعمكم فما أيسره عليكم مجتمعين فانكم تقدرّون على الأتيان بعشر مفتريات من مثل ما تدعونه مفترى فقال تعالى : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من أستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » ، ( ١٣ — هود )

فلما عجزوا في هذه المرة . . . تجدهم مطلقاً بمعنى أن الأدعاء القائل بأن مجدأ - صلى الله عليه وسلم - أفترى القرآن مطلوب منه الاستدلال على هذا الزعم سواء كانت الممارسة في مقابل القرآن بصفة الربانية على نحو ما يعتقد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه وحى من عند الله ، وسواء كانت الصفة على نحو مدعاهم فقال تعالى في سورة الطور :

« أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ». ( ٣٣ — ٣٤ — الطور )

فثبت بالممارسة العملية العجز لكل من يحاول ادعاء إفتراء القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

أما طلبات الكفار التي جاء ذكرها في سورة الإسراء من الآية رقم ٩١ إلى الآية رقم ٩٣ فلم يأبه القرآن بمناقشتها لأنها من قبيل الجدل العقيم الذي لا تسعفه أدلة عند المعارضين ولا يجدى معهم نقاش لأن المسألة عندهم مأخوذة من جانب الهراء والمجادلة ولذلك نجد القرآن الكريم بعد أن عرض كل طلباتهم رد عليهم في إيجاز بليغ :

« قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا . . . »<sup>(٢)</sup>

هذه الصورة العملية هي الخاصية التي جاء بها الوحي في الإسلام لينقل الإنسان من المنطق العاثر إلى المنطق الهادف ، ومن الجدل المنتهى بالتعطيل إلى المناقشات الموصلة إلى نيل الغايات وشرف العمل ولكن القوم لم يفطنوا ولم يفقهوا هذه الخاصية . . . فعاندوا وأفتروا ..

وبعد ثلاثة عشر عاماً ممتلئة بالتحدي من جانب الكفر العنيد وبالسماحة وحب الخير من جانب صاحب الدعوة ، بعد هذا العمر الطويل في العمد والحساب لم يجد رؤساء مكة صناديد الوثنية وسيلة تريح صمغ آذانهم من الهتافات السامية التي تثير في فطرتهم مذاق الإيمان بالله الحق إلا قتل محمد .

(١) راجع الدعوة الإسلامية في عهدنا المبكي ص ٤٩٣/٥٠١ .

(٢) راجع الدعوة الإسلامية في عهدنا المبكي ص ٣٨٨/٤٠١ .



وفي ناديهم . . . اجتمعوا وهم متفقون على هدف واحد « أنه الخلاص من مجد » ولكن لغة التعبير عن الوشيلة قد اختلفت كلماتها بينهم ، وما كان الاختلاف مناقشات في جوهر القضية .

ولسكنه نقاش يدين لهم منفذ الخلاص من نار مجد ، وخلصوا إلى الحيلة .  
وحددوا الشباب الذي يمكن أن ينفذ لهم المأرب الغالى .

أنهم شباب يتواقر فيهم :

« القوة البدنية الكاملة .

\* والسكراهية النفسية العنيدة .

\* وتذوق حلاوة الشعور النفسى بقتل مجد .

وتم الاختيار على هذه الأسس ، وسلم كل شاب سيفاً لا يقل في حدته ورهافة سنة عن شراهة العشق للشباب في إتمام جريمة سفك الدم الزكى .

واكتملت القوة المادية بأعلى ذروتها في ذلك العصر ، وأحاطوا بدار النبوة السكريمة وفي رأسهم خيال رائع الكبرياء .

« أى شرف لهم عندما تتحدث شباب مكة : شيوخها ورجالها ، وشبابها ثم التاريخ أن فلانا وفلانا هم الشباب الذى ناله شرف اغتيال مجد . . ؟ وتمثيل كل شباب كيف يمشى مختالاً ووراءه أذيال النصر ورأسه عالية إلى قمة الصنم نفراً وهو يسير في زهو فاجر فاخر في شوارع مكة وحديث الناس يفرش له الأرض مجدأً ويملاً أسماعه ثناءً وينيه بها إعجاباً . . .

. . . ومع غسق الليل الذى لف جنبات الديار في مكة بات الجمع يرقب التسامج بقلب مطمئن فقد اكتملت لديهم وسائل القتل جميعاً ، وهمم بات التاريخ كذلك ليصنع حقيقة أكيدة للبشر في عالم الفكر والدعوات . . .

ولم يكن مع مجد في داخل دار النبوة إلا شاب . . . آثر أن يتحدى

وحده جموع الشباب بيمعه صباه الصغير ، فسجى الفتى نفسه في فدائية متبرعة  
متوكله حبيبة . وغطاه رسول الله ﷺ ببردته سترأ ووقاية . .

وخطت النبوة في اللحظات الحاسمة إلى مواجهة المعركة التي صمم الكفر  
فيها على تنفيذ هدفه وييد النبوة الشريفة جمعت حصيات وتليت عليها آيات من  
« يس » : وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم  
لا يبصرون » وافتتح الباب ورميت الحصيات على رؤوس الشباب . . .  
فناموا . . .

أين الشباب ؟ أين العزم ؟ أين السيف ؟ .

لقد صار الشباب جثثا ، وأصبح العزم مشلولاً ، وباب السيف في غمده  
خشياً . . . ؟ هذا هو محمد ؟ فأين قوة المادة العاتية . . . ؟ .

لقد صارت مع المدد الآلهى هباء .

وهنا يقرر التاريخ أن وسائل النصر ليست المادة ، وأن كانت شياً  
ما وإنما وسيلة النصر هي المنح الآلهية والمدد الرباني . يستبصر ذلك المسلم في  
فهمه لآيات القرآن الكريم :

« وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

« وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

« والله جنود السموات والأرض » .

« وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

« ومن يتقى الله يجعل له مخرجاً » .

ومع هذا الاستبصار الروحي لهذه المعاني المشرقة يمضى التاريخ المصاحب  
للفتح الإسلامى ليؤكد ذلك في بدر والخندق والحديبية . . . الخ .

وتستقر القاعدة الأساسية في سويداء عقيدة المسلم :

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

١٠ ووصل محمد النبي حقا إلى بيت أبي بكر وسأله الصديق الصحبة أن الصداقة ليست في ظل الرخاء ، وأن المودة ليست في رحاب السعة وإنما هي بنت المآزق . وهي خلاصة مرارة التجربة القاسية ، أحس بذلك الصاحب العظيم فعرض الصحبة ، وما كانت الصحبة صحبة ذات ، وما كان العرض عرض نفس ، بل كان الأمر تجنيداً كاملاً للأسرة والمال والروح .

فقد رأى الصديق — رضى الله عنه — أن المرحلة الحاضرة مرحلة دولة تبنى ودين يقام . ورأى إيمانه يفرض عليه تقديم كل ما يملك في حياته من الامكانيات : المادية ، والفكرية ، والنفسية . لنصرة هذه الدعوة :

١ — فجهز وسائل السفر .

٢ — وتأكد من فصيلة الامداد والتموين .

٣ — واستأجر دليل الطريق .

٤ — ووثق من المخابرات التي تؤمن لهم الإقامة في الغار المجهول . . .

ومن باب خلفي خرجا - النبي والصديق - وحفظ الرمل آثارها إلى الغار، الذي نزل فيه . . .

وكانت قريش في تلك اللحظات قد شربت كأس الندامة لما تنقط في أيديهم ، ولكن هزيمتها في الجولة الأولى شحذت عزيمتها ثانية لتتبع خطة السير . . .

وخرج وقد كان مقتفى الآثار من أكابر المتخصصين في هذا الفن ، فان قريشا أصرت على أن يتجمع أكابر جهابذة العلم مع سلطان المادة لتصل إلى أن

مجداً وضاحبه قد انتهى بهما المسير إلى هذا الغار ، وركن الأوامر الآلهية كانت في لحظات المسكر الخبيث قد صدرت إلى الشجرة البعيدة لتقترب فتخفر الباب ، وإلى العنكبوت أن يقال حسب حساب الزمن بشبكاته الواهية الضعيفة في قدم بعيد ، وإلى الحمامة أن تبنى لها عشا تضال به عقول الكافرين ..

ونفذ السكل الأوامر ..

ووقف العقل بصطدم مع نفسه شأن معارفهم الثقافية في علم القيادة تحتم أن مجداً قد انتهى به الطريق إلى الغار .. وركن الذي سد الباب من الشجر والعنكبوت والطير يبرهن على أنه لم يدخل الغار .. ؟

فان العقل يحكم بالضرورة على تلاشي هذه الموقوت لتسكن الداخل من الدخول ؟

أنه مع وجود علامات الأثر التي يجزم العقل معها بدخول الغار توجد الدلائل المادية والأكثر نباتاً في إرتكازها على الأرض أن مجداً لم يدخل الغار .

ومع شهادة الرجل الراعى أنه شاهد رجلين قد دخلا الغار فان المحاورة العقلية التي دارت أمام باب الغار قد انتهت إلى الاقتناع بعدم وجود مجد في الغار . وانكفاً شيطانهم على أعقابهم آيبا إلى مكة ..

ومرة ثانية يفشلون ولا تجدى معارفهم ومقاييسهم شيئاً ما .

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً » .

\* وبمنتهى التحدى يعيش الراكب المسافر في الغار ثلاثة أيام .

— يذهب إليه الزاد .

- وتحمل إليه أخبار مكة .

- ويرسم طريق الرحلة إلى يثرب .

وأصحاب الكفر في تعصب جاهل يبحثون عن مخرج مادي ثالث ينتصرون به على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقررون جعلاً مائة من حمر النعم لمن يقتل محمد ... ؟

إنه ثراء طائل لا حد له في ظل الشبكة الاقتصادية البدائية العربية . . . وهنا . . . تتصارع الأنانيات وتستحفز المطامع . ويمكر الكفر على نفسه . وتنقلب المعركة إلى تجارة بلا شرف فيها . ويأمر سراقه غلامه الرقيق أن يجهز له الأكحل السياق ويخرج به إلى ظهر مكة بحيث لا يراه أحد من الناس ، ويمضى سراقه فيسأله الناس إلى أين ؟ ولكنه يخفى أطماعه ، فإنه يود أن يملأ شوقه وأذنيه وأن يحظى وحده بالثراء الباهظ — المائة الحمر من النعم العربي — ويمتطي سراقه الشاب القوي جواده الأصيل ويسرع في لفحة الطامع العجول ليلحق بخطو النوق الوديع المسالمة عساه أن يظفر بالثمن الغالي لثرائه الخيالي النافه . ويلحق سراقه فعلاً بالركب ولم يكن بينهما إلا بضعة خطوات لاتعجز وثبة الفارس من أن ينال شهوته .

ولكن المشهد قد تغير سريعاً فهذه النبوة في هدوئها الهادئ الصنوح تضرع إلى الله أن يعفو عن سراقه .

ماذا حدث ... ؟

فتحت الأرض الصلبة وابتلعت أقدام الفرس مرات ثلاث ، وفي كل مرة يطلب سراقه من النبي العفو وتدعو النبوة ويعود سراقه يداعبه خياله فيحجب الاعتداء فتغوص قوائم فرسه فيستنجد بالنبوة . . . وتدعو إلى أن استقرت عواطف سراقه على دين الله الحق وآمن بمحمد بعد أن حفظه درس الأكبر ،

وذهب ظمؤه الشهواني للحمر ، وآثر العافية على الهلاك في جوف الصحراء الملتهب . ورأى بمشهد العين والقلب والوجدان مظاهر النبوة الحقة فشهد أن إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأفضل من إبل العرب في موازين الشرف والمجد والمال سواري كسرى .

وبعد قليل من الأعوام يشاهد التاريخ مشية سراقفة بأساور كسرى وهو يروح ويجيء في محضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ويعود سراقفة إلى قومه في مكة وقد عقدوا على رؤسهم أرايات الخيبة ، واسودت وجوههم من مرارة الهزيمة ، فينصحبهم الرجل ويشهد عندهم بما رأى وينبئهم بما حدث وانكسرت سادرون في نزوع كافر أهوج نحو كراهية محمد ودين محمد والقضاء على محمد ودين محمد .

### واللمرة الثالثة تفشل السادة :

وتستقر في مكة إلى حين ليس بالطويل رؤس للكفر ، ويستمر الراكب النبوي في سيره الطويل إلى يثرب تحوطه عناية الله ، وتنزل عليه السكينة وتحذوه الملائكة وتسوقه المنح الربانية بالظفر والنصر المبين .

وفي يثرب كان الشوق قد بلغ بأهلها مبلغاً عظيماً . فقد طال بهم الأيام لما تستنشق صدورهم أضواء النبوة من بعد ميثاق العقبة الأخير .

لقد حانت ساعة الفرصة الكبرى التي ينفذون فيها بيعة العقبة وميثاقها العظيم . . . فخرجهم انفعالهم الحار إلى الحرة ينتظرون محمداً كل يوم . وقد زينوا يثرب بفرحة طارمة ، وجهزوا الصدور لضيفانة لانهاية ، وحددوا العزم لمعركة دائمة مستطيلة . . . وهم في الشوق ينتظرون ، والراكب النبوي يتهادى في صافية . . على الرسل في خطوط وطيد مطمئن طيلة اثني عشر عاماً . . حتى

وصل إلى قباء فاستراح فيها قليلاً يؤسس المسجد الأول ليحدد سياسة الأمة الجديدة في دور عبادتها .

إن مساجدها بجمع أفئدتها ، ومدارس ثقافتها ، وعمل آمالها ، ودار قضائها ومثابة الخير والرياسة والأمان .

ويطير الخبر على أجنحة الشوق الأمين إلى يثرب . وتموج الفرحة في الصدور . ويقترب الراكب رويداً رويداً والجاهير الغفيرة في حباها المشتاق تملطي .

كل يوم في الحرة موعد اللقاء ، إلا أن تكرماً خاصاً يشاؤه الله لنبيده أكبر روعة وأجل مظهراً وأكد حبا من كتل المنتظرين . فقد انصرف الجمع المتلهف لحظة القدوم الكريم من شدة الحر بعد أن طالت الأيام بالانتظار في حر الحرة فبدت علامات القدوم للراكب النبوي تلمع ، ويشاهدها يهودى فينطلق بها يخبر الأجابة - هذا جدكم ، يعنى حظكم السعيد - فينفر الناس في سرعة مذهلة ، وفي لحظة شرف بها الزمن امتلات الشوارع بالقلوب والحب والإخلاص والقداء والكل يهتف لشيد الوفاء بالذمة والمواثيق :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فيرحبون ، ابوجبون على أنفسهم تنفيذ الميثاق ثم يعوذون فيكررون الترحيب فيسمع التاريخ لأول مرة في حياة الفقه السياسي أن المواثيق والمعاهدات لا تحتاج إلى توقيعات وإمضاءات وسكوك وقراطيس عند وضعها موضع التنفيذ ، وإنما تحتاج إلى صدق العزم ، وحسن النية ، وسلامة الصنادير ، وشرف المفاوضات ووضوح الهدف وإخلاص التطبيق .

\* وفي حالات الحب والوفاء والفرحة والنور والبركات يمضي الراكب المسافر ويعرض الناس جميعاً بأسايرهم الوضاعة في ودصادق شرف استضافة

الرسول الكريم . ولسكنه في وسامة مليحة رقيقة وأدب رفيع فريد يشكر  
ولا يرفض ، وكلما أمسك واجداً بخطام القصواء طلب في رفق حان :

« دعوها فانها مأمورة » وهناك وفي بستان اليتيمين بركت القصواء  
واشترى البستان : أول إعلان من الإسلام أن ليس فيه اغتصاب ولا إكراه  
ولا جبر ، ولا قوة . . . وبنى المسجد العظيم ، وتستقر الدعوة ، وتحمل ثرب  
لها إسماً جديداً - المدينة المنورة - لتكون وطن المجتمع الجديد مجتمع الوحدة  
والإيثار والعلم والحضارة والجميل ولتستريح من حرب العمومة - الأوس  
والخزرج - وتسلم من مخائلات اليهود ويحل فيها الأمن ويستقر فيها الخير  
والسلام ، وتبدو أضواء الرسالة في إشعاعاتها قوية منطلقاً نحو الجزيرة لتدعو  
الناس إلى دين الله الخفيف .

\* وبهذه التجربة برزت قواعد التربية الإسلامية للنبوة فعلم سيدنا  
رسول الله ﷺ شباب الأمة - وهو يهتف بأبن عمر . . . : يا عبد الله إني  
يا عبد الله إني أعلمك كلمات فأحفظها :

« احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجره تجاهك . إذا سألت فاسأل الله .  
وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء  
لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم  
يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » « رفعت الأقلام وجفت الصحف »  
فقد شهد النبي في غمرة أحداث تجربة الهجرة مصرع المادة في جميع أنظمتها  
أمام منح الله وعنايته ، فدرب الشباب على هذه العقيدة فانه لا طاصم  
من أمر الله .

\* وتمم الله النصر المبين لمحمد ، وسيحفظ المسلمون عبر الأجيال والتاريخ  
نتيجة الرحلة الميمونة .



«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» .  
لقد أكل الله الإيمان للمسلمين فلن يحتاجوا إلى زيادة أبدأ وقد أتمه  
عز وجل فلن ينقصه أبدأ ، وقد رضيه فلن يسخطه أبدأ واختار المجاهدون  
المصلحون فلم يضلهم أبدأ .

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» .

« إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

وصلاة دائمة وسلاما عبقريا على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن  
اتبعه باحسان . .

## الصديقية في موكب الهجرة

« إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » (التوبة)

إن مقياس الصداقة ليس هو التبعية الجوفاء ، ولا المؤازرة الحرقاء ، إنه ليس الحق في جانبية السلمي والآيجابي .

إنه تبعية لا حدود لها بقدر ما هو اتباع للثقة في أداء رسالته . . . . . وتحمل لمسئولية الأداء من غير أن يوجه طلب أو يقدم رجاء .

وقد شهد التاريخ قديماً وحديثاً عدداً من الصداقات على المستوى العالي لأصحاب الدعوات والنظريات .

وكم من قوم جمعتهم الفسكرة التي تحمسونها لها فجر اللفاء ولكنهم تفرقوا بدداً عندما خبرهم مقياس الصداقة .

صداقة الهدف والمصير والرسالة . . . أو صداقة الوفاء للمبادئ .

وعلماء الاجتماع فيما قننوه لاستمرار ربط الأتباع بالقائد اشتراطوا في أسلوب العمل مع الجماعة :

وضوح عرض الدعوة .

وضوح تحديد الهدف المنشود .

وتلك مسألة شاقة في المستويات البشرية العادية ، عند التنفيذ وعند الاختيار ومن هنا تبرز قيم الصداقة التي يمكن أن تكون المحور الأستسي لأسلوب

العمل مع الجماعة في النفحات التي ورثها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه للتاريخ الإسلامي في لحظات العسرة التي تفصح عن معاني الصديقية .

فقد عاش أبو بكر رضي الله عنه مساماً كامل الانقياد للدعوة زهاء ثلاثة عشر عاماً في مكة وكانت كلها مرارات وتعزيرات ٥٥٥ انتهت بالنقلة إلى المدينة المنورة ، وتلك الفترة فترة طويلة بمقياس أنانية الفرد ولكنه لم يخترن في مشاعره شيئاً من هذه الآلام فلما جاءت لحظة الهجرة من مكة :

لم يرتض أن يكون مهاجراً بمفرده ، أو في ركب مع الناس ولو فعل لكان صادقاً في إيمانه ومتحمساً للنقلة لأنه تابع مستسلم .

ولكن الرجل منذ عرض عليه الإسلام وليست له كبوة ، فهو صاحب مستوى خاص .

إنه ليس هذا الذي يقبل منه التبعية فقط ، ولكنه سلوكه سوف يكون مقياساً للاتباع الصادق فعرض على النبي ﷺ الصحبة .

وجهم لذلك وسائل السفر .

وأعد الهدية لناواة الحصوم دون أن يطلب النبي ﷺ منه شيئاً من ذلك ، يقول ابن هشام :

فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت — عائشة — فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « أخرج عنى من عندك » فقال : يا رسول الله إنما هي ابنتاي ، وما ذاك فذاك أبي وأمي .

فقال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت: فقال أبو بكر:

الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة ، قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم إن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ .

تم قال : يا نبي الله إن هاتين راحلتان أعددتكما لهذا .

إنها للحظة عسرة وشدة يهرب منها ذو الأنانية ، ويتردد فيها من يقدم يوم سبته لأحد قادم على ذمة الريح والخسارة .

وهي لحظة في العصر الحديث كافية لاقتناع أسدق سياسي بالهرب من التبعية لقائد يفر من ديار أهله إلى ديار قوم لم تمنحه التجربة معهم بعد عمرا يتعرف فيه على مستقبل الحياة معهم .

ولكن أبا بكر وهو مقياس كامل للمؤمن الصادق لم يفكر مطلقاً في شيء من هذه الخواطر لم يفكر في إن الهجرة قد لا تتم لتكتمل أهل مكة من أقارب وأبعاد ، شيوخ وشبان وقد احتشدوا لقتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولم يفكر إن الهجرة قد تتم ولكن الدعوة قد تنهثر ثلاثة عشر عاماً أخرى في يثرب كما تنهثرت في مكة .

وإذن فالذي ينفقه سوف يكون هباء .

لم يفكر في شيء من ذلك وهو لم يجازف يوم إن أعد بيته وأهله وماله لهذه النقلة لقد أدرك معنى : إنه اتبع محمداً وارتضاه نبيا ورسولا أن يكون معه بالنفس والأهل والمال .

لأن ذلك هو الحق وما وراءه ذلك من شؤون المستقبل فأمره . ووكول

إلى الله وهو له سدا يؤثر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه في كل شيء . .

لقد آثره في زاحتي السفر .

يقول ابن هشام :

فلما قرب أبو بكر رضى الله عنه الرحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال :

أركب فداك أبي وأمي .

سنا رسول الله ﷺ : « إني لا أركب بعيراً ليس لي » .

فقال : فهمي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي .

قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتمتها به ؟

قال : كذا وكذا .

قال : قد أخذتها به .

قال : هي لك يا رسول الله .

فركبها وانطلقا .

وفي هذه اللحظات . . التي يعذر فيها كل من يبخل بماله : يحمل أبو بكر جميع ماله .

يقول ابن هشام :

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله من خمسة آلاف درهم ، أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه .

ولو كان أبو بكر يعيش بمنطق القرن العشرين لاحتلمها إلى غير هذه الوجهة .

واسكنه الصديق الذي آثر نبيه على نفسه حتى في لحظة الضيق بالغار وهو يقول :

لو أن أحدكم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ كان ثقلاً يزن ثقل قریش .

فكانت قریش بخيلها ورجالها بمادتها وكفرها في كفة المخاصم وكان أبو بكر وحده في كفة الصديق . يزنها ويزيد عليها ، ويفضها ، بما لا يقارن من الدرجات .

فلقد كان صديقاً بنفسه .

وصديقاً بأهله .

وصديقاً بماله .

وصديق ييقن لا يحد .

وصديقاً بعزم لا يفل .

كان صديقاً فوق المثل كلها .

مثل الإخلاص التي تكون من أجل مستقبل منشود في الدنيا .

مثل التضحية التي تبذل من أجل الثمن العالي للمساواة عند ساعة الصفر .

مثل المحبة التي قد تكون من أجل محسوية تحطيم المعابر .

إنه : صديق : فوق المثل كلها لإمثال الصديقة التي بها لو وزن إيمان أبو بكر بإيمان الأمة كلها لرجح إيمان أبي بكر ، فياليت شعري . لو قد

المسامون هذه الصديقة جاءهم النصر كما جاء صاحبي الغار نصر من الله  
وفتح قريب<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) من المراجع :

- ١ - السيرة النبوية لابن هشام .
- ٢ - الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي ..
- ٣ - السيرة النبوية لابن كثير .
- ٤ - تاريخ الطبري .
- ٥ - الدرر لابن عبد البر .
- ٦ - دلائل النبوة للبيهقي .
- ٧ - الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي .
- ٨ - حياة محمد هيكل باشا .
- ٩ - الروض للأئمة للسيبلي .
- ١٠ - حياة الصحابة الكاند هالوي .
- ١١ - الطبقات الكبرى لابن سعد .
- ١٢ - المذهب الدنية المقسطلاني .

## محاولة

### التخطيط لسير الدعوة الإسلامية

كثر الحديث عن : التخطيط للدعوة الإسلامية ، والحديث عن الدعوة الإسلامية يفرى الخيال ، والآمال ، والقرائح ... ولهذا تتنوع الأحاديث عن التخطيط للدعوة الإسلامية ... ولكن الممارسة في الحقل تحدد ركائز التخطيط في كلمتين تحقيقها صعب للغاية ..

الكلمة الأولى : التخيلية .

الكلمة الثانية : التحلية .

ذلك : أن الدعوة الإسلامية تعاني كثيراً داخل البيئات الإسلامية نفسها . أنها تعاني مثلاً من الاضطهاد بأنواعه الكثيرة في أغاب الأوطان وتعاني مثلاً من سوء العلاقات داخل المؤسسات التي تتهم بأنها حصن للدعوة الإسلامية .

وتعاني مثلاً من جوفائية المؤتمرات التي تدعى أنها تعمل للدعوة في حين أن ملايين من الأموال تنفق على الطائرات وهي شركات غير إسلامية ، وعلى الفنادق وهي منازل غير كريمة ... بينما لا ينال العمل الإسلامي ذاته شيئاً ذابال من هذه الملايين التي تنفق هباء .

كما تعاني الدعوة الإسلامية بالدرجة الأولى من سوء كثير من العاملين فيها .



وتعالى أصداء من رعره الثقة في نفوس كثير من الشباب نحو بعض من قيادات اشتهرت بالعمل للدعوة الإسلامية ثم بدأ للشباب أنها أخفقت في تحقيق تقدم مرغوب فيه على الصعيد الإسلامي، ومعاونة الدعوة من سوء المنهج الذي يستخدمه بعض دعاة يؤذى ويضر أكثر مما يفيد وذلك من أخطر العقبات. كما أن الدعوة تعاني من الميدان الترفيهي الذي يحجب بريقه أعين الشباب والأثرياء والوجهاء وأصحاب السلطان عن وضاه الحياة التي تنظمها الدعوة الإسلامية في رخاء ندى ، وعيش بهيج ، وحياة سوية ماؤها السعادة والرضا .

أن أغنية واحدة من أغاني المجال الترفيهي ، وأن تمثيلية من تمثليات الوادي الهابط ، وأن فيلماً واحداً من أفلام المجون والمخلاة . . . ليذهب بكل ما يقدمه الدعاة المخلصون ، ولهذا . . . فان التخطيط لسير الدعوة الإسلامية يتطلب بالدرجة الأولى تحلية هذه العقبات .

أولاً : حتى يصفو الجو وتنبه البيئة الإجتماعية لتقبل الدعوة .

ثانياً : حتى تنضج مظاهر الدعوة في استخدام مناديجها الأولى التي تتلاءم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ثالثاً : حتى يظهر السبيل السواء لجميع الأقطار والهيئات العاملة في حقل الدعوة ليتمكنها التنسيق فيما بينها من حيث التمويل ، والوظيفة ، والإعداد .

والعقبات التي يجب أن تخلو منها ميادين الدعوة هي :

أولاً : إصرار كثير من حكام العالم الإسلامي على إتهام الدعاة أنهم إرهابيون وأنهم يستغلون الدين ستاراً لما ربههم الشخصية ، ووجوب الفصل بين أخطاء بعض العاملين في حقل الدعوة وبين أهداف الدعوة ذاتها .

ثانياً : العمل على إزالة مهرجانات الإخلال بالأخلاق والحد من جعل

المجال الترفيهي أساساً من أسس الحياة ، فان ذلك فضلاً عن كون مطلباً للدعوة فهو مطلب للحفاظ على مستوى الإنتاج والعمل لصالح الدولة والمجتمع والأمة .

وذلك يكون عن طريق توجيهه ميزانية البرامج الترفيهية في وسائل الإعلام إلى برامج التعليمية والثقافية الجادة والدينية الهادفة لا التقليدية التي تؤدي على أنها ملء فراغ في أنواع البرامج الإعلامية .

كما يجب أن يوضع في الحسبان أن المسارح واللاهى والكازينوهات تعمل على إفساد الأخلاق والإقتصاد والدين بأضعاف ما يفرس من مثل وأخلاق عن طريق الدعاة ولهذا يجب أن يكون هناك حد فيصّل لعمل هذه المؤسسات التي تفسد عمل الدعاة

ثالثاً : خلوه مؤسسات الشباب والرياضة من المشرف الاجتماعى الدينى وعدم التفكير في جعل الإشراف الدينى مهماً في عمل هذه المؤسسات .

رابعاً : تصارع الهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية على المستوى الحكومى حيث لا يوجد تنسيق بين هذه الهيئات وإدعاء كل هيئة أنها مصدر ولها سلطان وهى أحق وهى الأول أو هى الأولى وقد تستغل بعض الهيئات في العمل السياسى .

وعلى المستوى الأهلى حيث التنازع والخصومات والتضارب في الأهداف والغايات والوسائل مما يصور عمل هذه المؤسسات بالمشاغبات والفوضى ...

خامساً : عدم التكافؤ بين مؤسسات الدعوة وبين القائمين على رعايتها من حيث قدرة القيادات على تفهم طبيعة الدعوة الإسلامية ، ومن حيث عجز بعض القيادات عن تأهيل أنفسهم لحل هذا الشرف بالأمانة والإخلاص والمستوى اللائق وبالتالي عدم قدرتهم على تصور مجال الدعوة ونشرها وسيرها .

سادساً : ضعف التمويل وعدم وجود صندوق لدعم الدعوة الإسلامية في الوقت الذي ينفق فيه الملايين على الهوى والمزاج الخاص .

سابعاً : عدم وضوح مفهوم الدعوة الإسلامية ذاتها في أذهان كثير من العاملين في حقها وفي كثير من الناس مما جعل هناك خلطاً كبيراً في حقها بين عمل الوعاظ والداعية وعمل الإمام في المسجد والداعية ، وبين عمل المشرف الاجتماعي والداعية ولم يفهم أن الداعية هو الذي يحمل تنفيذ قوله تعالى « ( لنخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ) » .

الأسس الرئيسية للتخطيط

أولاً : المستوى الدولي :

أن يعقد مؤتمر في رحاب الأزهر باعتباره الممثل الأول والأولي لجميع حركات الدعوة الإسلامية يحدد فيه .

أولاً : دراسة الدعوة الإسلامية . في ظل المتغيرات الدولية والمخططات للحركات العالمية الأخرى .

ثانياً : وضع صندوق لدعم الدعوة الإسلامية تقدم فيه الدول الغنية خمس ركازها فذلك حق الدعوة شرعاً .

ثالثاً : توضيح مشكلات العالم الإسلامي واحتياجاته وتحديد أولويات المشكلات وأسلوب التغلب عليها ، والقدر الذي تحتاجه من الزمن والمال .

رابعاً : وضع خطة متوازنة لتخريب دعاه إلى العالم الإسلامي بحيث يحقق مناهج كليات الدعوة الإسلامية المستوى المطلوب لكل بيئة أوربية أو أفريقية أو آسيوية .

خامساً : تحرير المساجد من التوجيه الحكومي والعالمي وأن يأخذ المؤتمر العالمي للمساجد دوره الإيجابي .

سادساً : توضع خطة تنسيق بين جميع الأقطار العاملة في حقل الدعوة الإسلامية بحيث تزول العنفة السياسية على العمل الإسلامي للدعوة وبين الوصف الإسلامي عن طريق مؤتمر جمع البحوث الإسلامية بالأزهر أو رابطة العالم الإسلامي .

سابعاً : اختيار هيئة دائمة للمتابعة والتخطيط للدعوة عملياً من جميع الهيئات العاملة في حقل الدعوة في شتى المناطق الجغرافية للعالم الإسلامي .

ثانياً : على المستوى المحلي :

- ١ - تدرس مشكلات كل مجتمع محلي على حده :
- ٢ - تهيئة السبل والدعاة التي تنفق مع طبيعة كل مجتمع محلي بذاته .
- ٣ - توظيف البعثة في البيئة التي سترسل إليها بحد إنتاجي لا زمني بمعنى أن العمل إذا كان يحتاج إلى زمن أطول من زمن البعثة المقررة زمنياً ينبغي أن تستمر البعثة في عمائها حتى تؤتي ثمارها .
- ٤ - كل نتائج العمل ترسل إلى كليات الدعوة لتحميلها ودراستها والاستفادة منها . كما توضع نتائج هذه الدراسة أمام هيئة المتابعة والمؤتمرات الدولية للدعوة الإسلامية .

ثالثاً : المستوى الأكاديمي :

- ١ - يختار عمداء كليات الدعوة ومديرو معاهدها من أشيخاص توفر لهم الشروط التالية :

• الثقافة الشاملة للغات الحية .

والأديان المقارنة

والإسلاميات بأنواعها

فقها وأصولاً ، وحديثاً وتفسيراً وأدباً .

٢ — العمل أن يكون الداعية وأسرته قدوة للأمر الأخرى في تبليغ الدعوة .

٣ — وأن يتحلى بالقناعة التي تغنيه عن طلب الدنيا ولو كانت ملء يديه .

٤ — وأن يكون خلقه إيثار الجهاد على الراحة ، والتضحية على التبرع .

٥ — وله خبراته الواسعة بمشكلات العالم الإسلامي وقادة الدعوة ومرونته في استخدام مناهج تبليغ الدعوة .

وأخيراً فأنت لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء

ذلك قدر فكري ، والله من وراء القصد



## القسم الثاني رؤى في الصحافة الإسلامية

- \* خطأ محاولة تعريف القرآن بالجنس والفصل .
- \* القرآن والأحرف السبعة .
- \* الرسم العثماني واجب شرعى لا يجوز مخالفته .
- \* مركز السنة الإسلامية في التشريع الإسلامى .  
وموقف المستشرقين منها .
- \* منهج العلماء في ضبط إدراك الحكم الشرعى .  
الإحتهاد والإفتاء .
- \* تحديد النسل والتنمية الاقتصادية .
- \* أسس العمل الاقتصادي في نظر الإسلام .
- \* أخلاقيات البيع والشراء في نظر الإسلام .
- \* أهمية الصوم وأثره في مجالات الحياة .
- \* المرأة في الإسلام .





## خطأ محاولة وضع تعريف بالجنس والفصل المنطقي للقرآن الكريم

تدور الدراسات في علم الكلام حول القرآن الكريم من حيث كونه الصفة القديمة المتعلقة بالسكيات الحكيمية أو من حيث كونه السكيات الحكيمية الأزلية .

والقرآن بهذا منزه عن التعدد فهو أزلي والتعدد يستلزم الحدوث ومن هنا فان لفظ القرآن يكون من قبل العلم الشخصي بأى الاطلاقين اختار العلماء .

أما إذا قيل أن المراد به اللفظ المنزل فهنا يكون محك الخلاف لأن مدلولات الآيات الحكيمية الأزلية لا يقدر فيها كثرة المتلفظين بها وتعدد القارئ حتى تصيراً أمراً كلياً مكوناً من أجزاء ولهذا فان الرأى السائد هو أن القرآن علم شخصي وهنا تقول لعلماء الكلام وعلماء الأصول هل يصاغ للاعلام تعاريف ؟

يقول فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز ( واما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئياً حقيقياً كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بهذا الوجه لأن أجزاء التعاريف المنطقية كليات ، والسكلي لا يطابق الجزئي مفهوماً لأنه لا يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلاً له في ذلك الوصف ذهنياً وأن لم يوجد في الواقع فلا يكون مميزاً له عن جميع ما عداه فلا يكون حداً صحيحاً .

ذلك لأن مهمة التعريف هي أن يميز المعرف عن كل ما عداه القرآن

أليس كذلك ؟

وتحديد الجزئي يكون بالإشارة إليه حاضراً في الحس أو معهوداً في  
الذهن وعلى هذا فإذا أردت أن تضع تعريفاً للقرآن فلا بد وأن تشير إليه  
مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان .. وهذا غير التعريف بالحد أو بالرسم  
بالجنس أو بالتفصيل لأنها خاصة بالأمر السكّلية ..

والتعريف دائماً أعرف وأجلى من المعرف فهل القرآن الكريم وهو  
كتاب الله جل شأنه في حاجة إلى تعريف بألفاظ البشر ؟

من هنا فإني أحكم بنسداد محاولة وضع تعريف للقرآن الكريم .

أولاً : لأنه علم شخصي كما سماه الله جل شأنه بل هو قرآن مجيد .

ثانياً : هو أوضح من التعريف لأنه وحى الله المعصوم ..

وفي كلتا الحالتين فالمحاولة فاشلة لأنه شتان ما بين وحى معصوم حق  
بذاته وجنس وفصل فاشل في محيط أسرته البشرية التي رغبت عنه منذ أبد  
وآباد .. (١)

---

(١) راجع النبأ العظيم ص ٨، ٩، مناهل الترفاهة ج ١ ص ١٥/١٤ .

## نزول القرآن على سبعة أحرف

على عادتنا دائماً في مناقشة الموضوعات المتعلقة بالقرآن والوحي والنبوة وكل ما يتصل بالخبر المعصوم فإننا نعتصم دائماً بالذاتية الإسلامية التي تبدو في قبول العقل للنصوص الإسلامية مع تدبر دون تفييق أو تشدق أو تفلسف أو مرأه أو جدل.

وقضية : نزول القرآن على سبعة أحرف إذا بحثناها من الناحية الأكاديمية مع الاعتصام بالذاتية الإسلامية نجد لها عدة جوانب نطرحها في أسئلة ست :

### السؤال الأول :

هل نزول القرآن على سبعة أحرف نظرية تناقش فكرياً ؟  
أو هل هي أحداث وقعت بالفعل ؟

### السؤال الثاني :

هل وقوع هذه الأحداث يساعد على تحديد المراد من ( سبعة أحرف ) ؟

### السؤال الثالث :

كيف يستعمل الحرف في الاضطلاح العربي . . وهل يمكن استعماله اللغوي من أن يساعدنا في تحديد المراد من معنى ( سبعة أحرف ) ؟

### السؤال الرابع :

ارتباط الأحرف السبعة .  
برأفة النبي ﷺ بأمتة وطالمة الدعوة الإسلامية .

## السؤال الخامس :

ماهى حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ؟

## السؤال السادس :

آراء العلماء التقيدين فى الحروف السبعة وتخص منهم :

١ - الرازى

٢ - ابن قتيبة

٣ - والقاضى الطيب

هل هى أحداث أو نظرية :

قبل أن نخوض غمار الحديث فاننى أحب أن أنبهكم إلى عدة مسائل

المسألة الأولى : ان الأحرف السبعة ليست نظرية ثقافية يمكن عرضها على بساط البحث والمناقشة الأكاديمية الجدلية التى ياحب الذكاء والعقل الحصيف فيها دوره ويفعل أفاعيله . . .

وإنما هى أحداث واقعية سنبرهن عليها بالأحاديث الصحيحة إن شاء الله .

المسألة الثانية : ليس المراد من نزول القرآن على سبعة أحرف (قال أبو عبيد ليس المراد) أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع متفرقة فيه (١)

المسألة الثالثة : ليس المراد من الأحرف السبعة القراءات ..

---

(١) فتح البارى > ١٠ ص ٤٠٢

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما بظن ذلك بعض أهل الجهل (١) .

المسألة الرابعة : نزل القرآن أولاً بلغة قريش ثم يسر الله تعالى على الناس أن يقرؤا ما يسر منه

نقل أبو شامة عن بعض شيوخه أنه قال : أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أيسح للعرب أن يقرؤه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الالفاظ والأعراب (٢) واذن فلا مجال للرأى فيما يتعلق بالأحرف السبعة الأهم الا في ضوء الهدى النبوى الكريم .

المسألة الخامسة : لاتناقض بين هذا وبين ورتل القرآن ترتيلاً . . .

الأحرف السبعة أحداث واقعية :

١ — روى الإمام البخارى بسنده عن ابن شهاب قال :

حدثنى عروة بن الزبير أن المسور بن محرمة . وعبد الرحمن بن القارى حدثناه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول :

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ . فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكذت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبيته بردائه فقلت :

(١) فتح البارى ١٠ ص ٤٠٦

(٢) فتح البارى ١٠ ص ٤٠٢

من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ  
 فقلت : كذبت فان رسول الله ﷺ ، قد أقرأنيها على غير ما قرأت .  
 فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : انى سمعت  
 هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . . . فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة  
 التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، إن هذا  
 القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه (١)

٢ - وفي تفسير الطبري : عن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال :  
 قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فغير عليه فقال :  
 لقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير على .

قال : فاخترتصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألم  
 تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فوقع في صدر عمر شيه فعرى  
 النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه قال : فضرب صدره وقال : أبعد  
 شيطاناً قالها ثلاثاً . . . ثم قال : يا عمر : إن هذا القرآن كله صواب ما لم  
 يجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة (٢) .

٣ - ويروي ابن حجر في فتح الباري ما أخرجه عن أبي قيس هولى عمرو  
 بن العاص أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا  
 فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى  
 ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه « اسناده حسن (٣) .

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠١/٣٩٩ راجع تفسير الطبري ج ١ ص ١٣

(٢) الطبري ط ص ١٣

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠١

٤ - ووقع مثل هذا الاحتكاك بين عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب في قراءة سورة النحل . فاحتكا إلى النبي ﷺ فقال لها : كلا كما يحسن ، قال أبي فقلت ما كلانا أحسن ولا أجمل ؟ قال فضرب في صدرى وقال : يا أباي : أرسل إلى : أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف .

٥ - وأبي بن كعب يسمع رجالا يقرؤون في الصلاة قراءة ينكرها عليهم فلما إنتهت الصلاة وخلوا على رسول الله ﷺ فحسن قراءتهما في مسلم . من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرها فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنهما قال : فسقط في نفسى ولا إذ كنت في الجاهلية فضرب في صدرى ففضت عرقاً وكانما أنظر إلى الله فرقا فقال : - يا أباي أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية : اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة : اقرأ على سبعة أحرف .. الحديث (١) .

#### ملخص هذه الأحاديث :

١ - أن خلافا وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان .

٢ - أن أبي بن كعب اختلف مع عبد الله بن مسعود في قراءة سورة النحل .

---

(١) مسلم ج ١ ص ٥٦٢ راجع فتح الباري ج ١٠ ص ٣٩٨ .

٣ - أن أبي بن كعب سمع رجلا يقرءون القرآن على غير الحرف الذي يقرأ هو عليه .

٤ - أن عمر بن الخطاب صحح قراءة رجل فأخبره أنه قرأ ذلك على النبي ﷺ ولم يغير عنه .

٥ - أن عمرو بن العاص كذلك اختلف مع رجل في قراءة آية .

وكل هذا الاختلاف ليس فيه تغيير المعاني وكل هذه الأحرف التي قرءوا بها رضوان الله عليهم بلهجاتهم أو بلغاتهم أو بأحرف قرائتهم قد أجازها النبي ﷺ وحسنها جميعا وقال لهم : -

أنزل القرآن على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم .

ثم نهانا عن الاختلاف فقال :

فلا تماروا فيه . . .

ومعنى هذا أن مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف ليس بحثاً نظرياً خاضعاً لمقاييس الذكاء والعبقرية في البحث والدراسة وإنما هو أحداث وقعت وعلى المسلم أن يتبصرها في جو : « أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله » أو في جو الذاتية الإسلامية حتى يسلم البحث من تهوك المتفاسدين الذين قبل فيهم ثلاث مرات :

هلك المتنطعون ..

ثانياً : هل يمكن تحديد الأحرف السبعة من خلال الأحداث التي وقعت ؟

وإذا تتبعنا الأحاديث التي تصور وقوع تعدد في القراءات واللهجات والتي كان الصحابة يتلقونها عن رسول الله ﷺ وجدنا عدة أنواع من الأحاديث :

النوع الأول : أحاديث تدل على الاختلاف في القراءة .



النوع الثاني : أحاديث تدل على الأختلاف في اللغة .

النوع الثالث : أحاديث تدل على الأختلاف في أوجه المعاني .

النوع الرابع : أحاديث ناهية عن المراء والأختلاف في القرآن الكريم .

النوع الخامس : أحاديث ميسرة ومرغبة في قراءة القرآن الكريم .

نموذج النوع الأول : أحاديث تدل على الأختلاف في القراءة :

يروى الإمام الطبري في تفسيره :

أن أبا جهم الأنصاري أخبره : أن رجلين إختلفا في آية من القرآن فقال هذا : تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا رسول الله ﷺ عنها فقال رسول الله ﷺ : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر<sup>(١)</sup> .

٢ - فيما مضى من قصة أختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم إنطاق عمر يقود هشام حتى وصلا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ اقرأ يا عمر فقرأ القراءة التي أقرأها إياه رسول الله ﷺ فقال له كذلك أنزلت ، ثم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه .

٣ - أقرأ النبي ﷺ رجلا من المسلمين : أن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، فلم يستطيع أن ينطق بكلمة الأثيم فأقرأه « طعام الفاجر » .

هذه الأحاديث والوقائع نماذج للخلاف في القراءة فهل المراد من سبعة

أحرف الخلاف في القراءة ؟

أو هل الخلاف في القراءة واحد من سبعة أحرف ؟

نموذج النوع الثاني : أحاديث تدل على الأختلاف في اللغة :

أورد ابن حجر في فتح الباري : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

(١) تفسير الطبري ط ص = ١٩ .

نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن قال :  
والعجز : سعد بن بكر ، وجشعم بن بكر ، ونصر بن معاوية وثقيف .

٢ - وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس قال : نزل القرآن  
بلغة الكعبين : كعب قريش ، وكعب خزاعة قيل : وكيف ذلك ؟ قال لأن  
الدار واحدة . (١) .

قال في الطبري : حدثني أبو العالية قال : قرأ علي رسول الله ﷺ من  
كل خمس رجل فاختلفوا في اللغة فرد قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب  
القوم (٢) .

٣ - روى الأزهرى عن ابن عباس أنه سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم  
نزل القرآن على سبعة أحرف فقال :

ماهى إلا اللغات ..

فهل تدل هذه الأحاديث على أن المراد من الحروف السبعة اللغات ؟

أو هل تدل على أن اللغات واجد من الحروف السبعة ؟

نموذج النوع الثالث : أحاديث تدل على الاختلاف في وجوه المعانى :

١ - في تفسير الطبري : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ  
أنه قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل  
القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زجر ، وأمر ، وحلال ،  
وحرام ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ووافعلوا

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٢ .

(٢) تفسير الطبري ج ١ ص ١٩ ، ٢٩ .

ما أمرتم ، وانتهوا عما نهيتهم عنه وإعتبروا بأمثاله ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » (١) .

٢ - ويروى أيضاً : عن أبي قلابه قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف : أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب وجدل ، وقصص ، ومثل (٢) .

ويعلق ابن حجر على هذه الرواية وأمثالها بقوله :

ومما يوضح أن قوله زاجر وأمر ... الخ ليس تفسيراً للأحرف السبعة ما وقع في مسلم من طريق يونس عن ابن شهاب عقب حديث ابن عباس الأول .. قال ابن شهاب : بلغني أن تلك الأحرف السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام (٣) .

ونص الحديث في مسلم :

عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ابن عباس حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل استزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف « أ . ه . » .

قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام (٤) .

فهل هذه الأحاديث تجعل الاختلاف في الوجوه تفسيراً للحروف السبعة ؟

---

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٣٠ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٣٠ فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٤ .

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٥ .

(٤) مسلم ج ١ ص ٥٦١ تفسير الطبري ج ١ ص ١٤ .

أو تحملها واحدة من الحروف السبعة ؟

قبل أن نجيب نود أن نتأدب أولاً بأداب السنة النبوية فيما يتعلق بنماذج النقطة الرابعة والخامسة .

نماذج النوع الرابع : أحاديث ناهية عن المراء في القرآن .

١ - في تفسير الطبري : أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر اه (١) .

٢ - أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما عرفتم منه فأعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه « اه (٢) .

٣ - اختلف رجلان في سورة فقال هذا : أقرأني النبي ﷺ ، وقال هذا أقرأني النبي ﷺ فأقرأني النبي ﷺ فأخبر بذلك قال : فتغير وجهه وعنده رجل فقال :

« إقرءوا كما علمتم فانما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم (٣) .

٤ - قال عبد الله بن مسعود تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه قال : فقلنا : انا اختلفنا في القراءة قال : فاجر وجه رسول الله ﷺ وقال :

- 
- (١) الطبري ج ١ ص ١٩ .  
(٢) تفسير الطبري ج ١ ص ١ .  
(٣) الطبري ج ١ ص ١٢ .

إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم قال: ثم أمر إلى علي شيثاً فقال  
لنا علي: أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم (١) .

٥ - عن شقيق قال: قال عبد الله: أنى قد سمعت القراء فوجدتهم  
متقاربين فاقرءوا كما علمتم وأياكم والتنطع فانما هو كقول أحدكم هلم  
وتعالى (٢) .

هذه الأحاديث والآثار تقصي القرآن الكريم عن معركة التهوك والجدل  
وتيسره لكل لسان وقوم وجنس .

نماذج النوع الخامس: أحاديث تدل على تيسير قراءة القرآن للناس كافة.

١ - أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه ج ١  
ص ١٣ الطبرى .

٢ - أن القرآن كله صواب ما لم يجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة ج ١  
ص ١٣ الطبرى .

٣ - القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ج ١ ص ١٣ ، ١٩ .

٤ - نزل القرآن على سبعة أحرف فما قرأت أصبت ج ١ ص ١٤ ،  
١٥ ، الطبرى .

٥ - أن الله أمرنى أن اقرأ القرآن على حرف فقات اللهم رب خفف عن  
أمتى قال اقرأه على حرفين . . . فأمرنى أن اقرأه على سبعة أحرف من سبعة  
أبواب من الجنة كلها شاف كاف ط ص ١٦ ، ٢٠ ، الطبرى .

---

(١) الطبرى ج ١ ص ١٢ .

(٢) الطبرى ط ص ٢٢ .

٦ - أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة . ج ١ ص ١٩ الطبرى ..

٧ - قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ليقرأ كل إنسان كما علم ، كل حسن جميل ج ١ ص ١٣ الطبرى .

• من هذه النماذج تدرك أنه لا يمكن تحديد الحروف السبعة وليست واحدة مما ذكر من الاختلاف في : القراءة ، والوجوه بالمراد من الحروف السبعة لا هي منفردة ولا هي مجتمعة .

• كذلك من النماذج السالفة ندرك أن طرح موضوع الحروف السبعة لا يدرك .. ما صدقها في مجال البحث العقلي الصرف مرآة ممنوع منه الخلقاء الذين لهم إيمان صاف وذاتية إسلامية لا تأبه بالعلمانية الاستشراقية الغربية التي تريد أن تبيع الذاتية الإسلامية في البحث العلمى حتى يتخلص المسلمون من أخص خصائهم وأنهم البانون حضارة الإنسان بمنهج الذاتية الإسلامية التي تعيد كل شيء لله رب العالمين .

• ومع هذا نجد في النماذج السالفة كذلك حثا وتيسيراً لمن شاء أن يقرأ القرآن كما تعلم من شيخه دون خروج على ما تعلم .

قال ابن حجر : وحاصل ما ذهب إليه هؤلاء أن معنى قوله - عليه الصلاة السلام - أنزل القرآن على سبعة أحرف أى نزل موسعا على القارىء أى يقرؤه بأى حرف منها وذلك لتسهيل قراءته<sup>(١)</sup>

• وليس معنى أن يقرأ الإنسان حسب هواه بغير علم .

---

(١) فتح البارى ط ص ٤٠٣ .

قال ابن حجر : إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي :

أى أن كل أحد يغير الكلمة بمراد فهم في لفته بل المراجع في ذلك السماع من النبي ﷺ ويشير إلى ذلك — يعنى إلى فهم ابن حجر — قول كل من عمر وهشام في حديث الباب ... يعنى الروى فى البخارى ، أقرأنى النبي صلى الله عليه وسلم (٢) . ١ . ه .

وعلى هذا فإنه لا ينبغي أن نمارى فى تحديد المراد من الحروف السبعة حتى لا تنقل العمل بالقرآن من الجو الإسلامى البنائى التطبيقى إلى مدرجات وقاعات المحاضرات والبحث دون أن ينفذ القرآن كامام وهاد وصدق وأنيس فى جميع مجالات الحياة وذلك ما كان يحرص عليه النبي ﷺ والصحابة المهديين بنور إرشاده وبركاته .

ثالثاً : استعمال الحرف فى الأسلوب العربى .

وهل يمكن استعماله اللغوى من مساعدة تحديد المراد من الحروف السبعة ؟  
أولاً : قال فى لسان العرب .

الحرف يطلق على حرف التهجى : أ - ب - ت - و على ما يقابل الفعل  
والإسم فى تقسيم الكلمة إلى :

اسم وفعل وحرف .

ويمكن إطلاق الحرف على اللغة ، وعلى الناقاة الضامرة ، وكل كلمة تقرأ  
على وجه من الوجوه تسمى حرفاً .

وفى القاموس المحيط : الحرف من كل شىء طرفه وواحد حروف التهجى

( ٢ ) فتح البارى ط ص ٤٠٣ .

وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا بفعل ، ومن الناس من يعبد الله على حرف أى وجه واحد

ثانياً : قال فى أساس البلاغة : ومن المجاز : هو على حرف من أمره : أى على طرف كالذى فى العسكر إن رأى غلّة استمر وإن رأى ميّلة فر ، وناقاة حرف شبيهة بحرف السيف فى هراهما .

وعلى هذا فالحرف يستعمل فى الحقيقة وفى المجاز .

• وحقيقة : فى حرف التهجى : أ - ب - ت .

• وفى الحرف المقابل للاسم والفعل ، وفى طرف كل شئ .

• وهو مجاز : فى الناقاة الضامرة ، وموقف الرجل المتأرجح وهو الوجه الخاص فى تصرف من التصرفات .

وبعد .

أفلا يجعلنا ذلك الاشتراك أن نقول بأن المراد من الحروف السبعة هنا المفهوم الكنائى المجازى لا الحقيقى ؟

إن الإمام ابن حجر يقول : ولنظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة فى الآحساد كما يطلق السبعين فى العشرات والسبعمائة فى المئين ولا يراد العدد المعين .

وإلى هذا جنىح الإمام عياض صاحب كتاب الشفاء وهذا هو ما ينبغى أن يستقر عليه الأمر ودليل ذلك :

أولاً . أن تفسير الحرف بمعناه الكنائى المجازى يدفع عرض الموضوع فى مجال الجدل والمناقشة وذلك مرء ممنوع منه الفرد المسلم : لا تماروا فى القرآن فان المرء فيه كفر .



ه اقرءوا القرآن ما تلافى عليه قلوبكم فاذا ما اختلفتم فيه فقوموا .

ه كلاً كما حسن .

ه أى ذلك قرأتكم أصيتم .

و تلك كلها توجيهات نبوية تنضم إلى النص القرآني .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » .

قال ابن كثير في تفسيرها : سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراه

ج ٤ ص ٢٦٥ )

ثانياً : يقوى أن المراد بالعدد هنا المعنى المجازى ذكره في وحدة المائة

( بلفظ سبعين )

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم

إن تستغفر لهم سبعين مرة

( ٨٠ - التوبة )

فإن يغفر الله لهم » .

فإن المراد من العدد هنا كثرة الاستغفار وقد إتفق في العربية على أن

العدد إذا ذكر سايماً من الكسور كان مراداً به المعنى المجازى مثل :

سبعة، وسبعين، وسبعمائة .

أما إذا كان العدد فيه كسوراً مثل : الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين

جزءاً من النبوة « كان العدد » ست وأربعين هذا مقصوداً فقد إتفق العلماء

أن مدة الرؤيا الصادقة ستة أشهر والنبي ﷺ عاش بعد النبوة ثلاثة وعشرين عاماً

فتكون ستة أشهر جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة لأن العام فيه

إثنا عشر شهراً ونصفها ستة .

وعلى هذا فالاستعمال العربي والقرآني معا يقويان وجهة نظر أن المراد من الحروف السبعة المعنى المجازي .

ثالثاً : - التعبير النبوي نفسه كافٍ بحمل الأشكال فقد أنزل القرآن على سبعة أحرف ولم ينزل بسبعة أحرف ، ومعنى على يفيد الشرط كأنه نزل مشروطاً بالتسهيل والتيسير .

يقول فضيلة الشيخ الزرقاني : كأنه قال :  
أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة .

وإذن فالسبعة أنزل عليها ولم ينزل القرآن بها لقد نزل كما شاء الله .  
ميسراً سهلاً ونزل على هذه السهولة واليسر .  
« وأى ذلك قرأتم أصبتم » .

والمهم أن يتدارس المسلمون القرآن على حروف يسره الله لهم مادام ذلك عن شيخ مجود للقرآن مأمون الخلق والعلم والسلوك .

رابعاً :

إرتباط الأحرف السبعة برأفة النبي ﷺ وعالمية الدعوة الإسلامية .

١ - الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للإنسان على وجه الأرض مهما اختلفت لغته وجلسيته ووطنه ، والقرآن الكريم هو النبع الصافي الذي يستقي منه البشر جميعاً مبادئ الإسلام ، ومن خصائص هذا القرآن إن الله يسره للذكر : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . وهذا التيسير مباح لجميع البشر . . . ونموذج هذا التيسير واضح في شعب جنوب شرقي آسيا . . . ذلك الشعب الطيب الذي يقرأ القرآن بيسر وسهولة وخشوع دون أن يعرف للعربية نحواً أو صرفاً .

٢ - وقد شاء الله تعالى أن تتحمل خصائص القرآن الكريم عالميته للناس جميعاً ... والنبي ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى ابداً .. ويدرك خصائص القرآن بسرّه على لسان المسلم في كل وطن . ومن هنا فقد شاء الله تعالى أن يمنح امتّه في كل جزء من الأرض مندوحة القراءة مع اليسر والتسهيل .

٣ - وقد روى الطبري بسنده قال : سمعت عبد الله بن عمر عن سيار أبي الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، رفعه إلى النبي ﷺ . . ذكر : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، وكل يزعم أن النبي ﷺ أفراه فتقاروا إلى أبي ، فخالفاً أبي فتقاروا إلى النبي ﷺ ، فقال : يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلنا يزعم أنك قرأتها ، فقال لاحدهما : اقرأ ، قال : فقرأ ، فقال : « أصبت » ، وقال للآخر : اقرأ فقرأ بخلاف ما قرأ صاحبه فقال : « أصبت قال أبي : اقرأ فقرأ ، فخالفاً ، فقال « أصبت ، قال أبي : فدخانني من الشك في أمر رسول الله ﷺ ما دخل في من أمر الجاهلية ، قال : فعرف رسول الله ﷺ الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدرى ، وقال : « استعذ بالله من الشيطان الرجيم » ، قال : ففضت عرقاً ، وكأني أنظر إلى الله فرقاً وقال :

إنه اتانى آت من ربى فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتى ، قال : ثم جاء نقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتى ، قال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن عن أمتى قال : ثم جاءنى الرابعة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة : قال : قات : رب اغفر لأمتى ، رب أغفر لأمتى ، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتى ، حتى إن إبراهيم

صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن ليرغب . فيها (١)

٤ — ومن حديث أبي بن كعب قال :

أتى النبي ﷺ جبريل وهو باضأة بنى غفار ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ ، فقلت : يا رسول الله ، قال : قال : فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : معافاته ومغفرته - سل الله لهم التخفيف فانهم لا يطيقون ذلك ، فانطلق ثم رجع فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ ، امتك القرآن على حرفين ، قال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : معافاته ومغفرته - أنهم لا يطيقون ذلك فسل الله لهم التخفيف ، فانطلق ثم رجع فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ ، امتك القرآن على ثلاثه أحرف . فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : معافاته ومغفرته - سل الله لهم التخفيف فأنتقل ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ ، امتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ (٢) .

وواضح من هذه النصوص أن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن يبسر تلاوة القرآن للأمة الإسلامية في كل صقع من أصقاع الارض .

ولقد يسره الله على القلوب والأذان فقد ذكر بعض الاخوان انهم وهم في سفرهم إلى أمريكا على باخرة استأذنوا الربان في إقامة صلاة الجمعة وكان مظهرها فريدا في عالم الرحلات البحرية أن تتجمع جماعة إسلامية فوق ظهر باخرة في وسط المحيط ثم يأخذون في تأدية شعائر صلاة الجماعة والتف الناس حولهم يستمعون للخطبة . . وبعد الصلاة تقدمت سيدة غير مسلمة ولا تعرف

(١) الطبري ج ١ ص ١٨ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢٠ .

العربية ابدا ولا زارت بلاد العرب مطلقا وقالت للخطيب: كان يتدخل حديثك كلام تقشع منه نفسي وتستجيب له عواطفى ، كنت احس أن نورا ينقذف في قلبي ، فما هذا الذى كنت تقوله وسط كلامك ؟ . . فقال لها الأخ المسلم الكريم سيد قطب رحمه الله - وهو الخطيب في هذه الحادثة : انه القرآن الكريم .

هكذا يسر الله القرآن للذكر والتذكر وتلك واحدة من خصائص القرآن وعالميته ، وواحدة من بركات سيدنا رسول الله ﷺ . . ولهذا فان الاحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم هي تلك السهولة والتميسير الذى امتاز به القرآن الكريم على اللسان والقلب والمشاعر .

يدور الزمن ويطول العمر ليلبي ظلالا على مفهوم نزل القرآن على سبعة أحرف بعيداً عن التشاكس والعراك المذهبي والكلامى . ليعلم المسلمون إن الله قد يسر لهم أمر دينهم وأفسح لهم رخصة واسعة في تلاوة كتابه العزيز .

وفي المحيط الإسلامى : نجد اخواننا المساكين هنا . . وخاصة الناس في القرى على اتصال دائم بتلاوة القرآن الكريم دون دراية لهم بالبحر والعرف ودون تعلم اللغة العربية ، وهم يتخشعون في القراءة كأنما المعانى تتسرب إلى قلوبهم نورا وضيئا . . . وتلك هي واحدة من تيسير القرآن للذكر . . وهي من نجات سيدنا رسول الله ﷺ ورأفته بامته وعالمية دعوته

خامسا : حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف :

١ - روى الإمام الترمذى عن أبي بن كعب قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل عند احتجار المروة قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل « انى بعثت إلى أمة اميين ، فيهم الشيخ الفانى ، والعجوز الكبيرة ، والغلام قال . ثم هم فليقرءوا القرآن على سبعة احرف » قال الترمذى حسن صحيح .

فالحكمة هنا كما وضعناها سالفا هي الراه التي فصدها رسول الله ﷺ  
والتوسعة التي ارادها لأمته في قزاة القرآن .

## ٢ - بيان حكم من احكام الشريعة

ففي قوله تعالى :

« وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس » في قزاة سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه « وله اخ أو اخت من أم بزيادة ( من ام ) فتبين بهذه الزيادة ان المراد من الاخوة في هذا الحكم الاخوة لأم دون - الاشقاء ومن كانوا لأب وهو أمر يجمع عليه .  
« ومثال ذلك أيضا :

« فكفاراته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون أهائكم أو كسوتهم أو تحزير رقبة » هناك قزاة ( رقبة مؤمنة ) بزيادة ( مؤمنة ) فتبين بهذا الشرط ان الرقيق الذى يكون كفارة لا بد وأن يكون مؤمنا . . . وذلك واحد من أساليب الإسلام للقضاء على الرقيق باسلوب القرآن الخاص في سياسته الشرعية للتغلب على المشاكل الاجتماعية دون حدوث مضاعفات فيما بعد .  
« ومثال ذلك ايضا :

فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن هناك قزاة بتشديد الطاء ( يطهرن ) فعلى الاولى يفيد انتهاء فترة الانعزال بمجرد انتهاء فترة الحيض ، وعلى الثانى يفيد ان انتهاء فترة الانعزال مشروطة بالطهارة والاستحمام من الحيض فلا بد من الإغتسال .

## ٣ - للدلالة على حكمين شرعيين :

« فاعسلوا وجوهكم وإيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين » .

قرىء ( وأرجلكم ينصب اللام عطفاً على وجوهكم وأيديكم وهذا في حالة الوضوء عند عدم الحاجة .

وقرىء ( وأرجلكم ) بكسر اللام وذلك عند الضرورة والمسح على الخفين .

فأفادت القراءة ان حكيم شرعيين في حالتين مختلفتين .

٤ — رفع توهم ما ليس مراداً :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله » .

قرىء ( فامضوا ) فعلى الأول يمكن أن يفهم أن المراد بـجرىء والسرعة في المشى ، عند سماع آذان الجمعة ، وعلى الثاني أفاد أن المراد هو حضور الجمعة مطلقاً فرفعت ما يمكن أن يتوهمه القارىء في القراءة الأولى .

٥ — تفسير كلمة غريبة :

« وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

قرىء كالصوف المنفوش ، فوضحت القراءة الثانية معنى العهن وأنه مراد به الصوف .

وتلك واحدة من الحروف السبعة التي يسر الله بها للأمة الإسلامية قراءة وتديير كتاب الله الكريم .

سادساً : آراء العلماء في الحروف السبعة :

وبعد ما قدمته من عرض قائم على أساس الذاتية الإسلامية ، فإنه دون بأس لا أجد مانعاً أن نقف على ما أرتاه علمائنا الأجلاء من معاني للحروف السبعة .

وفي مقدمة هؤلاء العلماء :

- ١ — ابن قتيبة .
- ٢ — أبو الفضل الرازي .
- ٣ — القاضي ابن الطيب .
- ٤ — ابن الجوزي .

وقبل أن أعرض آراءهم أحب أن أذكر أنهم جميعاً متفقون على أن الاختلاف المراد هنا هو اختلاف التضاد وليس اختلاف التغاير ، لأنه لا يمكن أن يكون الشيء دائراً بين شيئين متغايرين ، مع صحة كل منهما كالحل والحلوة ، فإن ذلك لا يقع إلا في التغاير وهو خاص بالناسخ والمنسوخ وقدمر أنه قيل :

« لا تختلف في جلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى »<sup>(١)</sup> .

قال الإمام الطبري :

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تمارياً واختلافاً فيما لذك عليه تلاوتهم من التحليل والتحرير والوعد والوعيد وما أشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه<sup>(٢)</sup> .

لهذا فإن الاختلاف المراد هو اختلاف التضاد :

أولاً : رأى ابن قتيبة :

- ١ — الاختلاف في حركة الكلمة من غير أن تتغير الصورة ولا المعنى مثل : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » — قرئ ، ولا يضار بفتح الراء دون تشديد .

---

(١) الطبري ج ١ ص ٤٣ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢٠ ، ٢١ .



٢ - اختلاف في حركة بناء الكلمة من غير أن تتغير الصورة ولكن بتغير المعنى مثل :

« ربنا باعد بين أسفارنا » ( ١٩ سبأ ) . - قرىء باعد على صيغة الخبر بالفعل الماضي .

٣ - اختلاف في حروف الكلمة دون تغير في الصورة والإعراب وبتغير المعنى مثل .

« وانظر إلى العظام كيف نشزها ( ٢٥٩ البقرة ) قرء نشزها فاختلف المعنى مع حروف الكلمة دون الصورة والإعراب .

٤ - اختلاف في صورة الكلمة دون المعنى مثل :

« إن كانت إلابيحة واحدة » ( ٢٩ يس ) قرىء زقية .

٥ - اختلاف في الصورة والمعنى مثل :

قرىء ( وطلع ) - TUNAS - وطلع :

٦ - اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :

« وجاءت سكرة الموت بالحق » ( ١٩ ق ) قرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٧ - اختلاف بالزيادة والنقص مع اتحاد المعنى مثل :

« وما عملت أيديهم » ( ٣٥ يس ) - قرىء : وما عملته أيديهم .

ثانياً : رأى أبي الفضل الرازى :

١ - اختلاف الأسماء : أفراد وتثنية وجمعاً مثل :

« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » - قرىء :

لا ماناتهم - بالأفراد .

- ٢ - اختلاف الأفعال : ماضى ، مضارع ، أمر - مثل :
- « ربنا باعد بين أسفارنا » - قرىء :
- ربنا بعد - على إنه مبتدأ .
- ٣ - اختلاف وجوه الأعراب - مثل .
- « ولا يضار كاتب ولا شهيد » - قرىء : ولا يضار - بالرفع على أن لا نافية  
للفعل مرفوع .
- ٤ - اختلاف بالنقص والزيادة مثل :
- « وما خلق الذكر والأنثى » - قرىء : والذكر والأنثى ، بدون (ماخلق) .
- ٥ - اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :
- « وجاءت سكرة الموت بالحق » - قرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .
- ٦ - اختلاف بالإبدال مثل :
- وطاح ممدود ( بالحاء ) - قرىء : وطاح ممدود ( بالعين ) .
- ٧ - اختلاف اللمجات :
- « وهل أتاك حديث موسى » - تقرأ بالفتح وتقرأ بالإحالة وهي  
الكسر المرخم .

ثالثاً : رأى القاضى أبى الطيب :

- ١ - تغير الحركة مع بقاء المعنى والصورة :
- « ويضيق صدرى » - باسكان القاف - قرىء :
- ويضيق صدرى - برفع القاف .
- ٢ - تغير المعنى مع بقاء الصورة .
- ربنا باعد بين أسفارنا - قرىء :

- ياعد - الأول دعاء - والثاني اخبار - .
- ٣ - تغيير الحروف والمعنى مع بقاء الصورة .  
ننشرها - ننشرها .  
الأول بالزاي - ومعناها الخلق .  
والثانية بالراء - ومعناها البعث .
- ٤ - تغيير الصورة دون المعنى مثل :  
« كالمهن المنفوش » قرىء : ( كالصوف المنفوش ) .
- ٥ - تغيير الصورة والمعنى معا .  
طلع منضود .  
طاح منضود  
الطلع - هو الموز .  
والطلع هو البراعم أو الرائحة للطلع .
- ٦ - التقديم والتأخير مثل :  
وجاءت سكرة الموت بالحق - قرىء .  
وجاء سكرة الحق بالموت .
- ٧ - الزيادة والنقص .  
له تسعة وتسعون نعجة - قرىء .  
له تسعة وتسعون نعجة أنثى - بزيادة لفظ ( أنثى ) .

#### رابعاً : رأى ابن الجوزى :

- ١ - اختلاف في الحركات دون تغيير في الصورة والمعنى مثل :  
« إن يمسسكم قرح » ( ١٤٠ آل عمران ) قرىء قرح - بضم القاف .

- ٢ - اختلاف في المعنى فقط دون الصورة .  
 وأذكر بعد أمة « (٤٣ يوسف) فرىء .  
 بعد أمة - بالتخفيف ومعناه النسيان .
- ٣ - اختلاف في الحروف والمعنى دون الصورة مثل :  
 « هنالك تبدو كل نفس » (٣٠ يونس) فرىء .  
 هنالك تتلو .  
 الأول معناه : تتحمل .  
 الثاني معناه : تقرأ .
- ٤ - اختلاف في الحروف والصورة دون المعنى مثل .  
 « وزادكم في الخلق بسطة » (٦٩ الأعراف) .  
 قرىء : بصطة - بالصاد والمعنى واحد .  
 ٥ - اختلاف في الصورة والمعنى مثل :  
 « فاسعوا إلى ذكر الله » .  
 قرىء - فامضوا .
- ٦ - اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :  
 « وجاءت سكرة الموت بالحق »  
 قرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .  
 « فاذاقها الله لباس الجوع والخوف » (١١٢ النحل) .  
 قرىء - « فاذاقها الله لباس الخوف والجوع » .
- ٧ - اختلاف بالزيادة والنقص مثل :

- « أوصى ربك » - قرىء : ووصى<sup>(١)</sup> .  
« إن الله هو الغنى الحميد » ( ٢٦ لقمان ) .

(١) المراجع .

- ١ - تفسير الطبرى ج ١  
٢ - فتح البارى ج ١٠  
٣ - مسلم ج ١  
٤ - مناهل العرفان ج ١ : لشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى  
٥ - مباحث فى علوم القرآن : مناع القطان  
٦ - التبيان فى علوم القرآن : الصابونى  
٧ - البرهان للزركشى : بدر الدين الزركشى ٧٩٢ هـ  
٨ - الاتقان للامام السيوطى  
٩ - النبأ العظيم : للدكتور محمد دراز  
١٠ - القرآن والنبي : للدكتور عبد الحليم محمود  
١١ - تاريخ القرآن : للأستاذ إبراهيم الاييارى  
١٢ - مدخل لدراسة القرآن الكريم : للدكتور محمد أبو شهبه  
١٣ - تقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجوزى =

---

== ١٤ - سراج القارى المبتدى . :  
أبو القاسم على بن عثمان بن محمد  
بن أحمد بن الحسن القاضى  
العزرى للبغدادى .

٩٥ - التفسير والمفسرون : الدكتور محمد حسين الذهبى

١٦ - المرشد الوجير فيما يتعلق بالقرآن العزيز : لابن شامه ٩٦٥ هـ .

١٧ - مواقع العلوم من مواقع النجوم : جلال الدين

١٨ - جمال القرآن : للسخاوى ٦٤١ هـ

١٩ - الابانة فى القرآن : لابن جوش الاندلسى

٢٠ - علل القرآن : لابن على الفارسى

٢١ - المصاحف : للسجستانى .

## الرسم العثماني واجب شرعي طريقه الإجماع

النقاط التي تندرج تحت هذا الموضوع أربع :

١ - ارتباط الرسم العثماني بجمع القرآن الكريم .

٢ - مفهوم الرسم العثماني .

٣ - هل يجوز الخروج على الرسم العثماني في طبع القرآن الكريم ؟

٤ - متى بدأ نشر القرآن وطبعه بالرسم العثماني . . وما هي جهود الأزهر في ذلك ؟

### أولا - ارتباط الرسم العثماني بجمع القرآن الكريم

عرفنا أن النسخ الوحيد الذي كان يستقى منه الرعييل الأول ثقافتهم هو القرآن الكريم وكان ذلك عن قصد من الرسول - ﷺ - وكان كذلك عن قصد من الصحابة رضوان الله عليهم .

ولقد قصد سيدنا رسول الله ﷺ إلى أن يوظف العهد النبوي كله لجمع القرآن الكريم جمعا في الصدور ، وجمعا في السطور .

فقد ورد عنه ﷺ : « لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

فلم يسمح النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الأجلاء بكتابة شيء عنه

غير القرآن وذلك حتى يتفرغ المسلمون والزمن الذي يعيش فيه النبي ﷺ  
لجمع القرآن بالمعنيين :

١ - جمع بالحفظ في الصدور .

٢ - وجمع بالكتابة في السطور .

أما فيما يتعلق بالفقرة الأولى اعني الجمع : فان الصحابة رضوان الله  
عليهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم في حفظه في صدورهم ويعلمونه لأبنائهم  
ونسائهم ، وقد كان النبي ﷺ يمر عليهم ليلا فيسمع لهم بالقرآن دويا  
كدوى النحل ، وقد أخرج البخارى عن أبى موسى الأشعري رضى الله  
تعالى عنه :

( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لو رأيتنى البارحة وأنا أسمع  
لقراءتك ؟ لقد أعطيت زممارا من زمامر داود ) .

وفي رواية مسلم . فقلت :

« لو علمت والله يا رسول الله انك تستمع لقراءتى لحبته لك تعبيرا » .

وفي الشيخين : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« انى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ،  
وأعرف منازلهم من أصواتهم بالليل بالقرآن ، وان كنت لم أرمنازلهم بالانهار » .

لقد اشتهر عصر النبوة بكثرة الحافظين للقرآن الكريم حفظا متينا في  
في الصدور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكى فيهم هذه العناية وكان  
يبعثهم إلى المدن والقرى يعلمون الناس تحفيظ القرآن الكريم ، قال عبادة  
بن الصامت : « كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي - صلى الله عليه وسلم -  
إلى رجل منا يعلمه القرآن الكريم ، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ  
ضجعة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا » .



ومعروف في التاريخ أن رسول الله ﷺ بعث سيدنا مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى المدينة المنورة قبل الهجرة وبعد بيعة العقبة الأولى ليعلم الناس هناك القرآن ، كما بعث بعد الهجرة من المدينة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه ليعلم الناس في اليمن القرآن الكريم .

ومن هنا فإن الحفاظ في العهد النبوي لا يحصون فكل مسلم يحفظ ويسارع إلى الحفاظ فأنوار النبوة يشرح الله بها الصدر ويضفي بها على الصدر بشاشة ورقة ورأفة ويفتح الله بها المعارف فيقبل الناس بهذه البركة العامة على القرآن الكريم ، وقد يسره الله للذكر وهداهم لحفظه فكثير الحفاظ وانتشروا في المدن والأمصار والقرى البعيدة ، وبذلك على هذه الكثرة أن الجيش العسكرى المحارب في سبيل الله قد استشهد منه في معركة واحدة تسمى : (معركة اليمامة) عدد يزيد على السبعين وكلمهم من كبار الحفاظ ، كما قتل مثل هذا العدد في موقعة (بئر معونة ) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرطبي : قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل في عهد رسول الله يئز معونة مثل هذا العدد .

فكانت أسمى خصائص هذا الرعيل أن جمع القرآن في صدره وحفظه في قلبه ووعاه بوجودانه تصديقاً لوعده جل شأنه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وأما فيما يتعلق بالنقرة الثانية من معنى الجمع ، فقد جهز سيدنا رسول الله ﷺ سكرتارية كافية لتدوين ما يترى به الوحي وسميت هذه السكرتارية بالإصلاح العلمى : كتاب الوحي : فكان كلما نزل شئ من القرآن الكريم أمرهم رسول الله ﷺ بكتابته وعين لهم السورة والموضع الذي تكتب فيها الآية الجديدة .

وكان من مشاهير الكتاب ما رواه الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه :

جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد، قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال أحد عمومي.

ومع هذه السكرتارية الخاصة كان هناك كتاب للوحى لذواتهم خاصة مثل سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه، والسيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها.

وبهذا يتضح أن معنى جمع القرآن في عهد النبي ﷺ اتخذ طريقتين:  
الأولى: طريق الحفظ في الصدور.

الثانية: طريق الكتابة في السطور (١) «المصحف»

ولقد كان العزم مخلصاً وأكيداً في تسخير كل مادة تصلح صحيفة يكتب عليها القرآن الكريم.

لقد كتبوا على المسب: جريد النخل، الجزء العريض من الأسفل.  
وكانوا يكتبون على العناب: الحجارة الرقيقة. قال الخطابي: وتسمى صفائح الحجارة.

وكانوا يكتبون على الرقاع وهي قطع من جلد أو ورق.  
وكذلك كانوا يكتبون على الأديم. الجلد.

وكذلك كانوا يكتبون على الأكشاف: وهو العظم الذى للبعير أو الشاة.

---

(١) راجع مجلة الأزهر رجب ١٣٩٩ هـ ص ١٣٤٥ حول هذا الموضوع . .

وكانوا يكتبون على الأقتاب : الخشب الذى يوضع على ظهر البعير .

وكذلك الكرايف : وهي أصول السعف الغلاظ .

يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه : « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع » رواه الحاكم بسنده على شرط الشيخين .

وكانت هذه الكتابة في صحف مفرقة ذلك لأن القرآن مادام للنبي ﷺ حياة فهو يترى وكلما نزلت آية كتبت في الموضع الذى أشار به رسول الله ﷺ . . وقد اكتمل في هذه الصحف كل ما نزل فقد كان جبريل عاينه السلام يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كل سنة في ليالى رمضان . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعرضون على رسول ﷺ ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة . . حتى قبض رسول الله ﷺ والقرآن كامل محفوظ في الصدور محفوظ في السطور .

ويسمى هذا الجمع : الجمع بالحفظ ، والجمع بالكتابة ، الجمع الأول : أى جمع القرآن في عهد النبي ﷺ . . وحتى هذا الحين فالقرآن كامل موجود في اللخاف والأكتاف والرقاع في صحف مطهرة لا يجمعها مصحف فهي صحف مصونة عند أهل بيت رسول الله ﷺ عند أم المؤمنين رضى الله عنها السيدة عائشة بنت أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ .

الجمع الثانى : في عهد سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه .

واجهت الخلافة الراشدة الأولى حركة تمرد على العدل الاجتماعى الذى جعلت الزكاة وهي عماده أصلا من أصول الإيمان ومع شهرة أبى بكر رضى الله تعالى عنه بالهدوء واللين والحنان والرأفة فان الخليفة الأول لم يجد من عقيدته إلا أن يكون جليداً مغواراً أمام هذا التمرد المناق الذى يريد أن يفتح على المسلمين بلاء بعد رحيل النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام .

فجز الخليفة الأول جيشاً لحروب الردة وكانت مرقعة اليمامة واستشهد فيها عدد كبير من كبار الحفاظ للقرآن الكريم ، والحفاظ على القرآن له طريقان : طريق الحفاظ في الصدور ، وطريق الحفاظ في السطور . وكان استشهاد جبهة من كبار الحفاظ مثار بقظة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فزار على سيدنا أبي بكر أن يجوز جمع القرآن الكريم في مصحف واحد حتى ينتقل القرآن الكريم إلى الأجيال المتعاقبة وهو محفوظ التواتر لعدد سورته وآياته على نحو ما حفظه المسلمون وكتبوه في عهد رسول الله ﷺ . وبعد مناقشات حول الموضوع شرح الله صدر الخليفة الأول ووافق على جمع القرآن في مصحف واحد ، روى الإمام البخارى :

حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق : أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أرسل إلى أبو بكر الصديق وقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : أن عمر أتاني فقال : إن القتال قد استبحر يوم اليمامة بقراء القرآن . وإني أخشى أن يستحجر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجميع القرآن قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا تهتك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فنتبع القرآن فاجعه ، فوالله لو كانوا كلهم نزل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر رضى الله عنهما .

فتبعت القرآن أجمعه من العسب واللاخاف وصدور الرجال حتى وجدت  
آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره  
« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » — حتى خاتمة براءة  
فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ثم عند  
حفصه بنت عمر رضى الله عنه .

### منهج الكتابة :

١ - يروى أبو داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال  
لعمر ولزيد ، أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب  
الله فاكتباه .

٢ - والمراد من الشاهدين الحفظ والكتابة ، قال السخاوى فى كتابه  
« جمال القراء » المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي  
رسول الله ﷺ .

٣ - قال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب  
بين يدي النبي ﷺ لامن مجرد الحفظ .  
فاذا لاحظنا :

- قيمة عمر الاجتماعية ورهبته فى صدور القوم .  
- وقيمة زيد الثقافية حيث هو كاتب الوحي .  
- وقيمتة الرسمية عند الخليفة حيث هو لا يتم .  
- وحالته الدينية حيث هو واحد من المختارين لكتابة الوحي فى عهد  
رسول الله ﷺ بمعنى أن الله قد رضى عنه كاتباً للوحي الكريم .

وإذا لاحظنا مع ذلك شروط الشهادة من هدلين معهما قرآن محفوظ فى  
الصدور ومكتوب فى الصحف مثل الذى جاء به الصحابي الذى يمليه على  
سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه أدركنا أن القرآن الكريم قد جمع فى عهد

كامل : الدولة كلها شاهدة على صدق وكمال ووحدة ما دونه سيدنا زيد بن ثابت في عهد سيدنا أبي بكر رضى الله عنه وأنه هو هو القرآن الذى دونه سيدنا زيد بن ثابت في عهد النبي ﷺ .

وجمع القرآن في هذا العهد كذلك بنفس الوسائل التى كان يسمح بها العصر ذاته من اللخاف والأكتاف .. الخ . وبقية هذه الصحف مرتبة كصحف عند سيدنا أبي بكر حتى وفاته ثم نقلت إلى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ويسمى هذا الجمع : الجمع الثانى :

### الجمع الثالث :

أو الرسم العثمانى :

لقد طقنا طويلا لنصل إلى بيت القصيد حتى ندرك مسألتين :

الأولى - وهى الأصل إرتباط الرسم العثمانى بجمع القرآن الكريم .

الثانية - وهى ثانوية ولكنها مهمة وهى : إبراز جهود المسلمين : دولة وعلماء وشعبا فى الحفاظ على القرآن الكريم بمقدار ما يمكن حسب ظروف البيئته والعصر الذى كانوا يعيشون فيه فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . كان الله جل شأنه قد فتح للمسلمين بلادا واسعة وكان الصحابة بعد سيدنا عمر قد انتشروا فى الأمصار ولكل مصحفه الخاص وقراءته الخاصة :

- أبو موسى الأشعري وله مزامير من مزامير داود صوت رخيم ندى حلوا النغم جيد التريل له قراءة .

- وسيدنا عبد الله بن مسعود فقيه عالم سابق بالإسلام مقرئ للقرآن متحدث به بحافل قريش منذ الفجر الأول للدعوة له مصحف وقراءة .

والصحابة كلهم - كالنجوم بأيهم اقتدى الناس اهتدوا - انتشروا فى الأمصار

كالثريات في جنبات السماء وكانت الزقعة للدولة الإسلامية قد اتسعت  
فاختلطت الألسن .

— لقد قرأ أهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود .

— وقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب .

— وقرأ أناس كثيرون بقراءة أبي موسى الأشعري .

— فاختلف الناس في القراءة، وكان لا بأس بهذا الاختلاف لو أنهم عرفوا  
أن القرآن نزل على سبعة أحرف وأنه لا تضاد ولا تنافر ولكن القوم  
على عادة الشعب الإسلامي في إدراكه للمشاكل كفر بعضهم بعضاً ،  
وتضاربوا وأصبحت صورة المجتمع الإسلامي صورة موحشة ليست هي  
أصوات دوى النحل التي كانت على عهد رسول الله ﷺ ، ولا هي مزاهر  
داود التي تحلى بها أصحاب النبي ﷺ وصادف أن سيدنا حذيفة بن اليمان  
رضي الله عنه كان غازياً في موقعة أدريجان، وأرمينية من أرض الشام فرأى  
ذلك الاختلاف والتكفير والتضارب فزن كثيراً أن يصير حال الشعب الإسلامي  
إلى هذه الحالة ويعود القرآن وهو هدى للناس مثار فتنة بينهم فنزع إلى الخليفة  
الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فشكى له ووضح له البلاء .  
وكان الخليفة الورع الطيب قد علم بنبأ ذلك في المصاحف لأبي داود من طريق  
أبي قلابة أنه قال :

« لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة  
الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى  
كفر بعضهم بعضاً فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال :

« أتم عندي تختلفون فمن نأى عنى من الأنصار أشد إختلافا » .

فالتقى بيان سيدنا حذيفة رضى الله عنه بالمعرفة التى عند الخليفة الثالث فجمع سيدنا عثمان وجهاء القوم وأهل الحل والعقد وكان على رأسهم سيدنا على رضى الله تعالى عنه وعرض عليهم حالة القوم فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأمصار يعتمدون عليها فى القراءة ويحرق ما سواها حتى يرأب الصدع ويجبر الكسر وتعود الأمة إلى قرآنها بأصوات كزاهير داود . . . والإمام البخارى يؤرخ القصة حديثا فى روى : « حدثنا موسى حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب : أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة إختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب إختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالمصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف فى المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أئق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » (١) .

وأخذت اللجنة الرباعية برياسة سيدنا زيد بن ثابت كاتب الوحي على عهد رسول الله ﷺ ، وكاتب القرآن على عهد سيدنا أبى بكر فهو هو الذى كتب المصحف التى جاءت من عند السيدة حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ونسخوا القرآن الذى فيها بلسان يتفق مع قراءة كل قطر، وأرسل إلى كل قطر

(١) البخارى فتح البارى ج ١٠ ص ٣٩٠ ٣٩٥ .



المصحف الذى يتفق مع وجوه قراءته وكان هدف نسخ القرآن من المصحف التى كانت عند أم المؤمنين السيدة حفصة رضى الله عنها محاولة توحيد الأمة الإسلامية وإنهاء الخلاف بينها فيما يتعلق بالقراءة مع الحفاظ على إمتياز القرآن ونزوله على الأحرف السبعة فالكلمات التى تدل على قراءات متعددة ويمكن كتابتها بطريقة تصلح لكل الأمصار كتبت بهذه الطريقة التى تؤدي الغرض وترفع الخلاف مثال ذلك :

« إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ، فيها قراءتان :

« فتبينوا » .

« فتثبتوا » .

كتبت بلا نقط هكذا « فسوا » .

فأمكن قراءتها على الوجهين .

و ذلك « وأنظر إلى العظام كيف ننشزها » .

فيها قراءتان :

« ننشزها » .

« وننشزها » .

كتبت بغير نقط هكذا :

« نسرهما » .

أما الكلمات التى لا تدل على أكثر من قراءة فكتبت في مصحف المصر الخاص بهذه القراءة مثل : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب » ، فيها قراءة أخرى لمصر آخر « وأوصى » فهى تكتب في مصحف « وأوصى » ، وفي مصحف آخر « ووصى » حسب قراءة المصر التى سيرسل إليها المصحف .  
وما يخص الموضوع :

١ - أن اللفظ الذى لا يختلف فيه وجوه القراءات كانوا يكتبونه برسم واحد يمكن من القراءات كلها .

٢ - وأن كان اللفظ لا يمكن رسمه لعدم إحتياله وجوه القراءات رسموه في مصحف بشكل خاص ثم رسموه في مصحف آخر بشكل آخر .

وإذن فالرسم العثماني مرتبط بجمع القرآن الكريم من ناحيتين :

الأولى : أنه هو نفس القرآن الذي جمع في عهد أبي بكر رضى عنه .

الثانية: أنه رسم بطريقة خاصة ترفع الخلاف الذى وقع فيه القراء وأحدث بين الناس شغباً .

ولهذا أمر سيدنا عثمان رضى الله عنه باحراق جميع المصاحف التى تخالف الرسم الذى كتبه سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه حسبما وافقت اللجنة على ذلك .

عن سويد بن غفلة قال . قال على : ... كرم الله وجهه ورضى الله عنه - لا تقولوا في عهدنا إلا خيراً فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملاءمنا ، قال : ما تتولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : أن قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفرآ ، قلنا لما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا : فزعم ما رأيت « أخرجه أبو داود .

وهكذا أحرق عثمان جميع المصحف إلا المصحف التى كانت عند السيدة حفصة رضى الله عنها لأنها المصدر العائلى للأساننى للرسم العثماني .

وما زالت المصحف عندها حتى توفيت فبعث مروان بن الحكم وكان « غفيراً على المدينة المنورة » فى طلب المصحف فأرسلها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها فشققت ... أقول ويا ليتنى لم يفعل لما من وراء ذلك ضير لو بقيت حتى الآن .. فوالله لهى نور وبركة من آثار أصحاب رسول الله ﷺ .

ولكن الحكومة الأموية كان لها عقل متزف بالكبرياء . . . ولكن كانت تعارضه السيدة حفصة حين حياتها أن يفعل ذلك<sup>(١)</sup> .

ثانياً : مفهوم الرسم العثماني :

بعد هذا العرض يفهم أن المراد من الرسم العثماني كاصطلاح علمي في علوم القرآن هو :

طريقة الكتابة التي أوصى بها سيدنا عثمان رضي الله عنه وتلقاها سيدنا زيد بن ثابت باتفاق اللجنة القرشية والتي أجمعت عليها الأمة من أول أكابرها حتى ذاك الحين .

وأن هذه الكتابة هي التي يقرأ بها المسلمون اليوم بعد إدخال تحسينات عليها « بالشكل » تسهيلاً على الناس في قراءة القرآن .

لقد كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل وذلك اعتماداً على السليقة التي يتميز بها الناس آنذاك أو لأن العرف كان يعتاد ذلك فلما طال العهد بالناس وصعب على الناس قراءة القرآن برسمه العثماني من غير شكل اجتهد العلماء الذين لديهم خبرة على كتاب الله في تسهيل قراءة القرآن للناس بوضع علامات مع المحافظة على الرسم الذي أجمع عليه الصحابة في عهد سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه .

وقد اختلف السكاتبون في أول من قام بهذا المجهود ولا يهمنا في هذه الدراسة أن نجهد أنفسنا لترجيح رأي لنعرف من هو أول مجاهد فلكل ثوابه

---

(١) راجع مناهل العرفان ج ١ ص ٢٣٢/٢٥٤ فتح الباري ج ١٠ ص ٣٨٣/٣٩٦ مباحث في علوم القرآن لمناع ص ١٠٣/١١٨ التبيان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٥٠/٦٨٠ مباحث في علوم القرآن دكتور الصالح ص ٦٧/٩٥ .

والأولية ليست بذات قيمة ما دام القصد هو اخلاص النية لله ففي الحديث ما معناه: «طوبى لعبد يأتي يوم القيامة أشعث الرأس مغبرة قدماء آخذ باجرام فرسه في سبيل الله إن كان في الساقاة كان في الساقاة وإن كان في المقدمة كان في المقدمة . . . » .

فالمهم هنا معرفة جهود العلماء في تحسين الرسم العثماني أما أيهم الأول . . . فهي عند الله وميزانها « إنما الأعمال بالنيات » .

### ١ — الدور الأول :

١ — يروي بعض العلماء أن « أبو الأسود الدؤلي » نقط القرآن بأمر عبد الملك بن مروان ، والدكتور صبحي الصالح لا يرتاب قط في أن لأبي الأسود الدؤلي دوراً لا ينكر ولكن لا يتأكد من الباعث الذي دفعه إلى ذلك .

على حين أن الأستاذ مناع القطان يرى أن أبا الأسود الدؤلي سمح قارئاً يقرأ « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بجر اللام فأزعجه هذا اللحن وذهب إلى والي البصرة « زياد » وأجابه إلى ما كان قد طلبه منه أن يضع للقرآن نقطاً وشكلاً .

فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف .

وجعل علامة الكسرة نقطة أسنله .

وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف .

وجعل علامة السكون نقطتين .

ويميل الشيخ الزرقاني إلى هذا الرأي<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع مناهل العرفان ج ١ ص ٤٠١ مباحث في علوم القرآن  
دكتور صبحي ص ١١٧ مناع القطان مباحث في علوم القرآن ص ١٣١ .

وهناك روايات يتقلمها ويضعفها الدكتور صبحى الصالح أن أول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر نقلا عن كتاب المصاحف لابن أبى داود .

وأن نصر بن عاصم الليثى لا يستبعد أن يكون عمله في نقط القرآن مواصلة لعمل أستاذه أبو الأسود الدؤلى ويحيى بن يعمر .

وهذه مرحلة من مراحل تحسين الرسم العثمانى يذكر فيها العلماء أنباء ثلاثة من العلماء :

١ - يحيى بن يعمر .

٢ - أبو الأسود الدؤلى .

٣ - نصر بن عاصم الليثى .

أيهم الأول ؟ ليس مهماً ولسكن كان لهؤلاء جميعاً دور في خدمة تيسير قراءة القرآن على الناس .

٢ - الدور الثانى :

وكما يتقدم العهد بالاصطلاحات يحتاج الناس إلى تيسير أيسر وأسهل ووضع العالم العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى ضوابط للشكل والتشديد والروم والاشمام .

فالتحفة شكلة مستطيلة فوق الحرف .

والسكسرة شكلة مستطيلة تحت الحرف .

والضمة واو صغرى فوق الحرف .

والتنوين زيادة مثلها . . إلى آخر ما شرحه الامام السيوطى فى الانتقان .

والروم بتشديد الراء وسكون الواو هو .

الاتيان ببعض الحركة بصوت يسمعه القريب دون البعيد ويكون في المرفوع والمجرور .

والاشتمام : ضم الشفتين بعد الإسكان بحيث تدع بينهما انفراجاً ليخرج النفس بغير صوت ولا يكون إلا في المرفوع .

وذلك هو ماورثه المسلمون من علماءهم الأجلاء مع المحافظة على الرسم العثماني وهو الخط الذي كتبه سيدنا زيد بن ثابت ووافق عليه اجماع الصحابة وارتضاه الناس في جميع الأمصار .

ثالثاً : هل يجوز الخروج على الرسم العثماني ؟ :

المحافظة على القرآن الكريم هو مهمة الشرفاء من العلماء والممتازين من حكام المسلمين .

وقد وضع لنا في العرض السالف كيف التقت جهود العلماء والحكام في تقديم خدمة للقرآن الكريم تيسره على الناس دون مساس بما ورثه المسلمون من البلع الأخير وهو الرسم العثماني وقد طرح العلماء في علوم القرآن مبحثاً ما كان لهم الحق علمياً أن يبحثوه من الزاوية التي طرحوها للبحث وهو : هل الرسم العثماني توقيفي أو توفيقى ؟ .

أن مجرد الاضافة : الرسم إلى العثماني تمنع طرح هذا الموضوع من هذه الزاوية لأنه لو كان توقيفياً من الرسول الله ﷺ لما صححت نسبته لغير رسول الله ﷺ .

هذا من جانب ومن جانب آخر ففي البخاري عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك قال : فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عريية من عريية القرآن فاكتبوها  
بلسان قريش فان القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا » (١) .

قال ابن شهاب فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال القرشيون  
التابوت وقال زيد التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : أكتبوه التابوت  
فانه نزل بلسان قريش (٢) .

فدل ذلك أن موضوع ارتباط الرسم العثماني باصطلاح التوقيف أو التوفيق  
ليس بذى وزن لأنه لو كان توقيفيا لما وقع خلاف ولما أشار عليهم سيدنا  
عثمان اكتبوه بلسان قريش فقد نزل بلسانهم .

... اذن مبحث الرسم العثماني توقيفي أو توفيقى ليس بالجيد علميا لوقوع  
هذا الخلاف ، وليس معنى هذا أنى أميل إلى رأى القائل بأنه توفيقى كلالا  
فأنا أمتنع المسألتين معا وأقول انه اصطلاح أجمع عليه كبار الصحابة  
وارتضته الأمة الإسلامية كلها وورثته تركته عن أكابر الصحابة وهم الأعراف  
بكتاب الله الذين شاهدوا الوحي والنبي وعاشوا حياة النور والهدى والله  
يصل النباء بالأرض بحبله المقدس فهو اجماع فريد فى نوعه .

لقد أجمع عليه أهل الحل والعقد الذين جمعهم سيدنا عثمان للشورى .

— وأجمع عليه كتاب الوحي واللجنة التى نسخت الصحف .

— وأجمعت عليه السيدة أم المؤمنين عائشة وحنيفة .

— وأجمع عليه المسلمون جميعا حتى صار الرسم العثماني خاصية من خصائص  
القرآن الكريم وأصبح مألوفا للناس جميعا وميسرا سهلا يقرؤه الناس جميعا

---

(١) راجع فتح الباري ج ١٠ ص ٣٨٣ .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٣٩٤

والمسلمون في جنوب شرقي آسيا : في اندونيسيا وسنغافورة والفلبين وتايلاند ومايزيا وهم لا يعرفون العربية ولكنهم يجودون القرآن ترتيلا وقراءة دون صعوبة أو تعذر . . ذلك لأنهم تمرنوا وتدرّبوا على الرسم العثماني كصفة خاصة للقرآن الكريم ، والمحافظة على القرآن الكريم في هذا العصر مهمة جدا حتى على كل نقطة فيه ورثها المسلمون من أسلافهم الصالحين ذلك لأن الأعداء العالمين للإسلام يريدون أن يغيروا في القرآن الكريم . فاذا ما ساهل العلماء في الرسم العثماني فقد انفتح باب للشر المستطير لن تسلم منه الأمة في الدنيا ولا في الآخرة، أعود فأقول : الرسم العثماني إجماع شرعي على رسم المصحف لا يجوز الخروج عليه مطلقا ، ومهما حسنت النيات فانه يجب على المسلمين أن يحافظوا على الرسم العثماني لأنه ميراث من السلف الصالح وخاصية مشهورة للقرآن الكريم . ولقد أخطأ خطأ كبيرا القاضي أبو بكر الباقلائي اذا قال في كتابه : الانتصار . . « إذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز الا على وجه مخصوص وحد لا يجوز تجاوزه ، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في إجماع الأمة » .

لقد أخطأ يوم أن قال : ولا في إجماع الأمة لأن الأمة قد أجمعت على ذلك ونقل عن الأئمة الفقهاء عدم جواز كتابة القرآن بغير الرسم العثماني :

١ - قال الإمام أحمد بن حنبل - تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو باء أو غير ذلك .

٢ - قال مالك عندما سئل : أرأيت من استكتب مصحفا ترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ولكن يكتب الكتابة الأولى (١) .

(١) راجع الانتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٨٣ راجع البرهان ج ١ ص ٣٧٦  
 راجع مباحثات علوم القرآن للقطان ص ١٢٨ - ١٢٩



٣ - والشافعية والحنفية يقولون بهذا كذلك .

٤ - وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مؤتمره الرابع قرارا بعدم صحة طبع القرآن الكريم بغير الرسم العثماني اللهم الا اذا كانت آية يستشهد بها عند التأليف والبحث العلمي الذي ليست له صفة المصحف المستقل .

وبهذا ينتهي الرأي فيما يتعلق بالرسم العثماني :

١ - ليس توفيقيا وليس توفيقيا .

٢ - ولكنه اصطلاح مجمع عليه من الصحابة فهو حكم شرعي طريق نبوته بالإجماع .

٣ - انه لا يجوز مخالفته أبدا لأن مخالفته تؤدي إلى الخروج على الإجماع . وعلى هذا فانه لا ينبغي طبع القرآن الا برسمه المشهور به حفاظا على خاصية القرآن الكريم .

رابعا : متى بدأ نشر القرآن وطبعه

كل ماسلف من جهود المسلمين فهو تدوين أو رسم للقرآن باليد ، وكان آخر هذه الجهود في تحسين كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني المصحف الذي كتبه بخط يده خالد بن أبي الهياج الذي كان مشهورا بخطه الجميل وذلك في خلافة الوليد بين عام ٨٦ هـ إلى ٩٦ .

ثم شاء الله أن ينتشر كتابه في الآفاق بواسطة الطباعة الحديثة .

١ - ولكن هذه المرحلة مرت كذلك بدرجات ومما يؤسف المسلمين جميعا أن أول طبعة للقرآن الكريم كانت في بيثة مسيحية عام ١٥٣٠ في مدينة البندقية وليس من الغريب أن تصدر السلطات الكنسية أمرها باعدام طبعة القرآن حال ظهورها .

٢ — ثم قام بعد ذلك هنكلمان عام ١٦٩٤ . ( Hink elmann ) بطبع القرآن في مدينة هامبورغ ( Hanbourg ) .

٣ — ثم قام من بعده سراكي ( Marracci ) عام ١٩٦٨ بطبع القرآن في مدينة بادو ( Paccue ) .

غير أن هذه الطبعات الثلاث لم يكن لها أثر في العالم الإسلامي ، ولعل التفسير الواضح لذلك أن هذه الجهود قامت أثر نهضة أوروبا بعد الحروب الصليبية التي اغتصبت فيها علوم الإسلام ونقائس انتاج علماءه ثم نشرتها في أوروبا . بينما المسلمون كان قد أصابهم المرض بعد الحروب الصليبية وعمت فيهم الجهالة والضعف وما زالوا حتى اليوم في نوم أو يقظة خلاف عنيد .

### أول طبعة إسلامية للقرآن الكريم .

٤ — ثم ظهرت في سانت بطرسبورغ Saint Petersburg في روسيا سنة ١٧٨٧ م طباعة هي الطبعة التي قام بها مولاي عثمان وظهر مثلها في قازان .

٥ — وطهران تقوم بطبعتين حجريتين في عام ١٢٤٨ هـ ، ١٨٢٨ م والأخرى في تبريز عام ١٢٤٨ هـ .

٦ — وفي تركيا — بلد الخلافة الإسلامية آنذاك تعنى الآستانة عام ١٨٧٧ م فتطبع القرآن الكريم بعد أن تحرك المخلصون وطبعوا القرآن الكريم .

٧ — ثم تستقر الجهود الإسلامية عندما ألفت لجنة في الأزهر الشريف للحفاظ على الرسم العثماني وظهرت أول طبعة رسمية في عام ١٣٤١ هـ ١٩٢٣ م وقد كتب هذا المصحف وضبط ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم ، وكان من كبار هذه اللجنة فصيلة الشيخ خلف الحسيني ، ثم كان من بعده العالم الحجة الشيخ علي عامر الذي ما زال حيا وله تلميذ مباشر أخذ عنه في ماليزيا هو الشيخ توان حسن اسماعيل شيخ معهد القراءات بمسجد تكارا .

## جهود الأزهر الشريف

ولقد أفنى الأزهر حياته في الحفاظ على الرسم العثماني ، و ألف لجنة دائمة تابعة لمراقبة البحوث والنشر لمراجعة جميع طبعات المصحف التي تقوم بها جميع دور النشر في العالم كله . . ولقد أدت هذه اللجنة خدمة جليلة في المحافظة على الرسم العثماني .

فلما كانت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تحت إدارة المرحوم فضيلة الأستاذ الجليل الدكتور عبد الحليم محمود كون لجنة من كبار علماء القراءات وعلماء التفسير ورجال الطباعة الذين لهم دراسة في الأزهر قديما وراجعت جميع طبعات المصحف الشريف ثم وضعت طبعة خاصة باسم الأزهر لتكون وحدها المرجع الرسمي للرسم العثماني للمصحف الشريف .

ولما تولى المرحوم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود مشيخة الأزهر في إبريل سنة ١٩٧٣ م جاهد لاجراء عمل هذه اللجنة وطبع مصحف الأزهر حتى يمتلك المسلمون رسميا الرسم العثماني الذي ورثوه عن السلف الصالح فلا يستطيع قوة بعد ذلك أن تحرف في الطباعة أو أن تضلل في الرسم .

ولقد منح الله التوفيق للأزهر الشريف وصدرت أول طبعة من المصحف الرسمي للأزهر في عام ١٩٣٦ هـ الموافق ١٩٧٦ م وتوالت الطباعات حتى الطبعة الثالثة بأحجام متعددة ، بل صار للمصحف الشريف في الأزهر مطبعة خاصة تكلف شراءها نصف مليون جنيه استرليني .

وهكذا يجيش الله لحماية كتابه العزيز الجهود المخلصة حتى يستمر السند المتصل في الرسم العثماني موصولاً بالوحي الإمين .

جزى الله كل من حفظ على المصحف الشريف رسمه العثماني خيرا في الدنيا وفي الآخرة وتقبل أعماله في الصالحين .

## مركز السنة الإسلامية في التشريع الإسلامي

وموقف المستشرقين منها .. ٢٠٠

- ١ — مفهومها وحجيتها.
- ٢ — شبهات حول الحجية .
- ٣ — وظيفتها ومكاتها .
- ٤ — المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية .

١ — مفهوم السنة ومصدريتها :

(١) مفهوم السنة :

في الأسلوب العربي تطلق السنة ... قبل أن تكون إصطلاحاً إسلامياً —  
على الطريقة : سواء كانت طريقة حسنة . أو كانت طريقة سيئة ؟

- وقد جرت بعض آيات القرآن الكريم على هذا المعنى في مقام  
توضيح موقف الله — جل شأنه — من الأمم السابقة تأكيداً لمرمديّة  
طريقة الله مع معاندي أنبيائه ورسله — يقول الله تعالى :

١ --- ( قد سخط من قبلكم سمن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان  
طاقبة المكذبين ) .

٢ — (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً)  
الإسراء : ٧٧ .

٣ - ( سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ) .

( الأحزاب : ٦٢ )

٤ - ( استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يخفي المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فان تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ) . ( فاطر : ٤٣ )

\* \* \*

- كما جرت بعض الأحاديث على هذا المعنى . . يقول النبي - ﷺ - :  
« من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

- فيدور مفهوم لفظ « السنة » في الإصطلاح العربي حول الطريقة حسنة كانت ، أو سيئة . .

(ب) مفهوم السنة في الإصطلاح الإسلامي :

- غير أن المفهوم بعد الإسلام : أخذ وضعاً خاصاً ، كما أخذت أوضاع الحياة الإنسانية كلها بالإسلام الحنيف - وضعاً خاصاً ، فأخذت السنة في حركة هذا النشاط الإسلامي طابعاً جديداً حدد فيه علماء الإسلام على اختلاف مناحي اشتغالهم بالفكرة الإسلامية : تقاسيم السنة . .

- فكان للسنة إصطلاح خاص عند علماء التشريع ، والقانون ، والفقهاء الإسلاميين .

وكان لها إصطلاح مغاير عند علماء أصول التشريع ، وأصول الفقه الإسلاميين .

( أ ) السنة في إصطلاح المشرعين والفقهاء .

١ - فالسنة في إصطلاح الفقهاء .

هى : الفعل الذى دل الخطاب على طلبه طلباً غير جازم .

فهى تقابل الواجب ، ولا تشمل . . المندوب ، والمستحب ، والتطوع فى دائرة هذا التعريف .

٢ - ويعرفها جانب آخر من الفقهاء بأنها : ما يثاب فاعلها ، ولا يعاقب تاركها .

- فتكون فى مقابل الواجب تسيماً ، ولا يكتفى لتشمل : المندوب ، والمستحب ، والتطوع .

وهذا المفهوم مرتبط بالسنة من حيث جانباها ( العملى السلوكى ) والفرق بين المفهومين اللذين ذكرهما علماء الفقه :

- أن التعريف الأول : يجعل السنة فى مواجهة الواجب ، فهو خاص بالسنة المؤكدة .

- وأما التعريف الثانى : فيجعل السنة شاملة للمؤكد منها ، وغير المؤكد .

(ب) عند علماء أصول التشريع وأصول الفقه :

أما هى عند علماء الأصول ، فانها : كل ماورد عن النبي - ﷺ - أو صدر عنه من قول ، أو فعل ، أو تقرير . . فهى تقابل القرآن فى مصدريته للفقه والأحكام ، وتشمل الحديث الشريف وأخبار الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فيما نقلوه عن النبي - ﷺ - من آثار تحمل تشريعات .

( أ ) الفرق بين مفهوم السنة عند الفقهاء ، ومفهومها عند الأصوليين :

- ومن هذا التوضيح الموجز لمفهوم السنة عند جهات العلماء المشتغلين بالثقافة الإسلامية . . نلاحظ الفرق بين المفهومين : أن السنة عند علماء التشريع ،

والفقه ، هي : نفس الحكم الشرعى التكليفى فركعتى الصبح .. قبل صلاة  
الفجر .. هي السنة المرادة عند الفقهاء وصوم ثلاثة أيام من أول كل شهر ..  
هي السنة التى عرفها الفقهاء .

- عند علماء الأصول .. فى الدليل الذى يستند إليه الحكم الشرعى ..  
إنها هي : حديث النبى - ﷺ - الذى يرويه مسلم من طريق الزهري عن  
سالم عن أبيه : أخبرتنى حفصة : أن النبى - ﷺ - كان إذا أضاء له الفجر  
صلى ركعتين .

- ويروى مسلم من طريق يحيى بن سعيد عن ابن جريج ، قال : حدثنى  
عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة : أن النبى - ﷺ - لم يكن على شيء من  
النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح « باب استحباب ركعتى  
سنة الفجر ، والحث عليها » .

- والذى يعيننا هنا من السنة : هو المفهوم الأصولى الذى تقدم له هذا  
البحث حسبة لوجه الله الكريم .

(ب) مصدرية السنة للتشريع الإسلامى :

الاحتجاج بالسنة على ثبوت الحكم الشرعى .. معناه :

- الإعتداد على السنة فى استنباط الحكم الشرعى وثبوت التكليف به .  
والاحتجاج بالسنة على ثبوت الحكم الشرعى مرتبط بالنبوة لسيدنا  
محمد ﷺ .

١ - فالعصمة صفة لازمة ، وصفة واجبة بالشرع للنبى - ﷺ - وعامها  
يترتب حتمية تصديقه - عليه الصلاة والسلام - فى كل ما ينطق به من :

- قرآن كريم تلقاه عن ربه جل شأنه .

- أحاديث قدسية بلغها إليه الوحي باللفظ، أو بالمعنى فقط ، أو بهما معاً .

- أحاديث نبوية يشرح بها النبي ﷺ حكماً شرعياً يبين حله ، أو حرمة.

وفي هذا : ثبت عن النبي ﷺ أنه قال :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما جدتم فيه من حرام فحرموه . . ألا : إن ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

والقرآن الكريم نفسه واضح في هذا الصدد -

( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ) .  
( الحشر : ٧ )

٢ - بل : إن القرآن ليأمر المسالمين عامة بالطاعة لرسول الله ﷺ .

يقول الله تعالى -

( من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفاً ) .

( النساء : ٨٠ )

٣ - بل إن القرآن ليضع تلك الطاعة للنبي ﷺ في أسلوب قانوني عام :

( وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ) .

( النساء : ٦٤ )

٤ - بل إن القرآن يجعل طاعة رسول الله ﷺ علامة من علامات

الحب لله :

( قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

والله غفور رحيم ) .  
( آل عمران : ٣١ )

٥ - ثم : إن القرآن الكريم .. يقرن طاعة النبي - ﷺ - بطاعة الله

في ألوب الأمر للجماعة الإسلامية، ويجعل عدم تنفيذ تلك الطاعة مقابلاً لكفرًا؟



- يقول الله تعالى - :

( قل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين )  
(آل عمران : ٣٢)

( إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم ) (الفتح : ١٠)

٦ - ثم : يهدد القرآن الكريم المشاقين لرسول الله - ﷺ - بالخزي في الدنيا والآخرة - :

( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولة ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ) . (النساء : ١١٥)

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .  
(النور : ٦٣)

- وحول هذا الحق الواجب للنبي - ﷺ - يروى الحاكم عن ابن عباس -  
رضى الله عنهما : أن النبي - ﷺ - قال في خطبة الوداع : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن : رضى أن يطاع فيما سوى ذلك ، مما تحاقرون من أمره فاحذروه ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنة رسوله » .

٧ - وفي المجال التشريعي : حذر الله جماعة المؤمنين أن يتقدموا على النبي - ﷺ - في إثبات حكم ، أو في اقتراح حكم قبل أن يأتيه الوحي المبين . .

يقول الله تعالى :

( يا أيها الذين آمنوا : لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله ممييع عليم ) .  
(الحجرات : ١)

- ولم يجعل لأحد رأياً بعد حكم النبي - ﷺ - (وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) (الأحزاب : ٣٦)

٨ - بل قبل أن يفوض الله الوجاه من علماء الأمة الإسلامية في استنباط الحكم الشرعي رد الأمر أولاً إلى رسول الله - ﷺ - يقول الله تعالى - :

( وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلاً ) . (النساء : ٨٣)

٩ - ولا يسمح القرآن الكريم للجماعة الإسلامية أن تطيع أولى الأمر إلا بعد إطاعة الرسول ﷺ يقول الله تعالى - :

( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً ) . (النساء : ٥٩)

- فكرر الفعل « أطيعوا » في جانب الله وفي جانب الرسول ليفيد : أن طاعة الرسول هي طاعة الله . ولم يكرر الفعل مع أولى الأمر ، ليفيد : أن طاعة أولى الأمر مرتبطة بطاعة الرسول ﷺ .

فطاعة النبي مقدمة على طاعة أولى الأمر ، وطاعة أولى الأمر مرتبطة بدائرة الطاعة لرسول الله - ﷺ - فان خرج أولوا الأمر عنها ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

١٠ - والمدلول من هذه الطاعة . أو الرد إلى النبي - ﷺ - يفسره سيدنا ميمون بن مهران - رضى الله عنه - فيقول :

« الرد إلى الله .. هو : « الرجوع إلى كتابه » ؟ .

والرد إلى الرسول ﷺ هو : « الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته » ؟ .

سوابن القيم .. يوضح لنا هذا المدلول في مخرجه لقول الله تعالى : ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذوه ) . (النور : ٦٢)

يقول : إذا كان الله — سبحانه وتعالى — جعل من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إذا كانوا مع رسول الله — ﷺ — في أمر جامع — أي مذهب — إلا إذا استأذوه ، فإنه من الأحرى والأولى أن يكون من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إلى مذهب ما من تشريع أو علم .. إلا بعد أن يستأذوه ؟ .

واستأذانه عليه الصلاة والسلام :

— إما بالرجوع إليه في حياته ؟ .

— وإما بالرجوع إلى سنته بعد مماته ؟ .

١١ — وقد رجع الصحابة إلى سنة رسول الله — ﷺ — حال حياته كذلك ؟ .

— والقصة مشهورة في الوسط الفكري الإسلامي عندما بعث رسول الله

— ﷺ — سيدنا معاذ بن جبل — رضى الله عنه — إلى اليمن .. .

قال له : بم تقضى إن عن لك قضاء ؟ .

قال : بكتاب الله ..

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : بسنة رسول الله ..

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : أجتهد ولا آلوا ..

– فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول،  
رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله ..

١٢ – وخاتمة الأمر .. فى أن السنة مصدر للتشريع الإسلامى . هو أن  
الحياة الفاضلة للانسان المسلم هى فى إقامة شرع القرآن .

( إن هذا القرآن يهدى للقى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون  
الصلوات أن لهم أجراً كبيراً ) : ( الإسراء : ٩ )

– وأن المفوض من قبل الله – جل شأنه – فى توضيح هذا القرآن إنما  
هو النبى – ﷺ – يقول الله تعالى – :

( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلمهم يتفكرون ) .  
( النحل : ٤٤ )

– ومن بعد هذه الآية – فى سورة النحل – تؤكد هذه الوظيفة الخاصة  
بالنبى – ﷺ – يقول الله تعالى – :

( وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة  
لقوم يؤمنون ) . ( النحل : ٦٤ )

– وتبين ذلك من النبى – ﷺ – إنما هو بالسنة : بقوله ، أو بفعله أو ،  
بتقريره ، وموافقته وبرضاه .

« الرد إلى الله .. هو : « الرجوع إلى كتابه » ؟ .

والرد إلى الرسول ﷺ هو : « الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته » ؟ .

سوابن القيم .. يوضح لنا هذا المدلول في شرحه لقول الله تعالى : ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ) . (النور : ٦٢)

يقول : إذا كان الله — سبحانه وتعالى — جعل من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إذا كانوا مع رسول الله — ﷺ — في أمر جامع — أى مذهب — إلا إذا استأذنه ، فإنه من الأحرى والأولى أن يكون من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إلى مذهب ما من تشريع أو علم .. إلا بعد أن يستأذنه ؟ .

واستأذنه عليه الصلاة والسلام :

— إما بالرجوع إليه في حياته ؟ .

— وإما بالرجوع إلى سنته بعد مماته ؟ .

١١ — وقد رجع الصحابة إلى سنة رسول الله — ﷺ — حال حياته كذلك ؟ .

— والقصة مشهورة في الوسط الفكري الإسلامى عندما بعث رسول الله

— ﷺ — سيدنا معاذ بن جبل — رضى الله عنه — إلى اليمن .. .

قال له : بم تقضى إن عن لك قضاء ؟ .

قال : بكتاب الله .. .

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : بسنة رسول الله ..

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : أجهد ولا آلوا ..

- ف ضرب رسول الله ﷺ في صدره ، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول ،  
رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله ..

١٢ - وخاتمة الأمر .. في أن السنة مصدر للتشريع الإسلامي . هو أن  
الحياة الفاضلة للانسان المسلم هي في إقامة شرع القرآن .

( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون  
الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ) : ( الإسراء : ٩ )

- وأن المنووس من قبل الله - جل شأنه - في توضيح هذا القرآن إنما  
هو النبي - ﷺ - يقول الله تعالى - :

( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلمهم يتفكرون ) .  
( النحل : ٤٤ )

.. ومن بعد هذه الآية - في سورة النحل - تؤكد هذه الوظيفة الخاصة  
بالنبي - ﷺ - يقول الله تعالى - :

( وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة  
لقوم يؤمنون ) . ( النحل : ٦٤ )

- وتبين ذلك من النبي - ﷺ - إنما هو بالسنة : بقوله ، أو بفعله أو ،  
بتقريره ، وموافقته وبرضاه .

وقد حشد القرآن الكريم لطاعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - آيات عديدة . ثم وعى المؤمنين إلى امتثال أوامر النبي - ﷺ - .

يقول الله تعالى - :

( يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكمم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ) . ( الأتفال : ٢٤ )

- ولقد جعل القرآن الكريم طاعة النبي - ﷺ - هي الفارق بين سمات الجماعة الإسلامية وسمات المنافقين .

يقول الله تعالى - :

( ويقولون : آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين ) .

- ( وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ) .

- ( وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ) .

- ( أفى قلوبهم مرض ) ؟ .

- ( أم ارتابوا ) ؟ .

- ( أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ) ؟ .

- ( بل أولئك هم الظالمون ) ( النور : ٤٧ - ٥٠ )

( إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ) .

« ومن بطع الله ورسوله ويحش الله ويتقه فأولئك هم الفانزون » .  
(النور ٥١ ، ٥٢ )

— قال الخازن في شرح هذه الآيات :

( هذا تعليم أدب الشرع على معنى .. أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا ..  
وهو : أن يقولوا : سمعنا الدعاء ، وأطعنا بالإجابة [ لباب التأويل في معاني  
التنزيل ج ٥ ص ٨٥ ] .

— لهذا كانت السنة الإسلامية التي ورثها المسلمون عن رسول الله ﷺ  
مصدرأ من مصادر التشريع الإسلامي .

أقوال علماء التشريع ، والفقهاء الإسلاميين في حجية السنة :

— ولستأنس إلى ما نذهب إليه من مصدرية السنة للتشريع الإسلامي ..  
بأقوال أئمة التشريع ، والفهم ، والفقهاء ، الذين من الله عليهم بفضله ، فباغوا  
عن رسول الله ﷺ أحكام الشريعة الإسلامية ، حفاظاً على دين الله ، وصيانة  
للمجتمع الإسلامي من الانزلاق في عبودية البشر باتباع الأفهام الوضعية ؟!

١ — يقول الإمام أبو حنيفة — رضي الله عنه — :

( أ ) إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ أخذنا به ..

( ب ) ويقول : آخذ بكتاب الله تعالى ، فما لم أجد . فبسنة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

( ج ) ويقول : لعن الله من يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
أكرمنا الله .. وبه استنقذنا .

٢ - - ويقول الإمام مالك — رضي الله عنه — :

، . كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة .



— وقد بلغ إجلال سيدنا مالك - رضى الله عنه - لسنة رسول الله ﷺ مبلغاً لا يطيقه كثير من العلماء فقد روى أنه كان لا يخرج للناس في مجالس الحديث بالروضة الشريفة بالحرم النبوي إلا وقد : اغتسل . . وتطيب . . وليس جديد ثيابه . . وسار خاشعاً إلى مقر درسه في رحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - في الروضة الشريفة .

— وقد روى أن عقرباً لدغته - رضى الله عنه - وهو في مجالس الحديث . . فلم يقطع الرواية ، ولم يتململ ، ولما سئل ؟ قال : صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - ويقول الإمام الشافعي - رضى الله عنه - :

( أ ) إذا صح الحديث فهو مذهبي ..

( ب ) هل لأحد مع رسول الله - ﷺ - حجة ..

( ج ) أى أرض تقانى وأى سماء تظلنى .. إذا رويت عن رسول الله - ﷺ -

ولم أقل : على الرأس والعين .

( د ) مهما قلت من قول ، أو أخذت من أصل وفيه : عن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله - ﷺ -

وهو قولى ..

( هـ ) كل شئ خالف أمر رسول الله - ﷺ - سقط ، ولا يكون معه

رأى ولا قياس ، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ فإيس لأحد

معه أمر ولا نهى غير ما أمر به ..

٤ - ويقول الإمام أحمد بن حنبل :

إن الله - جل ثناؤه - بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين

كله ، ولو كره المشركون ، وأنزل عليه الكتاب بالهدى والنور إن اتبع ،

وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره ، وباطنه وخاصه ، وعامه . .

وناسخه ، ومنسوخه . . ما فصد له الكتاب . . فكان رسول الله - ﷺ -  
هو المبصر عن كتاب الله الدال على معانيه .

### وخلاصة الرأي من أقوال الأئمة الفقهاء . .

- ١ - أنهم قدموا لنا دليلاً نظرياً فكرياً على وجوب الأخذ بالسنة  
كمصدر للتشريع .
- ٢ - وأنهم طبقوا ذلك عملياً في مذاهبهم التي استنبطوها من القرآن ،  
ومن السنة . .
- ٣ - وأنهم قدموا لنا : الموطأ ، والمسند ، من كتب الحديث النبوي  
كمرجع لمصدرية السنة في التشريع الإسلامي .

## وظيفة السنة ومرتبها في التشريع الاسلامي

١ — وظيفة السنة :

\* قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

( لعن الله الواثقات والمستوثقات والمتصبات والمتفجرات لأحسن المغيرات خلق الله ) .

فباع ذلك امرأة من بنى أسد فقالت :

( يا أبا عبد الرحمن بلغنى أنك لعنت كيت وكيت ؟

فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته ؟

فقال : لئن كنت قرأتيه وجدتيه قال تعالى :

« ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

\* والإمام الشافعي رضى الله عنه يشرح وظيفة السنة بقوله :

( وسنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : ما أنزل الله فيه من كتاب فيبين روى الله مثل ما نص الكتاب .

والآخر : ما أنزل الله فيه . لئلا كتاب فيبين رسول الله معنى ما أراد .

من المقرر أن القرآن الكريم ممتليء بالقرآن العامة لأنه دستور مرمدى خالد أبدأ للأمة الإسلامية والقواعد العامة دائماً إلى تفسير لإلحاق الجزئيات بأحدى القواعد العامة وذلك ما وكل فيه النبي ﷺ من قبل ربه .

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . وقد بين الرسول ﷺ  
بسلوكه وأقواله وموافقاته للأمة ما تحتاج إليه . يقول عليه الصلاة والسلام:

( ما شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئاً مما نهاكم  
الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه ) .

يقول الإمام الشافعي رضى الله عنه :

قال تبارك وتعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » .

وقال : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » .

وقال : « آتوا الحج والعمرة لله » .

ثم بين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلاة وموقيتها وسننها وعدد  
ركعاتها والزكاة وموقيتها .

وكيف عمل الحج والعمرة .

لقد كان رسول الله ﷺ أعلم الناس بالقرآن كما يقول مطرف بن عبد الله  
الشخير عندما قيل له : لا تمدنونا إلا بالقرآن فقال : ( والله ما نريد بالقرآن  
بدلاً ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن ) .

ومعنى هذا :

إن القواعد الكلية العامة في القرآن الكريم تحتاج إلى عالم بالقرآن ليربط  
الجزئيات المستحدثة بهذه الكليات العامة ، وكان النبي ﷺ هو أعلم  
الناس بالقرآن .

وقد ثبت عنه ﷺ أنه فسر كثيراً من أركان الإسلام مثل الصلاة والزكاة  
وأعمال الحج .

يقول الأوزاعي : « الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب »  
ويشرح هذا النص ابن عبد البر فيقول : يريد أنها تقضى عليه وتبين  
المراد منه .

يقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

« إن السنة تفسر الكتاب وتبينه » .

وتتضح لنا هذه الوظيفة للسنة من خلال التطبيقات العملية التي أتخذها  
المسلمون عن نبيهم عليه الصلاة والسلام .

أولا : في مجال العبادة :

١ — فرض القرآن الصلاة والزكاة .

« أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة » .

ولكن السنة هي التي توضح ذلك : « صلوا كما رأيتموني أصلي » .

« ليس فيما دون خمس أوسق صدقة ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما  
دون خمس أواق صدقة » .

وفي هذا المقام يروون عن سيدنا عمران بن حصين أنه قال لرجل : « إنك  
امرؤ أحمق ، أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة . . ثم عدد  
عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال : أتجد هذا في كتاب الله مفسراً ؟ إن  
كتاب الله أجهم هذا ، والسنة تفسر ذلك » :

٢ — لما نزل قول الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم  
أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » أشكل أمر الآية على الصحابة رضوان الله عليهم  
إذ فهموا المراد من الظلم : مجاوزة الحد والمخرج عن القصد في كل شيء .  
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أين لا يظلم يا رسول الله ؟ فوضح لهم

عليه الصلاة والسلام : أن المراد من الظلم الشرك وقرأ : « يا بني لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم » .

ثانياً - في مجال المال :

١ - لما نزل قول الله تعالى : « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن مدلول ينفقون بذل كل ما يصل إلى أيديهم ، ففسر النبي ﷺ هذا المدلول بقوله :

« إنما فرض الله الزكاة ليظهر بها ما بقي من أموالكم » .

٢ - وعندما تحدث آية الفرائض عن الموارث لم تتعرض لتوريث الكافر من المؤمن ولا العبد من الحر ولا القاتل لأبيه ، وأن الوصية لا تكون في أكثر من الثلث وأن الدين يقدم على الوصية . . . ولكن السنة هي التي وضحت كل هذا .

يقول النبي ﷺ :

« لا يرث المسلم الكافر .

ولا يرث الكافر المسلم » .

ويقول :

« الثلث ، والثلث كثير انك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

ثالثاً - في مجال الجنانة .

١ - نظم القرآن الكريم حدود القصاص :

« كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني » .

وهذه القواعد العامة تفيد عموم وجوب القصاص من كل من ثبتت عليه جريمة القتل العمد ، والسكن الرسول ﷺ يخصص هذا العموم بقوله : ( ألا لا يقتل مسلم بكافر ) .

٢ - وعندما حددت سورة المائدة أن السارق والسارقة تقطع أيديهما ، لم تحدد مكان القطع ولا نوع اليد .

من السكوع أو المرفق .

اليمنى أو اليسرى .

ولكن السنة هي التي حددت اليمنى من الرسغ .

رابعاً - في مجال الأسرة .

١ - ذكر القرآن الكريم المحرمات من النساء .

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ، وأمهات نسائكم ، وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً » .

وبقي حكم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها فيبينته السنة يقول النبي ﷺ : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » .

٢ - أمر الله نبيه ﷺ أن يكون الطلاق للعدة في قوله تعالى : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » .

وكان ابن عمر قد طلق زوجته وهي حائض فقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب : « مره فليراجها ثم يتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وأن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » .

فكان ذلك تفسيراً من السنة لما أوجزه القرآن الكريم من الأحكام .  
٣ - وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا بنص القرآن الكريم .  
« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر » .

وعدة الحامل المطلقة وضع الحمل بنص القرآن الكريم :  
« وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » .

ولكن ما حكم عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ؟  
سببها الإسلامية توفي عنها زوجها وهي حامل ثم وضعت بعد نصف شهر من وفاة زوجها فأخبرها النبي ﷺ أن قد حلت واطمأنت عدتها فبينت السنة بذلك أن عدة الحامل مطلقاً وضع الحمل .

٤ - جاءت الجدة إلى أبي بكر رضوا الله عنه تلمس ميراثها فقال :  
« ما أجد لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس ، فقام المعيرة فقال : كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد معه محمد بن مسامة بمنزل ذلك فأنقذه سيدنا أبو بكر » .

لقد حددت آية الموارث الفرائض وأصحابها ، ولكن الجدة لأم ألحقتها السنة الإسلامية بأصحاب هذه الفروض .



## خامساً - الحاجات اليومية :

١ - أحل الله الطيبات .

وحرم الخبائث .

وبين هذين الأصلين .

الطيب الحلال .

والخبث الحرام .

أشياء لم يوضحها القرآن الكريم وتركتها للسنة الشريفة ، فنهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطائر ونهى عن أكل لحم الجمر الأهلية وقال : إنها رجس .

٢ - والله سبحانه وتعالى أحل صيد البحر وحرم الميتة وبين هذين مسائل تتعلق بأحد الحكمين فوضح رسول الله ﷺ : أن السمك الميت من البحر حلال وقال : هو الطهور ماؤه الحل ميتته .

بهذا يتأكد للوائحين من دينهم وعقولهم ومستوى البحث العلمى النظيف أن السنة الإسلامية طبقت عمليا كمصدر أساسى للتشريع الإسلامى يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« الفهم الفهم فيما تلجج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة » .. فأكد بذلك أنها مصدر أساسى للتشريع الإسلامى .

## مرتبة السنة فى التشريع :

١ - روى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن المقدم بن عديكرب قال : قال رسول الله ﷺ « ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك ورجل شعبان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال

فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه إلا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله .

٢ - والقرآن الكريم يأمرنا بنص صريح : « ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فاتتهوا » .

٣ - وقد ألحق رسول الله ﷺ أحكاماً بقواعدها الشرعية .

لقد حرم نكاح المرأة على عمتها مثل ما حرم الله الجمع بين الأختين .

وحلل رسول الله ﷺ ميتة البحر مثلما أحل الله صيده .

فهل الأحكام بالحل والحرم من النبي صلى الله عليه وسلم تختلف في درجاتها عن الأحكام بالحل والحرم في القرآن الكريم ؟

يجيب الحديث النبوي الشريف على هذا : « ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

ومغزى هذا أن مرتبة السنة في قيمة الحكم هي مثل القرآن الكريم لما حله رسول الله صلى الله عليه وسلم له قيمة الدرجة لما حله الله تبارك وتعالى ، وما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم له قيمة الدرجة لما حرمه الله تعالى في كتابه المجيد .

غير أنه عند استنباط الحكم من المجتهد في عملية الاجتهاد تكون السنة المصدر الثاني بعد البحث في القرآن الكريم على حد المنهاج الذي رسمه سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما سأله النبي ﷺ :

« كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟

قال : أفضى بكتاب الله .

قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟

قال : فبسنة رسول الله

قال : فان لم يكن في سنة رسول الله ؟

قال : أجتهد ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله .

فخذ سيدنا معاذ أن النظر عند الاجتهاد لاستنباط الحكم يكون أولاً في القرآن الكريم فان وجد كفى وان لم يوجد ينظر بالنظر في السنة الشريفة .

وبهذا الاعتبار تأخذ السنة المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم عند النظر في الأدلة لاستنباط حكم شرعى .

أما قيمة الحكم المستنبط من السنة فهو مثل الحكم المستنبط من القرآن الكريم في وجوب الأخذ به والإيمان بأحقيقته وقد حكم الله جل شأنه .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » .

## شبهات حول السنة

ليس التشنق أو التفهيق من سمات الجماعة الإسلامية أن العمل والشورى هما من خصائص هذه الأمة وقد نعى القرآن الكريم كثرة الكلام إذا صدر من الجماعة الإسلامية يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون كبير مقتا عند الله أن تقولوا مالا لا تعملون » ( ٢ : ٣ الصف ) .

ويقول النبي ﷺ :

هلك المتنطعون .

هلك المتنطعون .

هلك المتنطعون .

ويقول : إنما أهلك من كان قبلكم كثرة السؤال .

ومع هذا فقد ظهر في المحيط الإسلامي من يحب التشنق والتفهيق والجدل في مصدرية السنة للتشريع الإسلامي مع أن الأدلة سندا وعملا واضحة الدلالة في حتمية اتخاذ السنة كمصدر أساسي للتشريع الإسلامي ولكن صنفا من الناس يحبون الترف العقلي أو المباحكة أو التفاسف أورد عدة شبهات يمكن تركيزها في ثلاث :

الشبهة الأولى حول تفسير قول تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »

( الأنعام ٣٨ ) .

ففي القرآن كفاية تامة للتشريع

الشبهة الثانية : حول تفسير قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ( الحجر ٩ )

ففي الآية حصر يفيد أن القرآن وحده دون ما عداه هو المراد بالحفظ فلو كانت السنة مصدرا للتشريع لتكفل الله بحفظها مثل القرآن .

الشبهة الثالثة :

أن النبي ﷺ نهى عن كتابة السنة في عهده فقال : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحجه » .  
فلو كانت السنة مصدرا لأمر بكتابتها مثل ما أمر بكتابة القرآن الكريم .

توضيح وتفسير

وبالجملة فان :

هذه الشبهات هي : مغالطات من جانب :

وهي تحكم في تفسير آيات القرآن الكريم من جانب ثان .

وهي خلط وعدم تمييز للمواقف غير المتحددة من جانب ثالث .

ولرد عليها نبدأ بها واحدة واحدة

الشبهة الأولى

تتعلق بتفسير قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . ( الأنعام )  
ومركز الشبهة انهم فهموا: ان المراد من الكتاب هنا القرآن الكريم وأنه احتوى على كل شيء بحيث لا يحتاج الأمة من بعده إلى مصدر اخر فاذا احتاجت . .  
كان مفهوم هذا الاحتياج ان في القران تقریبا وهو محال لأن الوحي صادق في أن القرآن لا تقریبا فيه .

## الرد عليها

١ - مركز الشبهة فيه تحكم أو مغالطة لأن مجموع الآيات التي تسبق وتلحق هذه الآية تفيد أن المراد من الكتاب هنا اللوح المحفوظ الذي اشتمل على العمر والرزق والسعادة والشقاوة لكل المخلوقات .

قال ابن كثير في تفسيرها : أى الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتديره سواء كان برياً أو بجرياً كقوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » أى نفصح بأسمائها واعدادها ومضائها وحاصر لحركتها وسكناتها ( ابن كثير ٢ : ١٣١ )

قال الخازن : يعنى فى اللوح المحفوظ لأنه يشمل جميع أحوال المخلوقات ( خازن ٢ / ١٣٢ )

وصدر الآية يمهّد لمثل هذا الرأى من التفسير بقول الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

وعجزها يؤكد هذا المعنى : « ثم إلى ربهم يحشرون » .

فالحديث فى الآية يدور حول شمول العلم الالهى والتدير الالهى لسلك أمم المخلوقات من الطير والدواب جميعاً والبشر مناهم .

والذى اشتمل على كل هذا إنما هو اللوح المحفوظ فقط أما القرآن فهو مشتمل على نظم حياة الإنسان فقط ولهذا الآية نظائر : يقول الله تعالى :

« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب أن ذلك على الله يسير » ( فاطر : ١١ )

« وما سقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » . ( الأنعام . ٥٩ )

قال ابن كثير في تفسيرها : كل ذلك في كتاب عنده .

٢ - نسلم أن المراد من الكتاب هو القرآن الكريم ويكون حاوياً لكل شيء غير أن كل شيء فيه على صفة الكفاية محتاج إلى قوله تعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم » . ( النحل : ٦٤ )

والذي يحملنا على هذا التخصيص أمران :

الأول : ان القرآن يصدق بعضه بعضاً كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما نزل يصدق بعضه بعضاً » .

الثاني : إن كثيراً من الأمور الجزئية المرتبطة بالأحكام الشرعية غير موجودة في القرآن وإنما وضحتها السنة مستندة إلى الأصل العام الذي لم يفرط القرآن فيه ولا منه شيئاً .

يدل على هذا : إن الصلاة واجبة لقوله تعالى :

« أقيموا الصلاة » .

ولكن : كم عددها في اليوم ؟

وكم عدد ركعات الفرض الواحد .

وما الذي يقرأ فيها من القرآن ؟

وما هي الصلاة التي يجهر فيها والتي يسر فيها ؟

ثم كيف يجمع الناس ؟

ومتى تؤدي الفرائض ؟

لم تتعرض آيات القرآن الكريم لشيء من هذا مع أنه موصوف :  
« ما فرطنا في الكتاب من شيء » يعنى من المسائل الكلية العامة التي تحتاج  
إلى تبين من النبي ﷺ كما تنص على ذلك الآيات الموضحة لوظيفة النبي ﷺ  
في وكالته عن الله تبين ما أنزله الله إلى الناس من القرآن الكريم .

وإنما تعرض لتوضيح كل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق  
تعالم الوحي الأمين .

٣ - على أننا نقول أن هذه الآية جزء من سورة الأنعام وهي سورة  
مكية نزلت بجملة على كبرها وطولها تناقش أدلة التوحيد وتدحض ترهات  
الخاصمين للحق ، فالآية : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » في معرض  
الرد على طالبي المعجزات حتى يؤمنوا بعد مناقشات في أول السورة :

« وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين »  
( الأنعام : ٤ ) .

« ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا  
إن هذا إلا سحر مبين »  
( الأنعام : ٧ ) .

فالآية هنا في معرض توضيح أن الأدلة على الألوهية والوحدانية وصدق  
رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبثوثة في آي القرآن الكريم وأن الوحي  
لم يفرط في إثبات هذه الأدلة بكل أنواع الاستدلال :

العقلي .

والتاريخي .

والوجداني .

وعلى هذا فالمعتضون بالآية على عدم حجية السنة ليس لهم منه



ولا دليل ، وبقيت السنة مبيجة محتمة كمصدر أساسي من مصادر التشريع الإسلامي .

### الشبهة الثانية :

تتعلق هذه الشبهة بتفسير قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » .

ومركز الشبهة : إن الحصر في هذه الآية يفيد أن القرآن وحده كاف في مصدر التشريع لأنه وحده الذي وعد الله بحفظه ، ولو كانت السنة كذلك لوعد الله بحفظها وذلك بناء على تفسيرهم الذكر بالقرآن .

### الرد عليها .

١ — ونحن نقول ليس بلازم في الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن وحده لأمرين :

الأول : إنه لو كان المراد من الذكر القرآن فقط لصرح الله به كما صرح به في كثير من الموضوعات التي تحتاج صراحة إلى النص على اسم القرآن مثل :

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » ( الإسراء : ٩ ) .

« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » ( الإسراء : ١٠٦ ) .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر » ( القمر : ٧ ) .

« بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » ( البروج : ٢١ ، ٢٢ ) .

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »

( الزخرف : ٣١ ) :

« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه »  
(النمل . ٩١ : ٩٣ ) .

فقد صرح في هذه الموضوعات كلها باسم القرآن .

٢ - لو كان المراد من الذكر القرآن وحده لمبرعنه بالضمير (انا نحن نزلناه).

إذ إفتتاح السورة فيه نص وذكر للقرآن « أُر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » والتعبير بالضمير في نظر اللغة العربية أجود لأن الضمير أعرف المعارف والعلم في المرتبة الثانية من الضمير وذلك يكون متفقا مع ما للقرآن من المنزلة الرفيعة وتعتمده الصناعة العربية .

وإذن فليس من الحتم أن يكون المراد من لفظ « الذكر » القرآن ويبقى أن نرشح لتفسير لفظ الذكر أحد معنيين .

الأول : أن يكون المراد من الذكر : الرسالة والشرف الذي استحققه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واتصف به بنزول القرآن والنبوة عليه .

يقوى هذا الاحتمال الآيات المتقدمة على آيتنا هذه حيث صورت تلك الآيات مقالات الكافرين المعتدين على النبوة بأوصاف مفتراة مبعثها الحقد والحسد :

لقد قالوا له : إنك لمجنون .

لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين

وطلبوا منه معجزات . . فرد الله عليهم ووعد بحفظ الرسالة والشرف الذي اصطفى له محمداً صلى الله عليه وسلم ووعد بحفظ رسالته وشرفه .

فرد الله عليهم ووعد بحفظ الرسالة والشرف الذي اصطفى له محمداً صلى الله عليه وسلم ووعد بحفظ رسالته وشرفه .

أما أن القرآن الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكسبه شرفاً فهذا بالنص القرآني فيقول الله تعالى : « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » . ( الزخرف : ٤٤ )

فهو شرف للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهو شرف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

يدل عليه أن الضمير في قوله : « وأنه لذكر لك » حائد على القرآن المصرح به قبل ذلك في قوله تعالى :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .

( الزخرف : ٣١ )

أو المصرح به وضعاً :

« فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » ( الزخرف : ٤٣ ) .  
« وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ( الزخرف : ٤٤ ) . وهذا يقوى احتمال أن المراد من الذكر هنا الشرف والرسالة .

الثاني : أن يكون المراد من الذكر الشريعة مطلقاً ويرشح لهذا الإحتمال ما تناولته السورة بعد ذلك من تصوير لموقف الأمم السابقة من رسالهم .

« ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين » ( الحجر : ١٠ )

« وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ( الحجر : ١١ )

« كذلك نسلكه في قلوب المجرمين » ( الحجر : ١٢ )

« لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين » ( الحجر : ١٣ )

والأنبياء يكلفون الأمم بالشرائع ، والشريعة كتاب الله وسنة نبيه ،

والذي يستعرض حالات الأمم السالفة مع الأنبياء يقف على مناقشات ومكابرات ومحاجات مع الرسل تدور كلها حول التكليف التي يأمرهم بها النبي المرسل إليهم وعلى هذا تكون الآية التي معنا « إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » قد نهت على أمر خطير : هو أنه إذا كان الأمر في الأمم السالفة يقتضى إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل والسماء من جانب والكافرين من جانب آخر ، فإن هذه الشريعة « قرآنا وسنة » قد وعد الله بحفظهما إلى يوم القيامة ولن ينال الكافرون منها شيئاً .

ويقوى هذا المعنى قول الرسول ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على هذا الأمر إلى قيام الساعة » وعليه فيكون المراد من الذكر : الشريعة : قرآنا وسنة .

ولكن يبقى أن يقال كيف يعود الضمير في قوله تعالى ( له ) على السنة مع أنها غير مذكورة في القرآن لا بالنص ولا بالصفة ؟ غير أن الجواب من نفس استعمالات القرآن الكريم ، ففي آية الواقعة : « إنا أنشأناهم إنشاء فجعلناهم أبكاراً عرباً أتراباً » فتلك صفات الحور العين مع أنه لم يجر لها ذكر سابق على هذه الآيات فكيف عاد الضمير في ( أنشأناهم ) على الحور العين ؟ أنه السياق العام والفحوى التي تعطى المعنى المجوز لعود الضمير عليه .

وليست تلك الآية فقط فهناك آية أخرى في سورة ص يقول الله تعالى :

« إذا عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد » ( ص : ٣١ )

« فقال أنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » ( ص : ٣٢ ) .

فالضمير المستتر في توارت مائد على الشمس مع أنه لم يرد لها ذكر في

السورة لا بالنص ولا بالوصف ، ولكن السياق العام والفجوى هيأت المعنى الذى يصح أن يعود عليه الضمير مراداً منه الشمس .

وآيتنا في سورة الحجر عاد الضمير فيها على السنة من هذا القبيل ، وإذن فلا مانع من أن يكون معنى الذكر الشريعة مطلقاً : قرآنا وسنة وتكون السنة داخلة في وعد الله سبحانه وتعالى بالحفظ والصيانة .

٣ - يمكن أن يعود الضمير على النبي ﷺ قاله ابن كثير : « ومنهم من أعاد الضمير على النبي ﷺ كقوله « والله يعصمك من الناس ، ويكون المعنى : في مواجهة تحدى الكافرين أن الله يشهد بأنه أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيحفظه من كيدهم (٥٤٧/٢) تفسير ابن كثير) .

نعم هذا الاحتمال بعيد في نظر ابن كثير غير أنه احتمال يوهى شبه المتعلمين المتعسفين المانعين حجج السنة لشبهة خيالية ليس عليها دليل :

على أن حفظ محمد صلى الله عليه وسلم حفظ لذاته ورسالته ودينه وسنته ، فيكون الحفظ شاملاً للسنة كذلك وإذن فلا منفذ من الاستسلام لحجج السنة كمصدر في التشريع الإسلامي .

### الشبهة الثالثة

تتعلق هذه الشبهة بالتجاهل والتعصب في فهم حديث شريف : « لانكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمتنه وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

ويدعون أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه جمع الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال .

« انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها »

والناس بعدكم أهدأ اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً فإن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله .

يقول أصعباب الشبهة بناء على ذلك :

إذا كان الرسول ﷺ نهى عن تدوين السنة وإذا كان أبو بكر منع الناس أن يحدثوا . . . فدلواً على عدم الاحتجاج بالسنة ، والاكتفاء بما في القرآن الكريم كمصدر منفرد للتشريع الإسلامى .

### الرد عليها

أولاً : فى الحديث الذى رويتموه أيها المشتبهون نقطتان :

الأولى : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة

الثانية : التحديث عنه دون حرج .

ومفهوم هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحفظ السنة بطريق واحد وهو طريق الحفظ فى الصدر والتحديث والرواية عنه دون الكتابة والتدوين فى القرطاس .

أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد أمر عليه الصلاة والسلام بحفظه بالطريقتين معا :

١ — طريق الحفظ فى الصدور .

٢ — طريق الكتابة والتدوين فى القرطاس .

وعلى ذلك فلا سند للمشتبهين بالحديث فان عدم كتابة السنة — فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم — لا يبنى حجيتها غاية ما فى الأمر أن الحفظ له طريقتان ودرجتان :

الطريقتان هما . التدوين بالكتابة والحفظ والرواية

والدرجتان هما : درجة أولى وتحقق بالجمع بين الطريقتين .  
ودرجة ثانية وتحقق بإحدها .

فالقرآن الكريم له درجة عليا أولى تتحقق بالجمع بين التدوين والرواية .  
والسنة لها درجة عليا ثانية تتحقق بالرواية فقط .

وعلة ذلك وحكمته أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على أن تبقى ذاتية  
القرآن الكريم بعيدة عن أدنى شبهة فأفرد العصر النبوي لتدوين القرآن  
وحده يدل على هذا ما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآهم يكتبون الأحاديث فقال : ما هذا  
الذى تكتبون ؟ قلنا أحاديث سمعناها منك . . فقال : أكتبا با غير كتاب الله  
تريدونه ؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما كتبوه من الكتب مع كتاب الله ،  
فقال أبو هريرة رضى الله عنه أنحدث عنك يا رسول الله ؟ قال : « نعم حدثوا  
عنى ولا حرج ، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

كذلك روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي  
صلى الله عليه وسلم :

« جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله فى الحديث علة نهى  
الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة رسمياً بأمر الدولة فى ظل النبوة  
وهى نفس العلة التى جمعت همير بن الخطاب رضى الله عنه - وهو أمير دولة  
الإسلام وأشهر الناس بموافقة الوحى له - يتردد فى تدوين السنة بعد أن  
استخار الله شهراً ثم يصبح وقد عزم الله له وليكنه يقول :

إنى كنت أردت أن أكتب السنة وإنى ذكرت قومأ كانوا قبلكم  
كتبوا كتباً فأكبوأ عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا أشوب  
كتاب الله بشئ . » .

ثانياً : على أن عدم الأمر بالكتابة لا ينفى كون السنة مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى إذ مصدريتها غير مرتبطة بالتدوين وعدمه بل هى مرتبطة بالحفظ وحفظ السنة مقرر من النبي صلى الله عليه وسلم بدرجته وطريقه : « حدثوا عني ولا حرج » فلم يعد لكم أيها المشتبهون علة تتعلون بها غير إنكم يلزمكم معرفة الفرق بين درجتي حفظ القرآن والسنة وطريقي هذا الحفظ، وأن هدف النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلم الوقت الذي نزل فيه القرآن الكريم من كل تدوين إلا كتابة القرآن الكريم أفراداً العصر ألا يسع سواه بالطريق الرسمى الذى تتوجه إليه الدولة كلها لرعاية كتاب الله .

ثالثاً : أما ما يرويه أبو مليكة عن سيدنا أبو بكر فتحن لا تنازع فيه غير أنه لا يقوم دليلاً على عدم الاحتجاج بالسنة كمصدر من مصادر التشريع كل ما هنالك أنه يحافظ على السنة من الدخل لكثرة الأسن والقوميات التى دخات فى الإسلام فحرص سيدنا أبو بكر على أن تسلم السنة من التحريف فنع العامة لا الخاصة عن التحديث حتى لا يحدث اضطراب فى ألفاظ الحديث الشريف يدل على هذا أن سيدنا أبو بكر رضى الله عنه أنفذ ميراث الجدة بناء على الحديث الشريف الذى رواه المغيرة : وشهد معه محمد بن مسلمة ، فلم يعد بعد ذلك للمشتبهين من تشدق .

رابعاً : على أن الحديث الذى نهى عن تدوين السنة لم يكن النهى فيه على الإطلاق بل هو خاص بأن يكون التدوين عاماً شائعاً لكل فرد من الأمة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن بكتابة بعض الأحاديث .

ويجب أن نفهم أن هناك فرقاً كبيراً بين أمر وإذن ، وهو أن الأمر تبعث عليه علة إذا أمنت هذه العلة كان الإذن .

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم كتابة السنة كان لعله هى ألا يختلط الحديث بالقرآن ، أو أن يفهم الناس اتحاد الرتبة فى الزمن والطريق .



فلما وضع للناس هذا ولم تعد هنا خشية من هذا الاختلاط أذن النبي ﷺ لأبي شاة أن يكتب له حديث خطبة الوداع .

« إن الله جب عن مكة القيل وسلط عليهم رسول الله والمؤمنين ، وأنها لم تحل لأحد قبلي ، ولم تحل لأحد بعدى ألا وأنها أحات لي ساعة من نهار ، وإنها ساعتي هذه حرام لا ينجس شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطها إلا لمنشد فمن قتل له قتيل فهو بخير الناظرين : إما أن يقتل ، وإما أن يقاد أهل القتل .

فجاء رجل من أهل اليمن فقال : اكتب لي هذا يا رسول الله ، فقال : اكتبوا لأبي شاه .

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم ليأمر بكتابة العلم ، والسنة هي العلم بعد القرآن الكريم ، يقول صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتابة » ويعاق الخطيب البغدادي على هذا فيقول :

وفي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب بأنه قيد للعلم دليل على إباحتها رسمه في الكتاب لمن خشى على نفسه دخول الوهم في حفظه .

فدل ذلك على أن الإذن بالكتابة كان موجوداً لطائفة خاصة وأن الأمر بالنهي عن التدوين كان للعامة يؤيد ذلك :

١ - ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب .

٢ - وقد اعترض بعض الصحابة على تدوين عبد الله بن عمرو للسنة فقالوا : إنك تكتب عن رسول الله ﷺ كل ما يقوله ورسول الله ﷺ قد يغضب فيقول ما لا يتخذ شرعاً عاماً ؟ فرجع ابن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال له : اكتب عنى فوالذي نفسى بيده ما يخرج من فمى إلا حق .

٣ — وروي أبو هريرة رضى الله عنه : أن رجلاً كان يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظ فيسأئني فأحدثه فشكى قلة حفظه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استعن علي حفظك يمينك وبذلك تسقط كل شبه المشتبهين وتبقى السنة الإسلامية مصدراً أساسياً من مصادر التشريع الإسلامى .

لها وظيفة .

ولها منزلتها .

يؤكدده المجال التطبيقى فى العبادة والمال والأسرة والحاجات اليومية رغم أنف الجاحدين .

## المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية

المرضى بالأعصاب يحفظ لهم الطب السيكولوجي تصرفات خاصة وانفعالات ذات طابع معين منحرف عن السلوك السواء والمستشرقون هم أول المرضى بالأعصاب .

فقد كانت أوروبا إلى جوار الأندلس المسلم صورة قائمة من الفقر والجهل والمرض والعبودية والقوضى والطبقية والاحتكار والظلم . لقد كانت حياتها صورة قبيحة لحياة الجنس البشرى ، بينما كانت الحياة الإسلامية في الأندلس تعيش حياة العلم الذي ارتفعت مناراته في قرطبة وغرناطة وأشبيلية ، ومع العلم الأمن والعدل والرخاء والإحترام ، والمجتمع الفاضل الذي يعلم الناس أصول التعاشر الرفيع كأفضل ما تكون الحياة رفقاً وعدلاً وحناناً وأخاء وإيماناً .

كانت هذه الصورة لجارتين متجاورتين : أوروبا الكافرة الجاهلة المنحطة ، والأندلس الإسلامي العالم المجيد .

لقد كان الأندلس مركز البعث الإنساني لأنه مسلم ، وكانت أوروبا مركز الظلم والظلمات لأنها كافرة . ولهذا لم يكن الأندلس الإسلامي أنانياً فلم يضيق مساحات جاهاته وما يقصرها على بنيه وأهله بل فتحت جامعاته الإسلامية للعاشقين من شباب فرنسا وأوروبا في الثقافة والمعرفة فخرج الظالمون للعلم والحرية إلى الأندلس ونهلوا من جاهات الأندلس الإسلامي علماً غزيراً ولكنهم كانوا يجمعون صفات خسيصة صفات المجتمع الرقيق فلم يحتفظوا بالاسلام جيلاً بل قابلوا

حسناته بجحافل من الكراهية والسيئات فكانت الحروب الصليبية وكان خروج الإسلام من الأندلس التي صارت دولة أسبانيا المسيحية اليوم .. ولم يكتبف المسيحيون الأوريون بذلك بل نظموا حملات حربية من نوع خاص تتمثل في :

١ - التبشير .

٢ - الاستشراق .

والتبشير : يعنى التوجه إلى الجماعة الإسلامية كأفراد ليحييها إلى أفراد مسيحيين .

والاستشراق : يتوجه إلى الأفكار فى المجتمع الإسلامى ليشتكها فى تاريخها وثقافتها ليوهى الفكرة الإسلامية حتى لا يجد المجتمع الإسلامى له قيادة تبصره فتسهل عملية التبشير الهادفة إلى تحويل المجتمع الإسلامى إلى مجتمع مظلم كافر .

وكان من أول المجالات التى يهاجمها مرضى الأعصاب المستشرقون : السنة الإسلامية ، وشيخ هؤلاء المرضى هو : جولد زهير ، ولقد اعتمدت الحركة الصهيونية واليهودية من المال ما يمكنه من نشر كل أحقادته وخبثه وتفضيلاته وتشكيكاته وسمومه تجاه الإسلام والمسلمين .

وقد استطاع نجبته ودهائه أن ينشر فى المجتمع المثقف أنه باحث نزيه وتلك واحدة من مفتريات المستشرقين عامة ومن شيخهم خاصة .

إن جولد زهير يهودى مسيحي فهو من سلالة خبيثة الأصل ، ويتجمل ديننا باطلا ، ولا تفتقر جهوده لحظة عن تحطيم الإسلام ، وقد ركز هجومه على السنة فى نقاط أربع : قال فيها :

١ — القسم الأكبر من الحديث إنما هو أثر من آثار المسلمين وضعوه في عصر النضوج .

٢ — الدولة الأموية تدخلت في وضع الحديث لتأييد وجهة نظرها السياسية وأنهم اضطهدوا العلماء وزادوا في درجات المنبر على الثلاث .

٣ — الإمام الزهري من أمثلة العلماء الذين استفلمهم العهد الأموي في وضع الحديث .

٤ — يروى نصوصاً تؤيد آراءه .

٥ — إدعاء أن الموطأ كتاب فقه .

مناقشة هذه النقاط :

النقطة الأولى :

يدعى جولد زهير أن السنة وضعت بعد نضوج المسلمين وكلمة نضوج هذه كلمة براقة تخدع المسلمين كثيراً في العصر الحاضر ، ويتغنى بها الأوروبيون لأنهم عاشوا الحياة في ذل وفقر .

وإذا سألنا عن أسس النضوج وجدنا الأجابة كاملة في ظل الدولة الإسلامية الأولى فوسائل النضوج هي :

دستور للدولة .

وقانون يضبط السلوك .

وجيش يحمى الذمار .

وحكومة تقيم العدل .

ومجتمع تقوم الروابط فيه على المحبة والأخوة والتعاون ولقد كان القرآن

دستور الأمة وكانت القوانين تشرعها السنة والعلماء في ظل الخلافة الراشدة من بعد النبي ﷺ ، وكان الجيش الإسلامي قد أنهى دولة الفرس في معركة القادسية ودولة الروم في معارك اليرموك وفتح مصر والاسكندرية وبرقة وتونس .

وكانت الحكومة الإسلامية تقيم العدل لغير المسلمين بينما كان المجتمع في أوروبا يقوم على الذل والتفقر والطبقية والجيروت والجهل والفحش والمرض .

وفي ظلال تلك الدولة التي تملك وسائل النضوج كانت السنة مدونة في صحائف عبد الله بن عمرو ، وأبو بكر وعلي ، وجملة من كبار رجال الفكر الإسلامي حتى كان الزهري في عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز نجح ما شاء الله من السنة ليهذبها من شوائب الفتنة التي حلت بالأمة الإسلامية بعد معارك الخلافة فيما بعد .

وجدير بالذكر أن نستشهد برأي رجل متعصب ضد الإسلام فيما يتعلق بنضوج الأمة الإسلامية : يقول ( جون جلوب ) وقد أقامت معظم الدول الإسلامية منذ القرن السابع وفي مختلف العهود أنظمة قضائية فعالة ونظمت فرق الشرطة ( ٦٦٢ الفتوحات العربية )

ففي أقل من خمسين عاماً تمكن بدو الجزيرة العربية من أن يقيموا أعظم إمبراطورية عرفها العالم آنذاك ومن أعظم الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ ، ولم يسبق لأية إمبراطورية بمثل هذه الضخامة وذلك الإتساع أن أقيمت في مثل هذا الوقت القصير ( ٦٥٥ الفتوحات العربية )

#### النقطة الثانية :

يدعى شيخ المرضى بالأعصاب جولد زهير أن الدولة الأموية تدخلت

في وضع الحديث لتأيد وجهة نظرها السياسية وأن الدولة الأموية في سبيل هذا اضطهدت العلماء وأنه زاد في درجات المنبر على ثلاث . . وهذا جهل فاضح بحقائق التاريخ لأن معاوية بن أبي سفيان هو أول وال في ظل خلافة سيدنا عثمان الذي نظم أسطولا بحريا لفتح بلاد شمال إفريقيا والجزر الشرقية في البحر الأبيض المتوسط واستولى على مدينة قبرص وعاهد أهلها ثم عاد إليها عام ٦٥٣ م .

لقد كان رجال بني أمية مشغولين بالفتوحات فأرسلوا الجيوش إلى أفريقيا وأوربا ليفتحوها للإسلام ورحلات الجيش الإسلامي في عهد معاوية مدونة ، وفي عهد عبد الملك بن مروان إلى الأندلس وغرب أفريقيا وكان رجال بني أمية على رأس هذه الحملات فلم يكن عندهم فراغ لمثل ما يدعيه جولد زهير .

أما الحرب التي شنها الأمويون على الشيعة والخوارج فليس ذلك من قبل اضطهاد العلماء فليس في الإسلام تحزب ولا فرق .

« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إن الله لهم عذاب عظيم » ( آل عمران ١٠٥ ) .  
« ولاتكفروا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » ( آل عمران ١٠٥ ) .

« منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون »  
( الروم ٣١ : ٣٢ ) .

فالشيعة والخوارج أحزاب سياسية ولا تمثل جهة العلماء التي يدعي جولد زهير أنهم اضطهدوا في عهد بني أمية .

أما ما يدعيه من أن بنى أمية زادوا في درجات المنبر على ثلاث كدليل على ما يدعيه أنهم وضعوا أحاديث لنصرة مذهبهم فتلك واحدة من العقليات اللاهوتية المسيحية إذ الزيادة أو النقص في درجات المنبر لا ترتبط بمبدأ إسلامي فليست حوائط المسجد وأبنيته جزءاً من الصلاة أو شرطاً لها كما هو في المسيحية إذ تجعل الصلاة في غير كنيستهم غير صحيحة فالكنيسة جزء من صلاة المسيحية .

وتلك فاضحة عقلية جولد وواحدة من أدلة جهله بالفكرة الإسلامية .

### النقطة الثالثة :

يدعى جولد أن الدولة الأموية استغلت الزهري في وضع الحديث .

أما علماء الإسلام فقد كفونا الرد على هذا الافك .

يقول علماء الجرح والتعديل :

١ - كان الزهري ثقة كثير العلم والحديث والرواية فقيهاً جاءها ( الطبقات الكبرى لابن سعد ) .

٢ - الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم اسناداً ( ابن حنبل ) .

٣ - أصبح الأشانيد أربعة : أولها الزهري عن سالم عن أبيه ( أبو زرعة ) .

٤ - كان الزهري من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيهاً فاضلاً . ( ابن حبان في كتابه : الثقات )

٥ - حدثني أبي قال : الزهري مدني تابعي ثقة .

( صالح بن أحمد بن حنبل )

ومع هذا فالزهري أمر بجمع السنة من أصلح خلفاء التابعين وهو عمر بن عبد العزيز ، ولا يشك واحد من المؤرخين المتعصبين أو المتسامحين



في أن عمر بن عبد العزيز كان من أعدل الخلفاء وكان عهده سلاماً وأماناً ورخاء : لقد خرجت الصدقات فيه ثم طادت إلى خزائن الدولة لأنها لم تجد فقيراً ، فلأى سبب ولأية غاية يضع الزهري لبني أمية أحاديث وقد استقرت دولتهم بعد مقتل الحسين في كربلاء ؟

ومع هذا فلم يحفظ التاريخ لبني أمية نشاطاً مطلقاً في جمع الحديث حتى الصحائف التي جمعها الزهري لم تصل إلى عمر بن عبد العزيز لأنه مات قبل أن ينتهي الزهري منها فليست هناك فرصة ولا مندوحة يمكن أن يتأتى منها اتهام: أن الدولة الأموية استغلت الزهري في وضع الحديث .

#### النقطة الرابعة :

النصوص التي رواها جولد تؤكد جهله وكذبه .

يدعى جولد : إن وكيعاً يطعن في زياد بن عبد الله ويرميه بالكذب فينقل نصاً ويحرفه عمداً ليصل إلى كذبه وانتزاعه فيقول :

من قول وكيع عن زياد بن عبد الله من أنه كان مع شرفه في الحديث كذوباً .

ومع أن النص العربي يأباه فإن نص العبارة كما وردت في التاريخ للامام البخاري ص ٣٢٩ ج ٢ القسم الأول .

. وقال ابن عقبة الدوسي عن وكيع هو : أي زياد بن عبد الله أشرف من أن يكذب .

ولكن المستشرق اليهودي بما فيه من صفات الكذب والحسة يحرف النص ليصل إلى هواه الدنيء .

وللاسف فان ثلثة من مفكرى المسلمين يثقون في علم المستشرقين المبنى على:

- ١ - النص المحرف .
- ٢ - الفهم الخطأ .
- ٣ - التخريب العمد لثقافة الإسلام .
- ٤ - الكراهية للمسلمين .

### النقطة الخامسة :

يدعى المستشرقون أن الموطأ كتاب فقه لا كتاب حديث وتلك واحدة أخرى من جهاهم مناهج التدوين للسنة فتدوين السنة له عدة مناهج :

- ١ - منهج الإسناد ، وهو المعروف اصطلاحياً بالمسانيد مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل .

وهو أن يدون كل ما رواه راو واحد في مسند واحد .

- ٢ - منهج التبويب ، حسب الموضوعات مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة . وهذا ما فعله مالك ثم تبعه بعد ذلك البخاري ومسلم .

غير أن هذا المنهج يتبع شخصية المدون . فإن كان فقيها علق على كل حديث فيه حكم فقهي وذلك ما فعله مالك رضي الله عنه أو أشغفه بالنص على عمل أهل المدينة في أحاديث الأحاد ، وشروحه لبعض المفردات ولقد كان مالك محدثاً وفقهياً وكان الموطأ كتاب حديث لا كتاب فقه بدليل أن فيه إسناداً لأبي خنيفة ومجد بن الحسن وأبو يوسف وهؤلاء أئمة مجتهدون والمجتهد لا ينقل عن مثله رأياً وإنما ينقل حديثاً .

والأوزاعي يروي عن مالك : والأوزاعي فقيه ومالك فقيه ، والرواية لا تكون في الفقه إنما تكون في الحديث .

يقول الإمام الشافعي : ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك .

يقول ابن الصلاح : مقالة الشافعي قبل أن يظهر البخاري .  
فالقابلة دليل على أن الموطأ كتاب حديث لا كتاب فقه .  
يقول سفيان بن عيينة : كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ولا يحدث  
إلا عن ثقات الناس .

وقال يحيى بن سعيد : كان مالك إماماً في الحديث .  
وهكذا ترون جهل المستشرقين وغباهم وكذبهم ليوهوا ثقة المسلمين  
بتقافتهم وآراء علماءهم وصدق الله العلي العظيم .  
« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كنفاراً حسداً  
من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » . ( البقرة ١٠٩ )  
« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم  
بعد إيمانكم كافرين » . ( آل عمران ١٠٠ )  
« ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من  
خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ( البقرة ١٠٥ ) .  
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا  
ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم  
الآيات إن كنتم تعقلون » . ( آل عمران ١١٨ )

## الغرائيق والمستشرقون

الغرنيق هو الشاب الأبيض الجميل الذي يدل بعوده الفارع وبدنه القوي وتقاسيمه الوسيمة .

وصاحبنا السير ولیم مویر أحد رجال الفكر الاستشراقي الذين يتصدون للدراسات العليا وهو أحد رجال الغرائيق فيما مضى أيام شبابه ، وهو من ذوى القدر والقدر في الجمال والأفهام . وهذا الغرنيق ولیم مویر . واحد من المفكرين الغربيين الذين يتلمسون الهنات للطعن في الإسلام مستخدما ادعاء البحث العلمى .

ان غاية البحث العلمى فى أصل ذاته وأسس منهجه هى الوصول إلى الحق . . مقدمات بحث وتناقش وتجرب وتعاد تجاربها وتختبر من أجل أن تسلم عند الاستنباط منها نتيجة مسلمة عند الحق فى ذاته ، وعند الناس . . وعند الفكر .

وقد ادعوا أنهم لهذه الغاية السامية فى البحث العلمى يشترطون الحيدة عند البحث : يتجرد الباحث من كل عاطفة خاصة ، من كل مؤثر على الفكر نفسى أو اجتماعى أو ثقافى ليبحث حرا فى جو متعادل الزوايا والاتجاهات لتسلم المقدمات وتصح النتائج .

ادعوا هذا وخالفوه عندما بحثوا بعضا من مسائل الحياة الإسلامية وهن ذلك مثلا :

قصة الغرائيق .

نعم : أورد ابن سعد في طبقاته الكبرى ، والطبري في تاريخ الرسل والملوك وكذلك المفسرون حديث الغرائيق .

وأوردوه ومحصوه من نواح :

١ - مستوى الرواة .

٢ - المفهوم اللغوي لمعنى ( تمنى )

٣ - المعنى في السياق العام

٤ - تكامل النصوص وتضافرها في حلقة البحث الإسلامى عن وجوب العصمة للأنبياء جميعا :

واتموا إلى أن الرواية ضعيفة وأن الحادثة منكورة وأن الآيات لها جو دىنى تام بعيد عن هذه الفرضية المدعاة ..

يقول القرطبي في افتتاحية هذه المسألة :

الأحاديث المروية في نزول هذه الآية .. ليس منها شيء يصح (١)

ثم ينقل بعد ذلك أقول العلماء :

١ - قال النحاس ، وهذا حديث منقطع وفيه هذا الأمر العظيم ، فيصف

الحديث بأنه منقطع وأنه يحمل بهتاناً عظيماً ..

٢ - ويروى عنه كذلك :

قال النحاس ، وهذا حديث منكر منقطع (٢) :

٣ - قال ابن عطية :

---

(١) ص ٤٤٧٢ ج الشعب

(٢) ص ٤٤٧٣ ج ١ الشعب القرطبي

وهذا الحديث الذي فيه : هي الغرائيق العلا وقع في كتب التفسير ولم يخرج البخارى ولا مسلم ولا ذكره عالم مصنف مشهور<sup>(١)</sup>.

٤ — قال القاضى عياض :

أما المأخذ الأول: فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون والولعون بكل غريب المتأفقون من الصحف كل صحيح وسقيم .

قال أبو بكر البراز : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بأسناد متصل يجوز ذكره<sup>(٢)</sup> .

٥ — وكذلك فعل ابن كثير لقد أنكسر كل رواية وردت في مستهل حديثه عن هذا الأمر العظيم الذى افتراه السوقه فقال :

ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أراها مسنده من وجه صحيح والله أعلم<sup>(٣)</sup> .

ومع هذا فإن السير ولیم مؤبر يحاول أن يضيف إلى الروايات الضعيفة الواهية السند ، حجة يراها في نظره مقوية لشبهته .

تلك الحججة هي ، أن عودة المهاجرين من الحبشة بعد ثلاثة أشهر كانت نتيجة لما سمعوه من خبر الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش عندما تلا سورة النجم وقرأ الآيات أفرأيتم اللات والعزى . . ثم ألقى الشيطان عبارته : تلك الغرائيق العلا وأن شفاعتكم لتزجي ثم سجدوا جميعاً ومعهم المشركون لأنهم

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) ص ٤٤٧٤ المرجع نفسه .

(٣) ابن كثير مجلد ٣ ص ٣٢٨ .

سمعوا نناء على آلهتهم بعد أن كانوا يساهون بسبها وتسفيها ، فحدث اللقاء بين الإسلام والمسلمين من جانب وبين الشرك والمشركين من جانب آخر .

هكذا شفى سير ولیم مویر غیظه بهذه الطعنة الخيالية للإسلام .

وسؤالان يوجهان إليه :

الأول ما هو رأيكم باجماعة الغرائيق من المستشرقين في سنة الرسول ﷺ هل تقبلونها بالإطلاق ؟ هل ترونها مرفوعة إلى النبي ﷺ مباشرة ؟ أو أنها من عمل المسلمين بعد نضوجهم الفكري ؟

لقد ادعى المستشرقون أن السنة وضعت في عصر النضوج الإسلامي ويريدون بذلك أن يقطعوا سند السنة المتصل ويوهوا عروتها الوثيقة الارتباطة بنبيها عليه أفضل الصلاة والسلام تلك السنة المطهرة التي ورثها إلى الأمة بألفاظها وأحاديثها وزجالتها .

وحماها من بعده العدول الثقات المخلصون .

فلم يا مستر ولیم مویر قبلت حديثاً لم يرتضه علماء الإسلام بل أنكروه وضعفوه وردوه . . ؟ ألا يجوز في احتمالات العقل أن مثل هذا الحديث المكذوب المرذود وضع في عصر النضوج على حد ادعائكم ؟

ولم يكون احتمال عودة المهاجرين هو هذا السبب فقط ؟

ألم يكن في عالم الدعوة حدث أكبر خطراً من هذا .

حادث إسلام عمر بن الخطاب الذي حول الحياة الإسلامية في مكة من الاستخفاء إلى التظاهر بموكب يقوده النبي صلى الله عليه وسلم إلى ظلال الكعبة المشرفة . . وعلى طرفيه يمينا وشمالا عمر بن الخطاب وحمة بن عبد المطلب .

ألا يكون هذا الحادث كافياً في شعور المهاجرين بالعودة ليكثرُوا سواد المسلمين في مكة ؟ .

السؤال الثاني : نسلم لك جدلاً بصحة الحادثة ؟

فلم لم ينته الخلاف بين الإسلام والشرك في مكة ؟

لم كانت قطيعة قريش لبني هاشم في شعبهم ثلاث سنوات ؟

ثم لم كانت الهجرة من مكة إلى المدينة ؟

ثم لم كانت بدر وأحد والخندق .. الخ .. ؟

أني سأعلمك يا مستر ولیم مویر كيف تقوم البحث في قضايا الحياة الإسلامية . .

أولاً : ترتكز قصة الفرائيق هذه على تفسير كلمة (تمنى) .

وعلى صحة سند الرواية لهذا التفسير .

وعلى تعدد الروايات الواردة في تصوير القصة .

ثانياً : ارتباط الروايات بالنصوص الإسلامية الأخرى المتعلقة بهذا الجزء .

ثالثاً : المستوى الذي يرضى به الطرفان معاً فيما يستقبل من العلاقات الدينية بينهما .

أولاً : أما فيما يتعلق بتفسير كلمة تمنى فإن إشكال الفرائيق يتأتى لو كان معناها قرأ فقط .

وقد قال صاحب الأبريز : أن تفسير تمنى بمعنى قرأ والأحقية بمعنى القراءة مروى عن ابن عباس في نسخة عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس



ورواها على بن صالح ، وقد علم ما للناس في ابن أبي صالح وأن المحققين على تضعيفه وأذن فتنسیر التمني بالقراءة فاسد الرواية لضعف الراوی .

ثم هناك معنى آخر لكلمة تمنى وهو حدث نفسه .

قال القرطبي :

وقد قيل : أن معنى تمنى حدث لا تلا ، وروي على بن أبي طاححة عن ابن عباس في قوله عز وجل « إلا إذا تمنى » قال : إلا إذا حدث . . وهذا التفسير سليم السند والرجال فهو أولي بالقبول ويكون المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم تمنى لقومه أن يشرح الله لهم صدورهم ويود أن يجرمهم سريعاً إلى رحاب الإيمان ويريد الشيطان أن يوائسه فيبطل الله هذا الوسواس .

وإذن فاختيار تفسير تمنى بقرأ أو تلا تمحك يخالف منهج البحث المحايد ويفسده ضعف الطريق والسند ورد العلماء له .

وأما عن الروايات المصورة للحادثة فقد تعددت تعدداً يردها لقد قالوا فيها :

تلك الغرائيق العلاء وأن شفاعتهن للرجى .

الغرائيق العلاء أن شفاعتهن ترتجى .

أن شفاعتهن ترتجى - دون ذكر الغرائقة أو الغرائيق .

وأنها لهن الغرائيق العلاء .

وإنهن لهن الغرائيق العلاء وأن شفاعتهن لهن التي ترتجى (١) .

---

(١) ص ١٦٥ حياة مجد هيكل باشا .

وأما الذى سجد على التراب : فرواية تقول هو :

الوليد بن المغيرة .

وأخرى تقول هو :

أمية بن خلف<sup>(١)</sup> .

وعدم الاتفاق فى الرواية يرددها .

ذلك منهج عندنا يا مستر ولیم مویر وعلیک أن تقبله . . . قرب الدار  
أدرى بما فيها . . .

ثانياً : أما فيما يتعلق بالنصوص الأخرى .

فان الموقف فيما يتصل بالمساومة من أجل الحل النصفى قد رفض منذ  
اللحظة الأولى .

لقد جاء القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه المسال والجاه  
والرياسة والعلاج فرفضها جميعاً وقال :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا  
الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

والقرآن الكريم نفسه يسجل هذا الغرض فى سورة أطلق عليها اسم  
« الكافرون » .

« قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . . الآيات » .

---

(١) ٤٤٧٣ ج ١ الشعب القرطبي .

فما قيمة حادث الغرائيق لو صح بالنسبة لهذه النصوص المتعلقة بأسس الدعوة ( توحيد الله ) .

وهل المرسلات يا ولیم مویر نقبل عندنا فی الأحكام والقوانين حتى نسلم بها فی العقائد ؟ . . . . .

إن الباحث في نظر الشريعة الإسلامية لا عليه أن يرفض الأحاديث المرسلة في الأحكام فكيف تقبل في مسألة العقيدة التي تحدت بمئات من الآيات الواضحة الصريحة .

أبعد .

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد »  
تكون هناك مساومة ؟ .

أبعد : « فأعلم أنه لا إله إلا الله » تكون هناك مصالحة . . . . . ؟ ؟

ثالثاً : أما فيما يتعلق بالمستوى الذي يرضى به الطرفان فقد صورته آية سورة الأنعام .

قل أي شيء أكبر شهادة ؟ .

قل : الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، ائتمكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ .

قل : لا أشهد .

قل : إنما هو إله واحد .

وانني برىء مما تشركون .

وبعد :

فان العربية لم تعرف إطلاق هذا الاسم الغرائق على الأصنام لا من قبيل الاسم ولا من قبيل الوصف ولم يتداوله العرب في شعرهم ولا في نثرهم ، وكل ما يحمله القاموس لهذه الكلمة « الغريق » إنه اسم طائر الماء الطويل العنق وقد يطلق على الشاب الأبيض الجميل ولذلك دعوتك به ياسير وليم موير لأنك أبيض وجميل فهل بقي لديك شيء عن الغرائق ؟

( أ ) بقي أن تقول : لهذا يرى ابن اسحق وقد سئل عنها فيقول : هي من وضع الزنادقة ويقول الإمام أبو بكر بن العربي : أن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له ؛

على أن آية الحج التي تعتمد عليها في الاستدلال على قصة الغرائق لم تسعف الباحثين متلقني المنات المتربصين بالطعنات للحياة الإسلامية .

إن هذه الآية نزلت أيام الهجرة بين مكة والمدينة ، وسورة النجم من أوائل السور التي نزلت قبل الهجرة فهي في الترتيب للسور المكية مكانها الثالث والعشرون من ست وثمانين سورة مكية هي مجموع ما نزل بمكة وسورة الحج مدنية ومكانها السابع عشر من السور المدنية التي نزلت بالمدينة وعددها ثمانية وعشرون .

فأى علاقة بين ما يدعيه الغرائق المستشرقون في سورة النجم وحقيقة عامة في كل الرسائل في سورة الحج وبين نزولها سنوات طويلة ؟؟؟

( ب ) على أنك يا غريق سير وليم موير وأصحابك تستعملون دائماً مع المسلمين منهج المباغثة تهاجمون أحداث الحياة الإسلامية بتضليل مفضوح فليس في النص ذاته ما يشير إلى وجود حادثة فردية حتى يتمحل لها كل هذا الإنفك .

فالنص يقرر أن هذه قاعدة عامة في الرسائل كلها مع الرسل كلهم

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته » فلا بد أن يكون المقصود أمراً عاماً يستند إلى صفة الفطرة مشتركة بين الرسل جميعاً بوصفهم من البشر مما لا يخالف العصمة المقررة للرسل .

إن الرسل عندما يكلفون حمل الرسالة إلى الناس يكون أحب شيء إلى نفوسهم أن يجتمع الناس على الدعوة ، وأن يدركوا الخير الذي جاءهم به من عند الله فيتبعوه . . . ولكن العقبات في طريق الدعوات كثيرة ، والرسل بشر محدودو الأجل وهم يحسون هذا ويعلمونه ، فيتمنون لو يجذبون الناس إلى دعوتهم بأسرع طريق .

يودون مثلاً لو هاودوا الناس فيما يعز على الناس أن يتركوه من عادات وتقاليد وموروثات فيسكتوا عنها مؤقتاً لعل الناس أن يفيئوا إلى الهدى ، فإذا دخلوا فيه أمكن صرفهم عن تلك الموروثات العزيرة . ويودون مثلاً لو جاروهم في شيء يسير من الرغبات وجاء استدراجهم إلى العقيدة على أمل أن تتم فيما بعد تربيتهم الصحيحة التي تطرد هذه الرغبات المألوفة . .

يودون . . . يودون . . . على حين يريد الله جل شأه أن تمضي الدعوة على أصولها الكاملة التي قدرها وحدد موازينها الدقيقة ، ثم بعد ذلك لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

فالكسب الحقيقي للدعوة في تقديرها الباني الكامل هو أن تمضي الدعوة على أصولها وفق الموازين الإلهية التي قدرت لها ولو خسرت أشخاصاً في أول الطريق ، ففي نهاية المطاف إذا استقامت الدعوة

على أصولها فسوف ينثنى هؤلاء الأشخاص أو من هم خير منهم إلى  
أصول الدعوة .

وتبقى الدعوة سليمة لا تخدش من عوج أو إنحناء .

ولكن الشيطان يريد أن يؤكد للدعوة بما يجد من تلك الرغبات البشرية  
ومن تصرفات يترجم عنها لتحويلها عن قواعدها وإلقاء الشبهات حولها ولكن  
الله يحول دون كيد الشيطان وكيد أعوانه .

وكفى بربك هادياً ونصيراً .

فأين غرائيقك يا مستر موير من هذه القاعدة العامة ، ولو صححت عندك  
فقد طعنت بها فيك وكل دين من قبل ومن بعد ..

وصدق الله ﷻ على العظيم :

« وكذلك جهنمنا لكل نبي عدوآ من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً »  
إنها ليست غرائيق الشيطان فحسب تلك التي تشوش على دعوة الله .

ولكنها مع ذلك غرائيق المفترين والمستشرقين جميعاً .

ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم .

وملخص الموضوع :

أن المستشرقين اعتمدوا على حديث مردود عند علماء الإسلام ، وهو  
مغالطة علمية يرفضها البحث الإسلامي وأنهم تصوروا خيالاً واسماً فجعلوها  
في مشهد عام فتكون لها صفة التواتر عند الرواية مع أن الأحاديث المروية  
ليست كذلك .

إن معنى « تمنى » ليس قرأ ولا تلا على القطع بأحد المعنيين فهناك احتمال  
لغوي رابع بمعنى حدث نفسه ، وهذا المعنى الأخير يتفق مع السنة العامة لحالة  
الأنبياء وهم يدعون أقوامهم : إنهم يحاولون هداية أقوامهم ويحاول الشيطان

أن يصدمهم عن تلك الهداية والله يصور ذلك في حياة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام  
« لعلك باخع نفسك على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

على أن آية الحج ليست مكية وهي الآية التي يعتمد على تأويلها الفكر  
الاستشراقي بل هي مدنية نزلت يوم الهجرة بين مكة والمدينة والحادثة المدعاة  
وقعت ادعاء في مكة فكيف يستدل بآية نزلت بعد الهجرة على واقعة يدعى  
أنها وقعت أمام جبهة بمكة المكرمة ؟

لعل الفكر الإسلامي المعاصر يستيقظ وبعي ويلتزم ويستمسك بالذي  
أوحى إليه من عند ربه ، فالعاقبة للمتقين .

## منهج العلماء في ضبط إدراك الحكم الشرعي

(أ) التشريع وسياسته في الإسلام

أولاً : في ظل النبوة الإسلامية:

كان المجتمع العربي قبل الرسالة المحمدية مجموعة من القبائل التي يسيطر عليها حكم العرف القبلي المسنون من العادات والتقاليد الموروثة . فلم تكن عندهم فكرة التقنين ، لسهولة الاتصال اليومي ، وتقارب أفراد المجتمع في الدم ، والعصبية .

والقوانين تظهر دائماً عندما يتركب المجتمع تركيباً معقداً يصعب معه احترام العادات والتقاليد الموروثة كنظام يملئ إرادته ، ويحدد سلوك الناس داخل منطقة التعاشر اليومي .

فلما جاءت رسالة الإسلام الإنسانية ارتفعت بالجنس البشري من دائرة الحكم الخاضع للتقاليد التي تحدد دائرة المجتمع بالصغر والذاتية ، والقومية العنصرية ، إلى دائرة الحكم الإلهي العام لجميع الناس ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم بما مارسوه في بدء الدعوة من تدريب على طاعة الحكم الإسلامي ، وارتفاعهم بدينهم فوق العصبية ، والعنصرية



إلى عالمية الإنسانية بالإسلام الحنيف قد أدركوا أن الفكر التقني العادل لمجتمع الإسلام مرجعه الأساسي : الله ، ورسوله فاستقبلت صدورهم المشرقة بنور الإيمان كل حكم يحل حلالاً أو يحرم حراماً بعبقيرة ثابتة أنه هو ذلك المستوي الفاضل لحياة الإنسان فمن أصدق من الله حديثاً ؟ فالقرآن يترى به الوحي آناً فآناً ، والأحداث تتولد مع نمو المجتمع ، والرسول ﷺ يشرع بما يوحي إليه ، وبما يفسره ويبينه بالسنة لجانب من الذي أوحى إليه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

ومع هذا فقد أخذت عملية التشريع منهجاً فريداً يدرّب النفوس على استقبال الحكم . فبعد أن ثبتت العقيدة درج الله وقسط في الأحكام .

ومع التدرّج والتقسيم هيأ الله النفوس لتقبل الحكم الشرعي : فأخذت الأحكام تتوزع مع وجود الحاجة خطوة بعد خطوة ، وكلما أشرفت أنوار الإيمان في الصدور حجج الناس إلى رسول الله ﷺ يسألونه :

يسألونك عن اليتامى ؟

قل : إصلاح لهم خير .

— يسألونك عن الخمر والميسر .

قل : فيهما أثم كبير ومنافع للناس .

— يسألونك عن المحيض ؟

قل : هو أذى اهتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن .

— يسألونك ماذا ينفقون ؟

قل : ما أتفقم من خير فلولو الدين والأقربين .

-- يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟

قل : قتال فيه كبير .

— يسألونك عن الأهلة ؟

قل : هي موافيت للناس .

فالمجتمع يسأل ، والوحي ينرى ، والرسل صلى الله عليهم وسلم يجيب ، وينبوع إجابته وحي الله ، « ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي بوحي » .

وعلى قدر طاقة العباد منح الله الناس الدين والشريعة بالتقسيط والتأني « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . ( النساء )

« يريد الله ليعين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » . ( النساء ) .

« لا يكاف الله نفساً إلا وسعها » ( البقرة ) .

فقد استمرت الدعوة في عصر وجودها المبكى زهاء ثلاثة عشر عاماً تحرر القلوب والعقول من الشرك الحجري ذللكم الذي يحقر كرامة الإنسان ، ويبعده عن الكيان البشرى وتخرجهم إلى الحق والعدل والنور بشهادة التوحيد ، فلما تجمع للدين طائفة موحدة وقيادة أمينة بعد أحد عشر عاماً في مكة فرض الله الصلاة كوصلة تشرف الإنسان في اتصاله بربه وتكون ركيزة الأسس للعلاقات الاجتماعية لتستمر الرقابة الاجتماعية التي هي مصدر حماية القوانين متصلة بالله الحق حتى يكتمل للبشر أساس حريتهم فالكل لله عبد والكل ينبغي أن يراقب الديان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، وذلك وحده هو عصب العدل والخدمة الاجتماعية التي تبذل حسبة لله وابتغاء مرضاته :

« إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » ( الإنسان ) .

ثم انتقلت الدعوة إلى المدينة بعد جهاد ثبت قواعد الحرية والعدل « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، ليهيأ المجتمع الذي رغب بنفسه في قبول الإسلام

كنظام للدولة ، وبإيعاع على هذا مرتين للمسئولية التاريخية فكان التشريع القانوني الذي درجه الله وقسطه :

فرض الجهاد في السنوات الأولى من الهجرة : حماية للدعوة ، والمجتمع ورداً للمعتدين :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .  
فرض الله الزكاة وفرض أحكاماً عدة ثم فرض الله الحج في الأعوام الأخيرة للرسالة :

« والله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » ( آل عمران ) .  
وهي أحكام لا تتنافى مع سلوك موروث في المجتمع ، ومع هذا فقد خفف الله عن الأوائل حتى تنهياً نفوسهم بعد رسوخ العقيدة لتقبل شريعة الله بالهنية بعد الهنية ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .  
أما الأحكام التي لها صفة الجبرية لأنها تغير سلوكاً موروثاً فقد أخذت منهجاً خاصاً في عملية التدرج والتهيئة فالأساس العام الأكبر « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً » .

فالخمر : كانت عادة عالمية درج عليها جل المجتمع العربي مثل كينية المجتمعات العالمية التي اتخذتها شراباً مألوفاً ، فلما جاء الإسلام لم يهدف باديء ذي بدء لكسب تلك العادة التي تلغى عقل الإنسان الذي يعد في العرف المنطقي الميزان الفاصل بين الإنسانية في البشر ، والحيوانية في البهيم ، فانه مع غش آثار الخمر من وجهة نظر المنطق السوي لكرامة الإنسان كان من العسير على الأمزجة أن تتقبل دفعة واحدة تحريم الخمر ، رغم أن في التحريم تبجيلاً ، وتكريماً لمنزلة الإنسان ، ولكن الله رآف بالعباد فدرج في التدرج ؟ :

١ — فعندما سئل منها النبي ﷺ نزل الوحي يتلو :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس .  
( البقرة )

فقال الناس : قال الله فيها إثم ولم يقل حرام ؟ واستمروا .  
٢ - فلما خلط الناس صلاتهم بشرابهم ، قال عمر : اللهم أرنا بياناً في  
الخمر ؟ فأُنزل الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا  
ما تقولون » . ( النساء )

فامتنع بعضهم عنها بتاتاً ، وتناولها بعضهم في غير أوقات النهي الموضحة  
في الآية .

فتهيأت بذلك نفسية المجتمع كله للحكم الأخير .  
٣ - فأُنزل الله تعالى - في أواخر حياة التشريع بالمدينة .  
إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه  
لعلكم تفلحون . ( المائدة )

فانتهى المجتمع كله انتهاء تحميته تلقائية الرقابة الدينية التي مردها  
« اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وتزكيه النفس الراضية ،  
ويسعد به العقل الذي تبجل ، وتنشرح به الصدور التي استقر فيها الإيمان  
بالإرادة .

ومثل هذا من الأحكام التشريعية التي تغير تقاليد المجتمع القديمة : الزواج  
من زوجة الابن الدعوى ، فقد شب المجتمع على تقاليد أسرية لا تتفق مع  
مقررات الإسلام .

فالتبني قد ألغاه الإسلام :

« أدعوم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم » . ( الأحزاب )

فأبطل بذلك علاقة البنوة ، واستبدلها بعلاقة الإخوة الدينية التي هي كرم في نظر العقيدة والحق ، والأقوى في سياق التشريع إذ الأخوة الدينية أساس التضامن الإنساني في داخل التعاشر الاجتماعي :

« المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .  
« المسلم للمسلم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً » .

غير أن آثار ذلك الإلغاء يحتاج إلى تهيئة خاصة ، فاختر الله لهذه التهيئة أرقى أسرة في المجتمع الإسلامي تملك ضبط حدة إنفعالات التجربة التي تجابه نظاماً موروثاً منذ الآباء صار له حكم العادة الجبرية اللازمة فكان زواج زيد بن حارثة مولى سيدنا رسول الله ﷺ من ابنة عمه النبي ﷺ زينب بنت جحش :

( أ ) رفض أخوها عبد الله أولاً خطبة النبي ﷺ زينب لمولاه زيد حسب التقاليد الأسرية المتوارثة فنزل قوله تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » . ( الأحزاب )

فقال عبد الله : سمعنا وأطعنا يا رسول الله .

( ب ) وتزوج زيد من زينب ، وأخذت العلاقات الزوجية مستعواها الطبيعي من الود تارة والخلافات أخرى ، حتى شاء الله واحتدم النزاع ، وطلقت زينب .

( ج ) فأمر الله نبيه ﷺ أن يتزوجها إعلاناً بتشريع جديد يلغى أفك التقاليد القديمة . ( ولم يكن في الأمر شيء أكثر من ذلك ومن زاد فقد أجهت ) .

يقول الله تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً . »

وهكذا كانت حكمة الله جل شأنه اختيار الأسرة الأولى في المجتمع الإسلامي لتتحمل مسؤولية تغيير العادات التي دأب عليها المجتمع أحقاباً قديمة من الزمن لأنها وحدها التي تملك القدرة على ضبط إنفعالات التجربة القاسية .. وتزيدها أوامر الله شرفاً فترضخ لحكم الله بلا تفلسف ، إذ غيرها من الأسرات لا يقدر أن يواجه أحداث تجربة مهمتها تغيير عادة لازمت العقول ، وخالطت السلوك حتى صارت واحدة من فقه اللزوم الاجتماعي منذ مئات السنين وصارت ديناً وخلقاً وقانوناً .

ومع تلك الرحمة الإلهية في التشريع كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على تلقي العلم من رسول الله ﷺ ، وكان يكفي المحتاج منهم لحكم من الأحكام أن يسمع القرآن من النبي ﷺ فينتقه حاجته من التلاوة فالقرآن عربي ولسان الرجل عربي ، والذكاء العربي عربياً خالصاً على النطرة ، كما كانوا رضوان الله عليهم يستفسرون في كل ما يعن لهم ، ويتبعون الرسول في كل ما يروونه منه من فعل ، يروى القاضي عياض في شرحه لاشفاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعها عن يساره فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال : ما حملكم على إلقاء نعالكم ؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك ، فقال : إن جبريل أخبرني أن فيها قدراً . »

وهذا الاتباع الحمود كان للمسلمين في رسول الله أسوة حسنة فاتتبعوا بالإسلام ومكنوا لدين الله في دولة تحمي العدل وتحمي كرامة الإنسان من موت الجاهلية الأولى ؟

نائياً - في ظل الصحابة :

تحمل الصحابة من بعد النبي ﷺ موارث الدولة الإسلامية . . فاستعت رفعة الدولة ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فكان علي عاتقهم - وهم أمناء - أن يوضحوا للرعية أحكام الله ، وهم لذلك رأوا أن الحيلة في الحكم الشرعي تستلزم التثبت من نسبة رواية الحديث إلى النبي ﷺ فأخذت هذه الحيلة أسلوباً خاصاً حسب رأى وبصيرة الإمام رئيس الدولة :

١ - فسيدنا أبو بكر رضى الله عنه يراها مع الشاهد الآخر كما جاء في حديث توريث الجدة : ما كان يعلم أبو بكر رضى الله عنه أن لها شيئاً ثم استفتى الناس فروى المغيرة أنه سمع النبي ﷺ يعطيها السدس فطلب أبو بكر معه شاهداً فشهد معه محمد بن مسلمة ، فقويت نسبة الرواية إلى رسول الله ﷺ فأنفذه أبو بكر رضى الله عنه .

٢ - ومثل ذلك الصنيع من التثبت بالشاهد عمل سيدنا عمر رضى الله عنه إذ سلم عليه أبو موسى ثلاثاً فلم يجبه فرجع فسأله عمر : لم رجعت ؟ فروى أبو موسى حديثاً عن النبي ﷺ « إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجبه فليرجع » فطلب منه عمر بيته وإلا نكل به فذهب أبو موسى إلى أصحابه ممتنع اللون وسألهم الشاهد فأرسلوا معه من يشهد له بصحة الرواية .

٣ - وكان للإمام علي رضى الله عنه منهج خاص فقد كان يكتبني بالقسم يحفظ تاريخ السنة عنه كرم الله وجهه « وكان إذا حدثني غيره - يعنى غير النبي ﷺ استخلفته » .

مع هذا الجو من الرياسة الإسلامية الأمانة الواثقة في شخصية رئيسها كان الناس يستقون الأحكام من الصحابة رضوان الله عليهم وهم جميعاً عدول أعدل ما تكون العدالة ، وأمناء أدق ما تكون الأمانة بأيهم اقتدى الناس اهتدوا وفازوا .

ومن الملع ما يحمله التاريخ ويورثه للعلماء الذين احتسبوا أنفسهم للدعوة أن الفتوى في ظل الصحابة أخذت ثوباً فكرياً فريداً بالتعاون ، والعودة إلى الأدق في الحكم والاختلاف في الرأي لا يفسد وحدة الأمة فقد روى أن رجلاً قتلته امرأة أبيه و خليل لها فرغ الأمر إلى عمر ، وهو رئيس الدولة ، فتردد ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فعرض القضية على فقيه الدولة ومفتيها علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه وقال له : أرأيت لو كان فقراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم ؟ قال عمر : نعم ، فقال علي : فكذلك ، فعمل عمر برأيه فاقص من الكثير للواحد .

وإذا كانت هذه الفترة من التفكير تمتاز :

١ - بالحيطنة في الحكم الشرعى .

٢ - وبالحيطة في دليله .

٣ - وبالتعاون في الفتوى .

٤ - ففى كذلك تمتاز بمراجعة الفتوى والعدول عنها إذا بان أن الحق فى غير جانبها .

فقد رفعت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسألة فى الميراث تسمى ( المسألة المشتركة ) .

وهى التى مات فيها امرأة وتركت : زوجاً ، وأماً ، واخوة لأم ، واخوة أشقاء قسم عمر الميراث حسب الفروض المحكمة : للزوج النصف ، وللأم السدس ، وللأخوة للام الثلث ، وعلى ذلك فلم يبق للأخوة الأشقاء شىء من الميراث ، فقالوا لرئيس الدولة عمر : هب أن أبانا كان حجراً فى اليم ، ألسنا أبناء أم واحدة ؟ فعدل عمر عن فتواه وأشركهم فى الميراث .



وكان عمر دائماً يقول : لولا على لهلك عمر « وبهذا يرث العلماء في العصر الحديث هذه الموارث عساهم يقدموا لدين الله شيئاً من الواجب المقدس.

ثالثاً : بعد الفتح الإسلامي :

ومع اتساع الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا ، وشرقي آسيا وغيرها انتشر العلماء من الصحابة في الأمصار والبلاد التي حقق لها الإسلام آمالها في الحق والعدل والكرامة فألفت الناس حوالمهم ينهلون من فيوضات علمهم وأبجر فقههم ويسألون فيفتون فيعلمون بما انتفعوا به من الهدى فيحيون حياة الكرامة التي أرادها لهم الإسلام الحنيف .

- فكان في ( المدينة المنورة ) أبو هريرة . وأبو سعيد الخدري ، عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت .

- وكان في ( مكة ) عبدالله بن عباس .

- وكان في ( الكوفة ) عبد الله بن مسعود .

- وكان في ( البصرة ) أنس بن مالك .

- وكان في ( مصر ) عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب الصداقة .

- وكان ( في الشام ) معاذ بن جبل [ بعد انتهاء مدته في اليمن ] .

رضي الله عنهم جميعاً .

فحملوا للناس السنة ، وعلموا الناس فقه الإسلام كما تحملوه من رسول الله ﷺ وافتوا بما أطمأنت إليه النفس ووثقت فيه الذمة وأرضى الله ورسوله ونصح للأمة فكانت دولة الإسلام التي خلفها عهد ﷺ ما تزال في نورها الموحد وثقافتها الرفيعة التي ترطب كبد الحرية ، وتقوى أزر الصديق

وتوفر العدل للبشر جميعاً كما أمر الله وأرشد نبيه ، ووصى به القرآن والسنة  
والخلفاء الزاشدون من بعد .

وكان لهؤلاء الإساتذة والشيوخ الكبار تلاميذ وأبناء حملوا عنهم العلم  
والفتوى والفقه والفهم ، فانتقلت على أيديهم رسالة الدين يعلمون ، ويهذبون  
البشر فلما اختلط الفكر الإسلامي الصافي بالفكر البشرى القديم ذى الحضارة  
العتيقة واختلطت الأنساب والدماء ظهرت ثقافة جديدة خليط من ثقافة  
الكهوف التى احتفظت بها النفسيات اللاشعورية من أبناء القوميات العريقة  
فتميعت :

١ - عروبة الخاطر واللفظ السليقى وامتزجت الفكرة الإسلامية بخليط  
من الثقافات الأولى التى دخل أهلها فى دين الله أفواجا ، ومع حلاوة  
الإيمان استبقوا طلاء ثقافتهم الأولى فلم يستطيعوا الخلاص منها فقد استقرت  
فى الدم استقرار الموارث الأخلاقية والصفات .

٢ - كما خفت الرقابة الدينية، وهت العزائم ، وضار للدينيا طلاب ألهتهم  
حياتهم عن العمل والنقه ، وساعد على هذا اللهو ، ضعف القدرة المعرفية ،  
وبلادة الذوق والتذوق للقرآن ، والسنة ، بالإضافة إلى خليط العبث السياسى  
الذى منيت به الأمة وتميزت به أحقابا من الزمن ليست بالقليلة فى عمر البناء  
فأخذت العبادة المحل الثانى فى النفوس ، وصار الإسلام ملكاً عضوداً يحتاج  
ملكه إلى المؤازرة ، والتعضيد فصارت الإمامة للدينيا وجعل الدين تابعا  
ففسى الناس رسالة الحق وابتعدوا عن الدين روحاً وسلوكاً وهنا ألحت  
الظروف : الفكرية والسياسية ، والاجتماعية ، على وجود العبقرية العابدة  
الطاهرة الأمانة الزاهدة الجرئية ، لتدرك للناس الحكم الشرعى من أصوله  
الرئيسية : القرآن ، والسنة الصحيحة ، بعد أن عالج الناس سوء الحياة  
فنجوا فى أخطارها وولغوا فى طهر المياه بما اخترعوه بهتاناً فأفسدوا حقائق

العلم، أتى يرتوى بها فكان ذلك مبدأ فجر جديد صادق لاتجاهات الفقه الإسلامي  
بذل فيها الأمانة الصادقون النصيحة لله ورسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم  
أقصى الجهد لتقديم الحكم الشرعي :

-- ثابت الدليل .

-- مؤسساً على الحجة .

ليأخذ الناس أحكام الشريعة من مدارك الفقهاء الذين وظفوا أنفسهم  
في سبيل الله لا من أجل دنيا أو جاه أو رزق بل ابتغاء مرضاة الله وخدمة  
للدين الحنيف وتأييداً للواجب ورعاية للمجتمع الإسلامي الذي يجب له النصيح  
والتوجيه على سنة الله ورسوله .

وفي خلال عملية إدراك الحكم الشرعي من مصادره الأصلية أخذت  
الوسائل عدة أنواع : تعددت وتنوعت عند العلماء الكبار بناء على ظروف  
العصر ومقتضيات الفكر في المنطقة .

« فالإمام أبو حنيفة رضى الله عنه في العراق يسند دليل النقل برأى  
العقل لأن البلد الذى هو فيه بلد حضارة مارسوا الأدب والنقاش والتفكير  
والذين تمرنوا على هذا الأسلوب يعوزهم في إدراك الحكم وتقبله إدراك العلة  
العقلية ليتسق مع الوجدان اقتناع العقل .

« والإمام مالك رضى الله عنه في المدينة المنورة يحترم عمل أهل المدينة  
كواحد من وسائل استنباط الحكم الفقهي لأنهم المخالطون العارفون الأقربون  
من سنة النبي ﷺ .

« والإمامان الشافعي وابن حنبل رضوان الله عليهما في الحجاز بلد  
الحديث ومواطن الدعوة يشدون أيديهم على السنة لأن المجتمع مجتمع مولد

الرسالة فتح عينيه القانونية والثقافية على نور النبوة لاغير ومن قبل كانت  
أمة أمية .

والكل ملتزم في عملية الاجتهاد والاستنباط بأصول التشريع : القرآن  
والسنة والإضافات في الوسائل التي بها يدرك الحكم إنما اقتضتها ظروف البلد  
دفاعاً عن الدين لاحقاً في هوى ، ولا أساساً للاختلاف بين الناس ، ولا مساحة  
في هذا الاختيار ولا يمكن لأحد أن يطعن فالأئمة في مركز من الطهر لم يبلغه  
واحد من علماء العصر الحديث : هم أرادوها لله ، ونحن نريدها للدنيا . وهم  
أحاطوا بالأصول ونحن مازلنا نحبوا في روضتهم وبعده لم نبلغ الدرجة  
الصغرى .

وفي خلال العمليات الأدراكية الاستنباطية للحكم الشرعي ظهرت قواعد  
ضبط إدراك الحكم الشرعي الفقهي التي جعلت منهجاً للعلماء في عملية الاجتهاد  
والتي أشتهرت في العلم بين الناس بأنها علم ( أصول الفقه ) .  
وإذن :

فأسس التشريع الإسلامي : القرآن ، والسنة الإسلامية الصحيحة وطريقة  
الاجتهاد : هي : عملية إدراك الحكم الشرعي القائمة على شروط خاصة  
في المجتهد .

وآلات الاجتهاد : هي : الإجماع ، والقياس بالإتفاق غالباً ، وزيادات  
تخضع لظروف بلد الإمام : مثل : عمل أهل المدينة ، والاستحسان والمصالح  
المرسلة ... إلخ .

وعلى هذا النمط عرف الفكر الإنساني :

منهج العلماء في ضبط إدراك الحكم الشرعي حتى شهد الخصوم لعلماء  
الإسلام بالسند المتصل ، وبفضلهم في تحمل الأمانة العالمية .

(ب) حول تدوين منهج العلماء في إدراك الحكم الشرعي

أولا : المبدأ :

الأحكام الفقهية :

هي نتائج البحوث المكتسبة من الأدلة التي فصلت هذه الأحكام ، والبحث للوصول إلى هذه الأحكام له أصول : هي مصادر إستندت الأحكام إليها وهذه المصادر هي :

القرآن ، والسنة

وعملية البحث لاكتساب هذه الأحكام الفقهية من مصادرها الأصلية هي الطاقات الفكرية الأمانة التي بذلت خدمة لدين الله للتعرف على هذه الأحكام رعاية لسلك المجتمع على شريعة الله ، وآلات البحث الكاشفة عن هذه الأحكام التي تستخدم في عملية البحث : إما أن تكون الإجماع ، أو القياس ، أو أنواع أخرى من آلات الإستدلال التي أقرها العلماء أو وثق فيها الإمام المجتهد .

والأحكام الفقهية بهذا المعنى متأخرة في مولدها عن عصر النبوة والصحابة .

إذ في الصدر الأول لم يكن المسلم في حاجة للحصول على حكم شرعي أكثر من الرجوع إلى النبي ﷺ ، أو أن يسمع القرآن ، فيفهم المراد ، أو يبلغه الحديث فيمكنه العلم بالسند ليدرك مبلغ صلة الحديث بالنبي ﷺ لقرب الزمان ، ووضوح الأحوال ، وشدة الرقابة الدينية في النفوس .

وقد سمح رسول الله ﷺ للمبعوثين من قبله إلى المسلمين في البلاد البعيدة أن يفتوا بما أطمأنت إليه نفوسهم على نحو ما هو مشهور في حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، حين ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه سيقضى بين الناس بما في القرآن فان لم يجد فيما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان لم يجد فسيجتهد ولا يقصر ، فان إدراك المعاني من ألفاظها ، وإستنباط الحكم من أدلته ، ومراعاة الروح الإسلامية في بناء الدولة وإقامة العدل ، جبلة في نفوس الصدر الأول اشرفت بها الصدور إشراقه الخلاوة بالعقيدة فكانوا على نور وهدى من الله ، ومن يهدى الله فهو المهتد .

### ثانياً : المولد :

فلما انقرض السلف ، وانقلبت العلوم صناعة ، وإختلطت المذاهب ، وضعف الفكر ووهيت القرينة وصار العلم مستورداً بمشاغل الدنيا وأقبل الناس على الحياة يلهون ، وأحدثت فتن كالليل المظلم ، ولدت اضطرابات في المرويات ، وأدخلت الهوى المتبع على الحق الأبلج حتى تشككت الأحوال ، فاضطر الناس إلى قواعد تعصم إدراك الحكم الشرعى من مظنة الخطأ فعمد إلى ذلك الفقهاء فزجوا الحكم بقاعدته فنشأ عن ذلك أسلوب فقهي ممزوج بجم من قواعد الأستنباط ، يضبط كل أمام بهذه القواعد إدراك الحكم الشرعى غلى قدر بصيرته وغاية جهده :

- فكتب الإمام أبو يوسف ، وصاحبه الإمام محمد بن الحسن الشيباني جملة من تلك القواعد .

— وأشار إلى قدر منها في موطأ الإمام مالك بن أنس .

فكانت تلك الكتابات المبدئية المختلطة بالفقه مرحلة المولد لعلم أصول الفقه الإسلامى من غير أن يكون له الاسم الرسمى المشهور به حالياً ، أوله كتاب خاص بقضاياها وحده .

### ثالثاً : النمو :

فلما كان الإمام الثبت محمد بن أدریس الشافعى رضى الله عنه تطور به

المولد إلى علم مستقل كامل أملمته ظروف الحياة في ذلك العصر الذي هاجم فيه الملاحدة كتب السنة، وأسرف المشرفون بالكلام في موضوعات تفاضل بين تقديم القياس على خبر الواحد . . . الخ

فانبرى لهم الإمام الشافعي كمنافح عن مصادر التشريع الإسلامي ومدافع عن حياض السنة ، وينايع الثقافة الإسلامية ، ووسائل إدراك الحكم الشرعي فان الشريعة الإسلامية شريعة الحياة مدى الأجيال البشرية ، والأزمان كلها ، وجوهر علميتها ، ولما استمرارها هو: القرآن والسنة ، وغلاف هذا الجوهر هو: ضوابط إدراك الحكم الشرعي التي تضمن للتشريع الإسلامي السلامة من اتباع الزيغ ، وشطط الأهواء في عملية الاجتهاد . فيتبع الناس باسم الحق أهواء الضلالة والذين يضلون . . . فيتدرب المجتمع على وجود الشمس وهي في كبد السماء .

فجمع الله بجهود الشافعي مدخرات الأولين من العلماء ، وصنف فيه المراجع العلمية الأمانة وسماه « أصول الفقه الإسلامي » فكان بدء إزدهار التصنيف والكتابة في هذا العلم الذي يمنع الله به ضلالة الفسك عن الصراط المستقيم ، لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ؟ .

وأول ما وصل إلى الفكر الإسلامي من مادة علم أصول الفقه هو مادونه الإمام الشافعي ومن قبل كانت المادة مجموعة من القواعد منشور في ثنايا قضايا أحكام الفقه على أنها أدلة إدراكها ليلج منها المسلم أصل الحكم الشرعي فجزاه الله وجزى معه السابقين من أئمتنا خير الجزاء على ما قدموه من علم يجرس الله به مستقبل شريعته وينفع به من يشاء من عباده السالكين إليه طريق الحجية البيضاء .

رابعاً : من ثمار النمو :

ثم افتتح باب التدوين والكتابة في علم الأصول حتى كانت له ثمار جمة الأنواع والتصانيف كان في مقدمتها :

١ — رسالة الإمام الشافعي التي تكلم فيها عن القرآن ، وعن السنة ومنزلتها من القرآن وتكلم عن النسخ والمنسوخ ، وعن علل الحديث والإجماع ، والقياس ، وخبر الواحد . .

٢ — ومن بعده تنابع المناخون عن الشريعة : فكتب الإمام أحمد بن حنبل في موضوعات أصول الفقه ثلاثة كتبه : كتاب طاعة الرسول ﷺ وكتاب النسخ والمنسوخ وكتاب العلل .

٣ — ثم انهم سبيل الفسك : فكتب علماء الأحناف وأطبوا في الكتابة والتحقيق بمنهج خاص لهم .

وكتب معهم علماء علم الكلام وعمدوا إلى تحقيق المسائل الأصولية بمنهج خاص لهم فورث الفكر الإسلامي منهجين :

### المنهجان :

#### ( أ ) أما الفقهاء :

فقد تناولوا قضايا أصول الفقه بالشرح والتحليل المبني على الاشتهاد من قضايا الفقه كتطبيق عملي للقاعدة مع فرعها المنبثق منها ، فهم يذكرون القواعد الأصولية أولاً ثم يأتون بأصل الدليل من مصدره الأيمن : القرآن والسنة ، ثم يفسرون كيفية إدراك وإستخراج وإستنباط الحكم الفقهي من دليله الأصلي بناء على قاعدة الأصولية .

#### ( ب ) أما المتكلمون :

فقد ارتفعوا بقضايا الأصول عن موطن التطبيق ، فبحثوا قضايا مجردة عن الفروع الفقهية مكتفين بالاستدلالات العقلية ، والبرهنة الفكرية .



٤ - ومن موارث ائمتنا ، وكتنايج لطريق المنهجين سلك العلماء فيما بعد طريقة التألف :

( ا ) فعلى طريقة الفقهاء كتب جمع من علماء الأحناف منهم :

- أبو بكر الرازي المتوفى سنة سنة ٣٠٧ هـ .

- أبو زيد البدسي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

- شمس الأئمة السرخسي المتوفى ٤٣٨ هـ .

- نضر الإسلام البزدوي المتوفى سنة ٤٨٢ هـ .

( ب ) وعلى طريقة المتكلمين كتب جمهرة من علماء الشافعية ، منهم :

- أبو الحسين البصري المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ( كتاب المعتمد ) .

- أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ( كتاب البرهان ) .

- أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ( كتاب المستصفي ) .

خامساً : مرحلة التهود والتعقيد :

لم يكن علم أصول الفقه مادة علمية هدفها ذاتها ؟ نعم الفقه مادته من حيث هو علم الأحكام السلوكية التي تبين للناس الطريق السوي إلى الله ولكن أصول الفقه ليس بهذه المثابة ، بل هو قواعد وآلات تسعف المجتهد في إدراك الحكم الشرعي من مصدريه الأساسيين : القرآن والسنة .

إنه في أدق مدارك : منهج الإمام المجتهد، وهو وحده الذي يملك أن يقرر القواعد الأصولية التي يحاجج بها ، يزيد أو ينقص منها ، ذلك لأنه هو وحده المسئول أمام الله عن نتائج بحثه التي يترتب عليها عبادة الناس لله رب العالمين ، فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ومعنى هذا : أن الخلف غير المجتهدين إنما حظهم من أصول الفقه النظر في قواعد الاجتهاد ووسائله هو التعلم ، وإدراك الدقة العلمية التي ضبط بها العلماء الأول عملية الاستنباط ليحصل من التابعين لهم التبجيل وفاء لما بذلوه لوجه الله من جهد هو عليهم ضريبة ، ولهم من الله منحة ، دون أن يزيد الإلتباع فيه شيئاً بالتقرير أو بالحاشية ، إذ رأى غير الإمام في قواعد الأصول ليس بذى معنى وليس بذى غاية .

وإذا تجاوزنا نحن الإلتباع حد هذا الحق إلى الزيادة أو الأختزال ، أو الأختصار فقد عقدنا الأمور ، وصعبنا السهل ، وأظلمنا النير دون ما فائدة أو حسنة ، وذلك هو مامنيت به دراسات أصول الفقه التي هي في جوهرها « منهج المجتهد في أستنباط الحكم الشرعى » ولكن الخلف من بعد الرعيل المجاهد تدخلوا بالرأى : تقريراً ، وتحشية وتخطئة وتصويباً ... إلخ فأطالوا في شرح المختصرات ، واختصروا شروح المطولات وجمعوا الكتب في مختصر ، آخر حتى خفيت المعاني بين أحجار العبارات التي عجت بها — في غير تسلسل وأنسياب — كتب الأقدمين .

وكان ذلك نتيجة للمرض الفكرى الذى أصيب به الشرق الإسلامى بعد الانتكاسات السياسية ، والاجتماعية ، التي أعيت الفكر ، وأذبلت العزيمة ، وأضعفت الإرادة ، وثبطت الهمة .

فكان من محاصيلها مجموعة من المختصرات ، والمجموعات لما سبق من التصانيف والتآليف ومن بين ذلك :

- ١ - اختصر النسفى م ٧٩٠ هـ كتاب نحر الإسلام البزدوى م ٤٨٢ هـ .
- ٢ - واختصر صدر الشريعة م ٧٤٧ هـ كتاب البزدوى ، وكتاب ابن الحاجب في كتاب واحد سماه «التنقيح» ثم شرحه هو بكتاب سماه «التوضيح»
- ٣ - واختصر الرازى م ٦٠٦ هـ ثلاثة كتب في كتاب واحد :

الكتب الثلاثة هي :

البرهان لإمام الحرمين « الجويني » .

المعتمد لأبي الحسين البصرى .

المستصفي للإمام الغزالي .

وسمى هذا المختصر من هذه الكتب الثلاثة « المحصول » .

ثم جاء من بعد ذلك مجدد بن الحسن الأرموى م ٦٥٦ هـ فاختصر المحصول في كتاب سماه « الحاصل » .

ثم جاء من بعده القاضى عبد الله البيضاوى م ٦٥٨ هـ فاختصر الحاصل في كتاب سماه « المنهاج » .

فأنظر كيف تختصر ثلاثة كتب في كتاب واحد ، ثم يختصر الكتاب الواحد هذا في كتاب آخر ، ثم يختصر هذا الأخير في كتاب آخر ؟ .

كيف يفى مختصر المختصر من المختصر الأولى بمراد واحد من الكتب الثلاث بله كلها أجمع ؟ .

يعنى : كيف يفى المنهاج الذى اختصره القاضى البيضاوى من الحاصل الذى اختصره الأرموى ، الذى هو مختصر من المحصول الذى هو مختصر من الكتب الثلاثة الكبرى : المعتمد ، البرهان ، المستصفي ؟ .

وعلى نفس الطريقة يابنخص سيف الدين الآمدى م ٦٤١ هـ الكتب الثلاثة السالفة في كتاب سماه « الأحكام في أصول الأحكام » .

ثم يأتي ابن الحاجب المالكي م ٦٤٥ هـ ويختصر كتاب الآمدى في كتاب سماه منتهى الوصول ، ثم اختصره هو بنفسه مرة ثانية في كتاب سماه « مختصر المنتهى » .

وتختتم الحلقة بمختصر تاج الدين السبكي م ٧٧١ هـ الذي سماه « جمع الجوامع المشهور بالتعقيد والصعوبة وحفاء المعنى في بطون أمهات الكتب التي جمع منها وهي : كما يقول هو - تزيد على السبعين كتاباً » .

وبهذه المرحلة يتجمد البحث في علم أصول الفقه الإسلامي اللهم إلا رسائل جديدة في بعض قضاياها ألفت على نمط الإحصائيات التاريخية أو على نمط التفلسف والتبحر في بعض قضاياها .

وآخر أبحاث موضوعية معاصرة قدمها فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ الفاضل بن عاشور إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في المؤتمر الأول لعلماء المجمع في عام ١٩٦٤ م وكذلك أبحاث قدمها لقيف من كبار العلماء منهم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن الوكيل السابق لمشيخة الجامع الأزهر وفضيلة الشيخ الوزير السابق محمد فرج السنهوري .

على بدء نعود :

وظينمتنا هنا هي أن نعود بعلم الأصول إلى غايته حتى نقف على أسس البحث الفقهي عند السابقين من أئمتنا فنشرحها كما أحققها الأئمة على أنها قواعد منهج تضبط عملية استنباط الحكم الشرعي دون ما زيادة منا أو تعمي « حشرجي » أو اتباع لمن زاد وأطنب .

أما من وهب الله طهرًا في القلب ، وإخلاصًا في النية ، وعلماً واسعاً بالقرآن والسنة وصبح منه العزم ، ورجب في الله ورسوله وجهاد في سبيلها فليتبوأ مقاليد هذه الخطوة وليضف للقواعد ما أطمأنت إليه نفسه حتى ينافح عن الدين بالسلطان والخبرة والعلم والحكمة فإن النبي ﷺ قد تفاءل لهذه الأمة أن يحيا فيها طائفة تجدد الدين للناس وتمحي الشريعة من البلاء

لننمى بقول صلى الله عليه وسلم « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له يبنون عنه تحريف  
الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

وهو وصل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أن الأمر دين يمان وواجب يؤدى فمن استأنس واستبرأ عرضه ودينه  
فليخضها على بركة الله فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر ،  
ولكل درجة .

## الاجتهاد والافتاء

مفهومه وضرورته

من خصائص الشريعة الإسلامية أنها عامة شاملة سرمدية لأنها أحكام الله التي تحقق للإنسان سعاده في الدنيا والآخرة .

وسرمدية الشريعة وصلاحتها للزمان والمكان مرتبط بالخاق جزئيات الأحكام المستحدثة بكلياتها العامة المتعاقبة بأصول التعاشر الإنساني : العقل ، والنفس ، والمال ، والنسل ، والعرض . ومركز ذلك هو : الاجتهاد .

والاجتهاد : هو تفويض في السلطة التشريعية من صاحب الحق المطاق فيها وهو الله ورسوله :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسولنا واتقوا الله إن الله سميع عليم » (١) .

وقد نفى الإسلام أن تكون هناك أدنى سلطة بعد ذلك فيما يتعاقب بتشريع الأحكام.

قال ابن عباس : إن أهل الجاهلية كانوا يجرهون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها فأنزل الله : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً ، قل الله أذن لكم ، أم على الله تفترون » (٥٩ يونس) (٢) .

---

( ١ ) الحجرات .

( ٢ ) تفسير الطبري ج ١١ ص ١٢٧ .

وفي تفسير ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد والضحاك . . نزلت إنكاراً  
على المشركين فيما كانوا يملون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل<sup>(١)</sup> .

فالقرآن الكريم ينكر على المشركين أن يتدخلوا بعقولهم في عملية التشريع  
لأن العباد جزء من ملكوت الله. وكل ما في الملكوت يجري على سنن أودعها  
الله وفوائدها فيها في الكون ، والإنسان كواحد من هذا الملكوت ليس له الحق  
في أن يخرج على قانون الله : « لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل  
سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . ( يس ٤٠ )

فكذلك الإنسان ينبغي أن يسير على قانون الله الذي شرعه الله له .

وَمصدر سلطة الحكم الشرعي هو الله ورسوله يقول الله تعالى :

« فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله  
واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » . ( النساء ٥٩ )

« وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم  
جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » .  
( النساء ٦٤ )

ذلك هو الأصل في السلطة التشريعية : الله ورسوله .

ولما كانت الأمة الإسلامية قد ورنّت شرف تبليغ الدعوة الإسلامية وحماية  
الدولة الإسلامية حسبما أمرت في كتاب الله تعالى :

« فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » .  
( الأنعام )

---

( ١ ) نظري ج ٢ ص ٤٢١ .

« ثم أورتنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا . » ( فاطر )

فقد أذن الله لجماعة الحل والعقد وهم العلماء والمنتقمون في دين الله أن يبحثوا بجهد جهيد مع الإخلاص والحرص والورع على أن يكون ربط الحزم الحادث لحكم ما بكلية العامة على نحو مما يرضى عنه الله ورسوله .

وإذا استعرضنا تاريخ الاجتهاد وقفنا على خاصية فريدة للأمة الإسلامية وهي :

أن الاجتهاد ليس تصيداً للحكم لإرضاء شهوة وليس تساطاً على الناس لضياح حق ، ولكنه تهيئة فرصة ليعبد الناس ربهم بحكم صحيح وإقامة العدل الذي يرضى الله عنه .

وفي سبيل ذلك كان الاجتهاد له صبغة العمل العلمي التعاوني .

فقد روى أن رجلاً قتلته امرأة أبيه وخليل لها فرفع الأمر إلى عمر بن الخطاب وهو عندئذ رئيس الدولة فتردد هل يقتل الكثير بالواحد ... ؟

تلك حادثة جديدة فاعدهتها الكلية : « ولكم في القصاص حياة » .

فعرض سيدنا عمر رضى الله عنه القضية على فقيه الدولة ومنتقها سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه فقال له :

« رأيت لو كان نقرأ اشتركوأ في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم ؟

قال عمر : نعم .

قال على : فكذلك .

فعمل عمر بفتوى على فاقتص للواحد من الكثير .

ومثلها المسألة المشتركة وهي التي مات فيها امرأة وتركت زوجاً : وأما : وإخوة لأم : وإخوة أشقاء : فقسم عمر الميراث حسب الفروض المحكمة :



للزوج : النصف .

وللأم : السدس .

والاخوة من الأم : الثلث .

فلم يبق بعد ذلك للاخوة الأشقاء شيء فقالوا : يا عمر : هب أن أبانا كان حجراً في اليم ألسنا أبناء أم واحدة فعدل عمر عن فتواه وأشركهم في الميراث<sup>(١)</sup> .

ومن هنا يظهر أن الاجتهاد هو بذل أقصى الجهد لاستنباط حكم شرعى أو تطبيقه لهدف هو أن يرتبط سلوك المسلمين دائماً بأصول الشرع الإسلامى الخفيف فليس الاجتهاد للخروج من حكم فيه مشقة حسب ظروف عصر ما أو مكان ما إلى حكم يتخيل أنه جائز الاجتهاد لأنه أخف الضررين .

والاجتهاد قسمان :

١ — اجتهاد فى استنباط الأحكام من مصادرها الأولى : القرآن والسنة والإجماع .

٢ — اجتهاد فى تطبيق الأحكام الشرعية والمحافظة على سلامة المجتمع من قانون دخیل یغیر سلوك المسلمين إلى نظام آخر .

والمجتهد هو العالم المسلم الورع المستجمع صفات الاجتهاد وهي :

١ — العلم بالعربية لأنها لغة القرآن .

وقد قال الإمام الغزالي فى تحديد القدر الكافى للاجتهاد إنه القدر الذى يفهم به خطاب العرب وعاداتهم فى الاستعمال حتى يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله ومجازه .

---

(١) راجع حاشية البنائى ج ٢ ص ٣٨٣ .

٢ — العلم بالقرآن وأسباب نزوله وآيات الأحكام والنسخ والمنسوخ ،  
وقد اشترط الشافعي - رحمه الله تعالى - ورضى الله عنه حفظ القرآن كله  
واستيعاب معانيه .

٣ — العلم بالسنة الإسلامية : القولية والنقلية والتقريرية .

٤ — معرفة المسائل التي حظيت بالإجماع من العلماء السابقين .

٥ — معرفة القياس وأوجه طرائقه لأنه وسيلة الاجتهاد في استنباط الحكم  
أو في تطبيقه .

٦ — معرفة المناهج التي سلكها السلف الصالح .

٧ - معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية وإدراك الفرق بين موضع  
يكون أخف الضررين هو الأليق بالفتوى وبين موضع يكون فيه صيانة  
الحكم هي الأوفق .

٨ — صحة الفهم وحسن التقدير .

٩ — سلامة النية وسلامة الاعتقاد .

١٠ — أن يكون للمسألة نصيب من عرضها للاجتهاد فيها .

١١ — لا يكون الاجتهاد لإرضاء حاكم في مسألة يراد زجها في العادات  
والتقاليد الإسلامية .

متى يكون الاجتهاد ؟ :

١ — يكون الاجتهاد واجبا على العلماء الذين توفر فيهم شروط الاجتهاد  
إذا وقعت حادثة ناشئة عن علاقات المسلمين في مجتمعاتهم ولم يكن لها حكم  
معروف وهي مسألة يخاف فواتها .

٢ -- ويكون كنفائياً إذا كانت الحادثة لا يخاف فواتها .

٣ --- الندب لمن شاء أن يستخرج الأحكام من قواعدها رغبة في خدمة الدين والأمة الإسلامية .

### محل الاجتهاد :

والاجتهاد بشروطه ومواصفاته له محل خاص بعيداً عن :

كل نص قطعي من القرآن أو من السنة .

وكل حكم فيه إجماع منقول عن السلف الصالح .

ومعنى ذلك أن محل الاجتهاد هو استنباط حكم المسألة المستحدثة من السلوك الإسلامي في المجتمع الإسلامي وليس لها حكم معروف .

« قال أبو إسحق الشيرازي » :

ما لا يسوغ فيه الاجتهاد علي ضربين :

أحدهما : ما علم من دين الرسول ﷺ ضرورة بأن تشترك في معرفته الخواص والعوام من غير قبول في التشكيك كالصلاوات والزكوات .

والثاني : كالأحكام التي تثبت بإجماع الصحابة وفقهاء الأمصار<sup>(١)</sup> .

إذن فالاجتهاد هو وسيلة استمرار الشريعة في إصلاحها الزمان والمكان ،

وهو واجب العلماء لحماية المجتمع الإسلامي عند تطبيق الشريعة ، وحماية

الشريعة من الاعتداء عليها وهو خاصية هذه الأمة قال الله تعالى :

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رده إلى الرسول

وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم ولولا فضل الله عليكم

ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » . (٨٣ النساء)

(١) نزهة المشتاق شرح اللمع للشيرازي ص ٨٠٣ ' ٨٠٤ .

ولهذا وجبت الحيطة والحذر في استخراج الحكم ولهذا قال النبي ﷺ :

( أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار ) . رواه الدارمي مراسلاً .

قال العلقمي : لأن المفتي موقع عن الله حكمه من حلال وحرام وصحة وفساد فان لم يكن عالماً بما أفتى به أو تهاون في استنباطه من الأدلة إن كان مجتهداً كان إقدامه على ذلك سبباً لدخوله النار « (١) » .

### الإفتاء والاجتهاد :

الإفتاء نوع من الاجتهاد ولكنه أدق لأنه تحمل مسؤولية تحديد الحكم لمسألة معينة بذاتها ، ولهذا شدد العلماء في شروط المفتي وقد ذكرها الإمام أحمد بن حنبل في خمس خصائص :

- أن يكون له نية ليكون عليه نور والمراد الإخلاص لوجه الله .

- أن يكون عليه وقار وله سكينة .

- أن يكون قوياً قادراً على ما هو فيه وعلى معرفته .

- الكتابة والفقہ .

- معرفة أحوال الناس .

وقد ذكر العلماء أن عمل المفتي دائر بين ثلاث مسائل :

( أ ) ألا يختار قولاً متهافتاً في دليبه .

( ب ) أن يكون حسن القصد في كل ما يختاره .

( ج ) أن يكون في فتواه مصلحاً لحال المسلمين وشؤون دينهم .

ولهذا ألزموه :

( أ ) بأن يردف القول بدليبه .

---

( ١ ) السراج المنير شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٥٠ .

( ب ) وألا يتخير المذهب الأضعف .

( ج ) وألا يخرج عن المجمع عليه .

( د ) وألا يتبع هوى الناس .

( هـ ) وأن يأخذ هو بما يفتى به فلا يبيح أشياء لنفسه دون الناس فإن فعل سقطت عدالته<sup>(١)</sup> .

### اختيار المفتي :

يقول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

والرجل العامى مكلف بأحكام الشريعة وهذا التكليف يلزمه بالتعرف على أحكامها ولهذا فقد أجمع الصحابة على إفتاء العوام وعدم تكليفهم بالاجتهاد . غير أن العامى لا ينبغي أن يسأل من العلماء إلا من عرف بالتقوى والورع والصلاح ثم بالفقه والذكاء والعدالة وقد اختار الغزالي إلزام العامى باتباع أفضل العلماء ديناً وفهماً .

وللمفتي أن يفتى العامى بغير مذهبه إذا كان ملماً بما أخذ أحكام المذهب الآخر . لأن العامى غير ملتزم باتباع مذهب معين . إنما مذهب العامى هو مذهب مفتيه<sup>(٢)</sup> .

ذلك هو مفهوم الاجتهاد : « بذل أقصى ما في وسع العالم الورع لاستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأولى القرآن والسنة أو المحافظة على تطبيق الشريعة صيانة لدين الله والمجتمع الإسلامى .

وضرورة الاجتهاد لاستمرار الشريعة الإسلامية في أداء رسالتها تصون الناس من عبث البشر وتعطيهم فرصة العبادة الصحيحة لله ولربط سلوك المسلمين

( ١ ) راجع أصول الفقه فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٠١ .

( ٢ ) أصول الفقه المحضرى بك ص ٣٨٣ ٣٨٤ .

في المستقبل بطريق السلف الصالح الذي تحمل شرف اللقاء بهذا الوحي الصادق الأمين . وإن تبعنا اليوم لهدى أخطر من كل خطر في الوجود الإنساني لأن حياة المسلمين إما أن تتبع الجوارباني الذي يرضاه الله ورسوله وإما أن تتخاذل وتندesh بما للشيطان من أفانين وزينات فتتحرف عن سواء السبيل .

وإن الأمل كبير أن يكون العلماء دائماً على استعداد لإعطاء الدليل على عن أنهم علماء أفضل أمة هي أمة القرآن الكريم .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأهرون بالمعروف وتنهون عن المنكر  
وتؤمنون بالله » .  
( آل عمران ١١٠ )

والله يوفق ويهدي إلى سواء السبيل والسلام .

## تحديد النسل والتنمية الاقتصادية

\* (والارض مددناها وألتينا فيها  
رواسى وأنبتنا فيها من كل  
شئ موزون

\* وجعلنا لكم فيها معاش ومن  
لستم له برازقين

\* وان من شئ الا عندنا خزائنه  
وما ننزله الا بقدر معلوم « .

١٩ - ٢١ الحجر





تجتاح الأمة العربية والأمة الإسلامية موجة «عارمة» من الدعاية لتحديد النسل وقد تتطور هذه الموجة من دعوة للإصلاح إلى واجب قومي يجعل في مستوى رفيع من مستويات أهداف الدولة العليا ، ومن يدري لعل هذا التطور ربما يصل إلى درجة التجريم أو الخيانة العظمى ، فقد خرجت أصوات تنادى بعقاب من يزيد في نسله عن ثلاثة كحد أعلى .

ولقد إنجرف في هذا التيار جماعة من بعض العلماء وشقشقوا ألقاظهم جرياً وراء براعة عليا في صياغة التتوى ، أو مظنة أنهم يحاولون الهرب من المسؤولية الدينية التي إستقرت في سويداء قلوبهم كعلماء مسعواين عن الحق والعدل الدينى فقالوا أنه تنظيم للنسل وليس تمهيداً ...!!

ومن المعلوم المعروف أن دعوة تحديد النسل أو تنظيم النسل مرض خبيث نقل من الفكر الأوربى الذى يسيطر عليه : الدهاء الصهيونى ، والحقد الصايبي وأصبح الوطن العربى والإسلامى مريضاً بهذا الداء الويل الذى غاف في ثوب اقتصادى مستغلا الظروف الاستثنائية في الوطن العربى والإسلامى ، والتي هى من أفعاله ومكره وإستعماره الطويل وكراهيته للعرب والإسلام .

وهادام الغرب الصهيونى الصليبي يحتتمى خلف ساتر اقتصادى في نشر ميكروب تحديد النسل فانه لمن أيسر السبل وأقصر الطرق أن نعالج قضية إرتباط التنمية الاقتصادية : صناعة أو زراعة أو تجارة بالقوى البشرية زيادة أو نقصا من خلال الظواهر التاريخية التي يحتفظ بها تاريخ أوروبا الاقتصادية .

ثم نوضح في إيجاز موجز عوامل الفقر في العالم العربى والإسلامى .

ثم نقرر الحكم الشرعى في قضية تحديد النسل أو تنظيمه من خلال النصوص الرئيسية للشريعة وهى : القرآن الكريم والسنة المطهرة .

أولا : حاجة التنمية إلى الأيدي العاملة .

\* في حكاية تاريخ أوروبا الاقتصادية ظواهر واضحة تدل على أن الأيدي العاملة هي عصب التنمية الاقتصادية . فعندما قسم العلماء مراحل التطور الاقتصادي الأوربي في العصور الوسطى قالوا :

يمكن تقسيم التطور الاقتصادي في العصور الوسطى الأوربية إلى أربع مراحل :

المرحلة الأولى : بين القرنين الخامس والسابع الميلادى حيث شهدت أوروبا هجرة واسعة استفادت البلاد منها إقتصاديا حيث استغلت الأراضى فى الزراعة ونشطت الصناعة فلولا زيادة عدد السكان عن طريق الهجرة ماتم لأوروبا استغلال أراضها المعطلة بدليل أن :

المرحلة الثانية : كانت مرحلة توقف فى العمل الاقتصادي بسبب الاضطرابات التى إجتاحت أوروبا من جراء الحروب الإسلامية فى القرن السابع الميلادى التى وجهت إلى بلاد أوروبا فراحوا يدافعون عن بلادهم أو يهربون من أوطانهم خوفا من الحرب .

المرحلة الثالثة : فلما ضعف المسلمون وصار أمرهم فى القرن الحادى عشر إلى الرابع عشر تحت سيطرة الحروب الصليبية تقدم الاقتصادي الأوربي فاستصلحت مساحات واسعة من الأراضى البور ، واتسعت التجارة ، حتى بلغ ذروته فى الفترة من ١١٥٠ م إلى ١٣٥٠ م .

المرحلة الرابعة : لكن لما قلت الأيدي العاملة بسبب إنتشار وباء الطاعون الأسود ، وكثرت الحروب أواخر القرن الرابع عشر إنكشبت التنمية وارتفعت الأجر وكثرت الضرائب ، ففشست المجاعات .

فالأقتصاديون فى تأريخهم لاقتصاد أوروبا فى مرحلة القرون الوسطى

يعلنون ظاهرة بينة في التنمية الاقتصادية هي: أن الأيدي العاملة هي العصب الأصيل في النمو الاقتصادي طرداً وعكساً .

\* ولم تتغير هذه الظاهرة في مرحلتى التطور الاقتصادي وأعنى بهما :

— مرحلة التجهيز ١٤٥٠ — ١٧٥٠ م .

— مرحلة التقدم ١٧٥٠ — إلى اليوم .

وتتميز مرحلة التجهيز الأوربي بكفاح الجماعة الأوربية للكشف عن أسرار الطبيعة والبحث عن الوسائل التي تكفل الآفاده منها ، ومن هنا نتج ما يسمى بكفاح الفرد وكفاح الدولة ضد الأقطاع والكنيسة وحكومة المدينة، فاندفع النشاط الاقتصادي في أوربا قدما إلى الأمام بفضل نشاط الأفراد وحماية الدولة وبفضل :

( أ ) زيادة عدد السكان .

(ب) الكشوف الجغرافية التي فتحت آفاقا جديدة للتجارة والعمل .

(ج) والتوسع الإستعماري الذي أضاف وسائل للإنتاج .

(د) قيام الدولة القومية التي تنافست في مجال الكشوف الجغرافية لمزيد من الإتساع في رقعة العمل الاقتصادي ومزيد من الإستعمار لبلاد إسلامية .

ولهذا يقول الاقتصاديون المؤرخون لهذه المرحلة :

حقاً لقد استمرت الزراعة حتي القرن التاسع عشر هي الأساس الذي يقوم عليه الأقتصاد الأوربي ولكن الصناعة قد تنوعت وازدهرت ولبت مقتضيات الحياة الجديدة ، وسدت حاجة الأسواق النامية في أوربا ، وكسبت لها أسواقا جديدة في خارج أوربا : في آسيا وفي أمريكا حاملة منها في الوقت نفسه ما تحتاج إليه من المواد الأولية وعلى هذا النحو ازدهرت التجارة واتسع نطاقها فكان ذلك من أهم مظاهر التطور الاقتصادي الحديث في أوربا .

وخرجت أوروبا من عزلتها وتسابق الأوروبيون لامتلاك المستعمرات وتكوين الامبراطوريات وحرصت دول أوروبا على أن تهيمن على هذا النشاط الاقتصادي لتتخذ وسيلة لتزويدها بالقوة المادية التي تكفل لها التغلب على الدول الاخرى فقد كان العصر عصر منافسة وصراع بين الدول .

ولهذا نجد أوروبا تتجه إلى بناء الدولة القومية لمواجهة النهضة الاقتصادية فتجرت إنجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وهولندا من نظام الاقطاع إلى دول يحكمها ملك يوجه سياسة الدولة واقتصادياتها ، وكان ذلك التحول حسب الظروف التي تعيشها كل دولة ، ولقد كانت إنجلترا أسبق الدول في تأسيس الدولة القومية ، ولذلك كانت أكثر انتشارا في المستعمرات ولهذا الاتجاه : اتجاه تأسيس الدولة القومية التي تسعى إلى تحقيق القوى المادية بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية فانها لم تجد لذلك سبيلا الا بالعمل على زيادة السكان .

يقول الكاتبون في اقتصاد أوروبا :

تطلعت الدولة القومية الحديثة لتحقيق سيادتها إلى زيادة القوى المادية ، والقوى البشرية :

\* فالقوى المادية أرادت أن تحققها بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية .

\* أما زيادة القوى البشرية فيكون بتشجيع زيادة السكان بالزواج المبكر ومنح الإعانات لتكثير النسل حتى تتوافر الأيدي العاملة فيزداد الانتاج ويجند العدد اللازم للجيش .

ويقول الكاتبون في اقتصاد أوروبا كتعليق على نتائج هذه المرحلة :  
« وقد قابل ازدياد السكان ، واتساع الاسواق التجارية وكشف بقاع جديدة

بها مصادر متنوعة للثروة الطبيعية فتطلع هؤلاء - في ظل الأحداث الجديدة - إلى الهجرة إلى ما وراء البحار سعياً وراء العمل والانتاج وكان هؤلاء المهاجرون عوناً لدولهم من الناحيتين السياسية والاقتصادية .

\* ونقول : ان مرحلة الاقتصاد الأوربي في دور التجهيز احتاجت إلى الأيدي العاملة مثل بدء الاقتصاد الأوربي في مرحلة ما قبل القرون الوسطى من أجل :

(أ) استغلال الأراضي .

(ب) اكتشاف الموارد الطبيعية

(ج) بناء الدولة القومية الحديثة .

(د) تطور الصناعات .

(هـ) الكشوف الجغرافية .

يقول الاقتصاديون في ايجازهم لمقومات مرحلة التجهيز الأوربي :

ان أهم مقومات التجهيز الأوربي لبناء الدولة القومية عدة عواهل منها :

( أ ) التوسع الأوربي عن طريق الحروب الصليبية ، والكشوف الجغرافية .

( ب ) السياسة التجارية التي تنظم أراضي الدولة كلها تحت حكم مالك واحد ، والعمل على زيادة إيرادات الدولة بتدخلها في أمور التجارة لتحتفظ لها بنصيب من أرباح الذهب والنضبة .

(ج) الاكتفاء الذاتي .

(د) الصناعة .

(هـ) المناجم .

(و) الزراعة .

(ز) التجارة .

(ح) القوة البحرية .

(ط) المستعمرات .

(ي) زيادة السكان .

فقد رأى الاقتصاديون أن كل المقومات في حاجة إلى عدد كبير من السكان فالفردي عدة العمل في الحقل وفي المنجم وفي المصنع وفي الباخرة وفي القطار فان تستقيم سياسة انتاجية في الزراعة أو الصناعة أو التعدين الا بوفرة السكان وتنظيم جهودهم والأمة تحتاج اليهم في تكوين الجيوش وبناء الأساطيل وتعمير المستعمرات ولهذا تحرص الدولة على زيادة عدد سكانها بالتشجيع على زيادة النسل برصد الاعانات والمكافآت حتى يتوافر للدولة مزيد من سواعد أبنائها وينتخض أجر العمل فتقل تكاليف الانتاج ويستطيع العامل أن يحظى بحاجته من الغذاء والكساء بأسعار رخيصة تتناسب وأجره ويستطيع الصانع أن يشتري المواد الأولية اللازمة لصناعته بأسعار معتدلة فيقل سعر التكلفة ويمكن تصديرها إلى الاسواق الخارجية بأثمان معتدلة تمكنها من منافسة مثيلاتها من السلع الاجنبية أما قلة عدد السكان فيضجبه - في رأى التجارين - ارتفاع اثمان الحاجات وانكماش التجارة وقلة حصيلة الدولة من المعادن النفيسة وهبوط الدخل القومي .

ولهذا السبب لم تعد الدولة القومية تنق في الأجانب كقوى مساعدة للتنمية فقد شاع الاعتقاد أن الأجانب دائماً يعملون لمصاحبة بلادهم وأنهم لا يمارسون نشاطهم داخل البلاد التي يقيمون فيها الا ربما يجمعون المال ، ثم يعودون إلى وطنهم ومعهم الذي جمعوه مما يؤدي إلى تسرب النقد إلى الخارج .

. ولا يقل الفيزيوقراط: الطبيعيون في الدعوة إلى كثرة النسل عن خصومهم التجاريين لأنهم يدعون إلى حرية العمل والانتاج والاستهلاك والغاء الضرائب الجمركية .

وبهذا يبدأ في تاريخ الاقتصاد الأوربي مراحل جديدة للتطور الاقتصادي :  
الأولى : من ١٧٧٩ - ١٨٤٨ م برز فيها مبدأ الاقتصاد الحر بفضل الثورة الصناعية والسياسية .

والثانية : من ١٨٤٨ - ١٨٧٠ م برز فيها انتشار القومية والنظم البرلمانية.  
والثالثة : من ١٨٧٠ - ١٩١٤ م تأسست الامبراطورية الألمانية التي صارت قدوة في الاقتصاد لباقي دول أوربا .

ولا ينفك عامل زيادة السكان عن ارتباطه بالتنمية الاقتصادية طردا وعكسا ومن أمثلة ذلك :

#### أ - في الزراعة .

كانت الزراعة هي العنصر الأساسى الذى قامت عليها اقتصاديات أوربا قديما، وكان أكثر الأوربيين يقيمون في القرى ويعملون في الزراعة فقد كان ٩٠ ٪ من سكان إنجلترا يعملون في الزراعة أو الرعى أو الصيد مما يدل على تحكم الريف في ثروة البلاد القومية، لكن الزراعة التي تعتمد على زيادة السكان قد انهارت بسبب الحروب الأهلية في إنجلترا التي عرفت بحرب الوردتين في القرن الثاني عشر، ومثل الحروب بين إنجلترا وفرنسا التي سميت بحرب المائة عام من ١٣٣٧ - إلى ١٤٥٣ وبسبب قلة السكان التي كانت نتيجة الحروب وكذلك كانت نتيجة انتشار الطاعون الذي قضى على ثلث سكان أوربا ما بين عام ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م

وهذا كله أدى إلى نقص الأيدي العاملة في الزراعة :

لذا فإن كتاب التاريخ الاقتصادي الأوربي عندما يتحدثون عن الثورة الزراعية بدرسون من عواملها : مشكلة المحافظة على خصوبة الأرض ومشكلة الصرف ثم مشكلة الأيدي العاملة فيقولون فيها :

ومن المشكلات التي واجهتها الأرض والزراعة في أوروبا مشكلة الأيدي العاملة المشتغلة بالفلاحة ، فإن نمو الصناعة واتساع المدن ومغرياتها وزيادة أجور عمال الصناعة على أجور عمال الزراعة كل هذا قد أغرى عدداً كبيراً من أهل الريف على الهجرة إلى المدن فكان لزاماً على أصحاب الأراضي أن يواجهوا النقص الكبير في الأيدي العاملة في الريف باستخدام آلات للحث والرى .

وهل العكس من ذلك يتحدث كاتبوا الاقتصاد الأوربي عن الزراعة في بريطانيا فيقولون :

أصاب الاقتصاد البريطاني انعاش كبير في الفترة السابقة التي دعوناها فترة التجهيز الأوربي ١٤٥٠ — ١٧٥٠ م فقد تضاعف عدد السكان وانتشرت المحصولات الزراعية التي تستخدم للتجارة فأصبح لدى إنجلترا فائض من القمح تصدره إلى أوروبا .

أن الزراعة تتأثر طرداً وعكساً بالقوى العاملة فإذا ما توفرت الأيدي العاملة انتعشت الزراعة ودرت خيراً كثيراً وإذا ما قلت الأيدي العاملة تعطلت الأرض وفسدت وقل المحصول وعمت المجامات .

وبصورة جلية عن الزراعة في بريطانيا في الفترة من ١٧٥٠ - ١٩٥٠ — يقول الكاتبون :

إن الأطراد في زيادة السكان كان الختف من ضيق إهمال الأراضي وتركها



نتيجة الحرب وهبوط ثمن البوشل من القمح المحلي عن ١٠ شلن فلم يكن ازدياد عدد السكان عبثاً وإنما كان عامل تخفيف للورطة التي أصابت إنجلترا لكثرة سكانها إلى جلب عمال من الخارج مثلما فعلت فرنسا عام ١٩١٣ حيث كان النقص في الأيدي العاملة سيئاً فاستوردت عمالاً من جنسيات مختلفة ففي عام ١٩٢٩ م كان من بين كل ٢٠ من الأيدي العاملة في الزراعة واحد من جنسية أجنبية .

### (ب) في الصناعة :

إذا كانت الظواهر الاقتصادية في عالم الزراعة تعطينا فكرة أساسية عن عن ارتباط التنمية بزيادة السكان طرداً وعكساً ، فإن هذا المفهوم يكاد يكون مقولواً إلى حد ما في عالم الصناعة ذلك أن الصناعة في أوروبا أول فجرها كانت تكنى حاجات الإنسان ولا تزيد إلا بمقدار ضئيل .

فلما كانت الكشوف الجغرافية ، والحروب الصليبية واتسعت رقعة المستعمرات في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، اتسع تبعاً لذلك نطاق السوق الشرائية فلا سيما بعد أن أقبل الناس على المنتجات الصناعية من الأقمشة والمنسوجات القطنية والحريرية مما ساعد على التفكير في تطوير آلات الصناعة لتواجه تزايد الطلب من الأسواق الجملة وراه البحار فكانت الثورة الصناعية على نحو ما يصفه علماء الاقتصاد وكان من جراء ذلك ظهور طبقة من العمال لا عمل لها بعد أن فقدت المصانع اليدوية فاعليتها في مواجهة الصناعات الحديثة، كما جنح أصحاب العمل إلى استخدام الاطفال والنساء بأجر أقل واستغل العامل طوال ساعات اليوم وأسمى له في حياته ومعاملته حتى ظهر ما يسمى بالمشكلة العمالية<sup>(١)</sup> .

(١) لو كان لدى أوروبا فقه سليم بقيمة الإنسان وكرامته على نحو ما هو

وكان من أول من تصدى لحلها ( سيروربت بيل ) صاحب مصنع للقطن وسياسي بريطاني محنك فعمل على حل جزء المشكلة عام ١٨٠٢ فحدد عمل الصبية باثنتي عشرة ساعة فقط وعين مفتشين : أحدهما قاض والآخر قسيس للإشراف على تنفيذ القانون في المصانع ، ثم صدر عام ١٨١٩ م قانون يحرم استخدام الاطفال في المصانع ، وحرّم أن يشتغل العامل أكثر من ١٢ ساعة في اليوم ، ولم يقبل أصحاب المصانع بهذه القوانين فحدثت مشكلات أدت إلى البطالة بين العمال وتضخمت المسائل حتى عجزت بحلها الإصلاح الاجتماعي بنظريات كثيرة خاصة بالعمال وكان من بين هذه النظريات تحديد النسل .

فقضية تحديد النسل ظهرت في جو الصناعة وتطورها وتطور آلاتها والاستغناء عن بعض العمال بفضل الآلات الحديثة .

### رأى قدامى الفلاسفة :

لقد كانت نظرة الفلاسفة قديماً إلى زيادة السكان نظرية عادية لا يرون فيها بأساً ولا خراباً إلى ذلك يذهب الفيلسوف Bvffodn والفيلسوف مونتسكيو Montesquiev .

فقد كانا يريان أن الزيادة في السكان مفيدة ونافعة للبلاد ولا خوف منها ، لأن تعداد السكان منظم بطبيعته حسب طرق المعيشة ، وهو نفس الاعتقاد الذي كان يذهب إليه الماركيز ميرابو Mirabeu .

---

مقرر في الإسلام لوضعت خطة صناعية لاستيعاب كل العاملين في حقل الصناعة : احتراماً لإنسانيتهم ، ونشراً للرخاء ، ولكن المسألة كانت على خلاف ذلك .

ولكن الذى أفسد هذه النظرة العادية جودون Godwin عندما ذكر فى كتابه « العدل السياسى سنة ١٧٩٣ م أنه يشك فى أن نسبة المحصولات قد لآزداد بنسبة تتلاءم مع عدد السكان » .

مالتوس الانجلىزى : ١٧٦٦ م .

\* وهنا برز فى حلبة التشكىك قسىس اققتصادى هو مالتوس الانجلىزى الذى وضع كتابه المشهور :

رسالة عن تعداد السكان عام ١٧٩٨ م ثم إعاده عام ١٨٠٣ م وفيه يقول : إن تعداد السكان يزداد طبقاً لنظام متواليات هندسية .

١-٢-٤-٨-١٦-٣٢-٦٤-١٢٨ . وهكذا بينما لآزداد حاجات المعيشة - الإنتاج - إلا حسب متواليات حساية :

١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١- واذن :

فتكون نسبة السكان إلى الإنتاج بعد جيلين كنسبه ٢٦٥ إلى ٩ وبعد ثلاثة أجيال كنسبه ٤٠٦٩ إلى ١٣ وسيكون الفرق خارقاً لحد التصور بعد آلاف السنين .

لكن مالتوس لم يتعصب لهذا الرأى بل قال أنه افتراض .

وقد تكون الأمور المفروضة غير صحيحة أحيانا ، وقال : ربما صار حظ الإنسان فى المستقبل أسعد مما هو عليه الآن إذا استبدلت طرق القمع بوسائل الوقاية أى إذا استبدل بالحرب تنظيم أمور الزواج . ألع .

ومع ذلك فإن رأى مالتوس مع أنه ظهر فى بيئة عمالية عاطلة وكانت ظروف الحياة فى القرن الثامن عشر سيئة للغاية إلا أن رأى مالتوس علق بأذهان كثير من الاقتصاديين حتى جر هذا الوبال على شرقنا العربى والإسلامى .

يقول المستر جروف سامويل في نقد رأى مالتوس

— أن مالتوس لم يستطع أن يتنبأ بمخترعات العصور الحديثة تلك التي زادت مقادير المواد الغذائية ، وكذلك أساليب الزراعة فان التقدم في هذه الآلات قد سائر ازدياد عدد السكان وأربى عليه .

— كذلك مالتوس لم يدخل في حسابه قدرة الإنسان على التعاون والحصول على مزايا تعظم كلما ازداد عدد السكان وازدهجوا ، ذلك أنه كلما زاد عدد السكان استطاع الإنسان أن يوزع العمل بأساليب اقتصادية أبلغ من سواها ، واستعمل في تصريف العمل طرقاً تفضل غيرها كثيراً وبفضل المخترعات والمستكشفات الحديثة تمكن الإنسان من زيادة الإنتاج .

ويقول جروف :

من ذلك يرى أن الإنسان يستطيع دائماً أن يجعل مقدار إنتاجه أكثر في مدة من الوقت أقصر (١) .

يقول جروف :

إن مجرد الارتفاع في عدد المواليد لا يفيد في زيادة عدد السكان فالجدير بالاعتبار هو الناتج الختامي : أي رجحان المواليد على الوفيات ، ولا بد كذلك من تقدير العوامل الأخرى كالهجرة ، والحروب ، والأمراض والكوارث الطبيعية .

ريكاردو الهولندي ١٧٧٢ م :

وعلى غرار مالتوس كان ريكاردو ١٧٧٢ م فقد ذهب إلى أن مستقبل

---

(١) المجتمع ومشاكله ص ٤٧ .

العمال مظلم لأنه كلما ازداد السكان كثر عدد العمال ومتى كثر عدد العمال قلت أجورهم ، وإذا قلت مساحة الأراضي الزراعية قلت المحصول ، وإذا قلت المحصول ارتفع ثمنه ، ففي كلتا الحالتين مستقبل العمال في خطر ومنعاً من وقوع هذا الخطر يجب رفع أجورهم بنسبة ارتفاع لوازمهم ، وعلى فرض إمكان حصولهم على هذه الزيادة فلن يكونوا سعداء لأن ثمن القمح وغيره يزداد أيضاً وإنما الحل الوحيد لسعادة العمال هو ألا يكون لهم أولاد إلا بنسبة مكاسبهم وأن يحدد لكل صناعة عدد معين من العمال .

يقول الدكتور حسين علي الرفاعي : لا شك أن هذه النظرية اندثرت ولن تجد في حياتنا الاجتماعية الحالية مجالاً للنجاح ولقد أصبحت في عداد النظريات العتيقة فان حالة التقدم الصناعي الهائلة التي يعيشها العالم اليوم لا تجد مثل هذه الأفكار بيئة وسط العاملين والمستثمرين .

### والخلاصة :

أن قضية تحديد النسل نشأت وسط مجتمع صناعي بدائي تحيط به عناكب اليأس والأسى ، عندما كانت أوروبا تنه في بحر من الفقر والجوع والحرب والدمار .

وكان التشاؤم هو السمعة السائدة على الفكر العلمي الذي لم يستطع أن يتنبأ بتقدم صناعي هائل يغطي حاجات الإنسان ولم يجد الفكر الأوربي له من الدين الذي يعتنقه مساعداً له على تفهم قضية الرزق والعمل .

### ( أنظر حولك ) .

ولنتظر الآن من حولنا لنترى رد الفعل للدول التي أخذت قديماً بنظام تحديد النسل فإذا نرى ؟ ..

## (١) في إنجلترا :

\* في الحرب العالمية الأولى ١٩١٦ م ألفت في إنجلترا اللجنة لاستعراض نسبة المواليد وكانت تتألف من ٣٧ عضواً كلهم من رجال الطب والاقتصاد والعلوم التجريبية والخبراء بفن الإحصاء والعلوم الدينية كما اشترك معهم ممثل عن الحكومة هو الدكتور استيفنسون Stevenson -- المسئول عن الاحصائيات ، والسير آرثر نيوزهوم AURTHUR NEWSHONE — وهو الرئيس الأعلى للشئون الطبية - ووضعت هذه اللجنة تقريراً جاء فيه :

على بريطانيا أن تراقب بعناية من الحذر والاضطراب النقص المتزايد في هبوط نسبة الولادة القومية وعليها مواجهة هذا النقص وتغييره بالزيادة إلى حد إمكان أن تتخذ كل ما يأتي في دائرة قدرتها من التدابير الفعالة، وتكررت هذه النصيحة في عام ١٩٤٣ إبان الحرب العالمية الثانية فقد قال المستر هربرت مارسين وزير الداخلية :

إن بريطانيا إذا كانت تحب المحافظة على مستواها والتقدم في سبيل الرقي والازدهار في المستقبل فمن اللازم أن يتزايد فيها عدد كل أسرة بنسبة ٢٥ ٪ على الأقل وفي عام ١٩٢٤ م شكلت لجنة من الحكومة لدراسة المشكلة من كل نواحيها وقدر صدر عنها توصيات أهمها :

\* تعديل قانون الضرائب بحيث تخفف عن المتزوجين الذين لهم عدة أطفال .

\* أن تمنح كل أسرة مكافأة مالية على قدر ما يكون لديها من الأطفال .  
\* والآن في إنجلترا يمنح الأطفال مكافآت مالية وتمنح النساء أجازة ولادة مع مكافأة مالية خاصة .

(ب) وفي فرنسا :

أصدرت الحكومة قانوناً يحرم تعاليم منع الحمل ونشر المعلومات عن طريقه ووسائله .

وأن الأسر ذات الأطفال تمنح مكافآت مالية وتعفى من بعض أنواع الضرائب .

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان فرنسا بنسبة ٢٦ ٪ في السنوات بين ١٩٣٨ م إلى ١٩٥٤ م .

(د) وفي السويد :

قال الوزير ترأي جر TRYGGAR إن الشعب السويدي إذا كان لا يريد لنفسه الانتحار فعليه أن يتخذ التدابير المؤثرة لمقاومة انخفاض نسبة المواليد في وطنه .

لقد أصبح انخفاض نسبة المواليد خطراً للغاية ينذر بالويل منذ سنة ١٩٢١ م .

وكان من تأثير هذا التنبيه الذي ألقاه الوزير في المجلس النيابي أن الحكومة ألقت لجنة خاصة في مايو ١٩٣٥ م لدراسة المشكلة وانهت اللجنة إلى :

١ - الرقابة على بيع أدوية منع الحمل .

٢ - تخفيف الضرائب عن الوالدين إذا كان لهما أطفال أقل من ١٨ سنة .

٣ - المحافظة على الصحة وإعداد الأدوية المجانية للأطفال .

رأى الطب

وتقول الدكتورة ميري شارليب Dr: Mary Scharlieb أن وسائل تحديد النسل سواء كانت هي اللوليبات المعدنية أو الأقراص أو العقاقير

القاتلة للحيوانات المنوية أو حواجز المطاط وغيرها ، وإذا كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهري ولكنها إذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلا بد أن يصيبها أنهيار عصبي قبل أن تبلغ سن الكهولة .

ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل - التبرم - والتدمر - والقلق وضعف القلب والتشويش والمهوم ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين واضطراب العادة الشهرية .

ويقول الدكتور رينيل ديوكس : أن المرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع الحمل فهي لا تتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان .

### الأثر الأخلاقي

أما الأثر الأخلاقي فانه يفتح بابا للفسوق لاحدله مادامت عواقب الانحراف مأمونة ومادام الخط الاقتصادي لايسعف على بناء بيوت للزوجية فلتأخذ الابليسية حظها في فكر الشباب قبل الشبان .

فهل التنمية الاقتصادية في مجال : الزراعة ، والصناعة والتجارة في حاجة إلى مثل هذه العاهات والامراض ؟

أو أنها في حاجة إلى أيد تعمل وتبنى وتشيد ؟

ولله در المرحوم العلامة الاستاذ الدكتور أحمد زكي حين هتف بالأمة العربية : تناسلوا تكاثروا حتي تملثوا البحر والبر عربا .

ومن جهة أخرى :

فان الاستعدادات العسكرية التي يتسابق عليها الشرق الشيوعي والغرب الامبريالي وكلاهما مستعمر غاشم قد جعلت قضية الأخلاق في الشرق العربي والإسلامي قضية في حرج شديد إذ بهذا التسابق يتأرجح العرب والمسلمون



في حيرة بين جاذبية كلتا القوتين، وعندئذ لا توجد شخصية أخلاقية للعرب والمسلمين، ويبقى في تفكير العرب إلى أي القوتين نضمن لهم السلامة، ولا سلامة إلا في الاعتصام بحبل الله المتين ويوم أن تفقد الشعوب شخصيتها الأخلاقية تنهار وتندك حصونها وتذهب شيئا بديدا في صحراء التيه والضياع.

### ثانيا : عوامل الفقر في العالم العربي والإسلامي

أن الثروة التي يملكها العالم العربي والإسلامي هائلة جدا ففي مجال الزراعة يملك ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والتي تكتنفها الأنهار والأمطار على امتداد الوطن العربي .

ففي السودان مائتا مليون من الأفدنة يجري من حولها النيل الأبيض والأزرق وهما حزينان لأنهما يمران مر الكرام وسط هذه الملايين دون أن تشرب مائة مليون منها شربة من ماء النيل .

وفي العراق ثلاثون مليوناً تهطل عليها الأمطار وتجوس خلالها مياه دجلة والفرات .

وفي سوريا وفي فلسطين وفي مصر ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والكافية لشد حاجات مئات الملايين من الانس خارج الوطن العربي . . ولكنها لا تجديدا عاملة ولا مالا يساند في فلاحتها، والمناجم وآبار البترول والغاز الطبيعي، والمحاصيل الزراعية التي تصدر إلى الخارج كالمثروات تغطي حاجات العالم العربي والإسلامي ولكن الفقر هو سمة غالبية هذه الشعوب فلم . ؟

ان الاجابة اركزها في هذه النقاط

أولا : الابتعاد عن ذاتيتنا الإسلامية إلى أيديولوجيات شرقية أو غربية

لقت الأمة العربية في أثواب خاقنة من السياسة الاستعمارية التي انهكت كل قواها .

ثانياً : تلك الصراعات العربية التي لم تعرف لها نهاية ولم تجد لها من يلم عملها .

ثالثاً : تلك الحروب التي طحنت الأمة العربية دون أن تدرك لم حاربت ومن حاربت ، واعتمادات عسكرية باهظة لم تحقق للقضية القومية شيئاً .

رابعاً : بعثرة الإمكانيات الاقتصادية والأحجام عن استخدام المال العربي في ازدهار الأوطان العربية وهي حقن التنمية المرغوبة .

خامساً : تيه الاقتصاد العربي والإسلامي وسط جاذبية الاقتصاد العالمي .

سادساً : التبذير والإسراف في النفقات السرية والإعلامية والترف المعيشي الخاص بالمظاهر الفضفاضة التي تضيع في الهواء .

ومن هنا فرضت هذه المشكلات أسباب الفقر فالت الأذن العربية إلى وسوسة الغرب الصهيوني الصليبي وسمعت همسه : أن حل المشكلة في تحديد النسل ، وهم كاذبون آثمون .

رأى العلامة ابن خلدون :

والعلامة ابن خلدون يربط التقدم الحضاري والرخاء الاقتصادي بزيادة السكان لأن هذه الزيادة تدفع إلى التعاون على العمل الذي هو أساس التقدم الحضاري فيقول :

ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة ، وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت

واختطاط المدن والأمصار للتحضّر ثمّ تزيد أحوال الرفه والدعة فتجىء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأتق في علاج القوت واستجادة المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة .. ومعالات البيوت والصروح .. الخ .

فنظرية ابن خلدون وهو سيد أهل علم الاجتماع : أن الحضارة تحتاج إلى عنصر الوفرة في الأيدى العاملة التي تقوم بأعباء أنواع حاجات الحضارة فالبدو ينتج ما يكفيه أما الرجل الحضري فهو دائماً يتطلع إلى العلا وحاجاته مرتبطة بكثير من الفنون وشئون الصناعة وذلك لا يتأتى إلا عن طريق الزيادة في السكان .

يقول ابن خلدون :

ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ، ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمي وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم .. فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعة لا بد منها .

والأمة العربية وهي الأمة التي برز فيها عالم الاجتماع العربي ابن خلدون فيها من الإمكانيات ما يحقق نظرة اكثار النسل ثم هو أولى أن تميل في اجتماعياتها إلى نظرية ابن خلدون لا مالتوس ولا ريكاردو .

ثالثاً : الرأي الإسلامي في تحديد النسل :

تنشأ فكرة تحديد النسل كأثار لقضية أثارها الاقتصاد الفيزيوقراطي الذي يدعى أن موارد الطبيعة لا تكفي لتمويل البشر إذا زادوا في المستقبل . وهي قضية عقدية قبل أن تكون اقتصادية ، فهل حقاً الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر .. ؟

إن الله تعالى يقول :

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين . »

( ١٩ - ٢٠ الحجر )

« وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين . »

( ١٠ - فصلت )

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . »

( ٢١ - الحجر )

« ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل . »

( ١٠٢ - الأنعام )

« له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم . »

( ١٢ - الشورى )

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . »

( ٥٨ - الذريات )

فهذه النصوص ترفض الادعاء الأوربي القائل بأن الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر إذا زاد عدد السكان والنبي ﷺ يحذر الأمة من تحديد النسل فيقول :

\* ( إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء ) رواه مسلم

\* ( اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله تعالى فهو كائن وليس من كل من الماء يكون الولد ) . رواه مسلم

\* ( لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولداً وليخلقن الله تعالى نفساً هو خالقها ) . رواه أحمد

- \* أعزل عنها ما شئت فانها سيأتها ما قدر لها . (رواه مسلم)
- \* اعزلوا أو لا تعزلوا ما كتب الله تعالى من نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة . (رواه الطبراني)
- \* ما قدر في الرحم سيكون . (رواه أحمد والطبراني)
- \* ما قدر الله لنفس أن يخلقها إلا هي كائنة . (رواه أحمد)
- \* ما عليكم أن لا تعزلوا فان الله قدر ما هو خالقي إلى يوم القيامة . (رواه مسلم)
- \* لا عليكم إن لا تفعلوا ذلكم فانها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي خارجة . (رواه البخاري)
- \* كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء . (رواه مسلم)
- ولا أدل على رغبة الإسلام في زيادة النسل من دعوة النبي ﷺ إلى الزواج من المرأة الولود الودود .
- \* ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة :
- الودود الولود العوود التي إذا ظلمت قالت هذه يدي في يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى . (رواه الطبراني)
- \* تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى . (رواه البيهقي)
- \* تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم . (أبو داود والنسائي)

\* تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباح بكم الأمم يوم القيامة .  
( رواه البخارى ومسلم )  
\* انكحوا أمهات الأولاد فاني أباهي بكم يوم القيامة . ( رواه أحمد )

وبعد :

فان القدماء المصريين كانوا أكثر ذكاه في تصورهم للذرية من أغلبية  
كثيرين من دعاة تحديد النسل .

فقد ورث التاريخ عن قدماء المصريين إنهم كانوا يحبون الأطفال لديانهم  
ولآخرتهم . وساعدتهم طبيعة أرضهم وأوضاعهم الاجتماعية والدينية على أن  
يستريدوا من العيال دون أن يتوقعوا عنتنا كبيراً وإملاقاً<sup>(١)</sup> .

وأخيراً ..

رأى مجمع البحوث الإسلامية في المحرم عام ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥  
انعقدت الدورة الثانية لعلماء المسلمين في رحاب الأزهر ومجمع البحوث  
الإسلامية ، وفي هذا المؤتمر الثاني صدرت قرارات تتعلق بتحديد النسل  
قالوا فيها :

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ - أن الإسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره لأن كثرة النسل تقوى  
الأمة الإسلامية اجتماعياً واقتصادياً وحريةً وتزيد لها عزة ومنعة .

٢ - إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجة أن  
تتصرف طبقاً لما تقتضيه الضرورة وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير  
الفرء وتدينه .

---

( ١ ) الأسرة في المجتمع المصرى القديم دكتور عبد العزيز صالح ص ٣٤ .

٣ - لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ - أن الاجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

إن تحديد النسل : مجافاة للفطرة ومجافاة للطبيعة العربية .

وهو خرافة ، لأن الله فعال لما يريد .

ولأن الله غالب على أمره فهل من مستجيب ؟





## التصور الإسلامي

للسال ووظيفته

[ يا أيها الناس :

إن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في

نبيها ولا في كتابها

وإنما اختلفت في الدينار والدرهم وإني

— والله — لا أعطى أحداً باطلاً ،

ولا أمنع أحداً حقاً

أطيعوني ما أطعت الله فإذا نصيته

فلا طاعة لي عليكم ] .

عمر بن عبد العزيز



## ١ — حوادث الحياة تشرح آيات القرآن :

تضغط حوادث الحياة على حركة العقل المفكر ... ليدرك في أعقابها  
المتلاحقة معنى مؤكداً هو ..

\* أن الحياة بكل ما فيها من متع سامقة في رقي الحضارة المادية تافهة ...  
\* وأن هذه التفاهة التي يدركها العقل أخيراً قد وضحتها القرآن الكريم  
للبصيرة المستعدة للايمان قبل البصر المناقش للقضايا .

وينتمى العقل : إلى أن الحياة بأحداثها ، إنما تفسر محكم آيات القرآن  
الكريم التي قضت في حكم نهائي أنه لا يمكن لواحدة من الأحداث أن تمر  
في نهرها دون أن تفسر هذا المعنى :

مادية الحياة تافهة وأن الآخرة هي دار الحيوان . وهي خير وأبقى ..

ويستقر في فكر العلماء بعد هذا أن إعجاز القرآن له منطق ذاتي هو :  
أن الحركة البشرية في جلايب إيمانها أو إلحادها ، وزجة أفكارها ، وحماة  
وطيسها ، إنما تجرى على نظام مألوف لدى فقه الآيات الصادقة بذاتها في كتاب  
الله القرآن الكريم .

ومن هذه القضايا التي انتهى النشاط البشري الطويل فيها إلى حقيقة  
ما حكم به الإسلام .

### قضية المال

فقد فشل فلاسفة الاقتصاد جميعاً في إبراز تخطيط عادل لعملية التوزيع  
الاقتصادي وشهدت الحياة صخب المناقشات بين مؤيد فلسفة التوزيع

الشيوعى والتوزيع الرأسمالى ولم يجد كلامهما مسعفاً له يحمى مخططاته إلا رهبة الحديد ووهج النار ، وأخرج التعصب حدود التفكير فى كل من المعسكرين عن الوضع الطبيعى لعنى الكرامة الإنسانية .

ونشأت مشكلات فى كل من المذهبين : الشيوعى ، والرأسمالى ، لاعلاقة لها أصلاً بفكرة المال أو الاقتصاد ، ولكنها اقتضت وسارت كنتيجة شبه طبيعية لدافع التعصب الردىء فى عمقه فكان الإلحاد قرين المبدأ الشيوعى ، كرد فعل لما لاقاه الكادحون فى ظل القيصرية الروسية القديمة من السطو الكهنسى الذى سخر عرق الشعب ظلماً لترفيه البلاط القيصرى .

وفى المذهب الرأسمالى ، ولدت العنصرية ، والأناية الفردية ، واستغل قانون العرض والطلب فى خلق طبقات متناحرة على المادة فى قرصنة تجارية جائعة حتى خرج الإنسان عن حدود الإنسانية وأنزل نفسه من درجات السموات فى علاقاته البشرية إلى أحط ما تكون العلاقات بين عوالم الحيوان الأعجم الذى لم يشهد التاريخ أن واحداً من أجناسه قامت بينها عداوات أو أحسن كالتى يشهدها دائماً بين طوائف البشر من أجل المادة والمال .

وكان مرد هذا الفشل أن فلافسة الاقتصاد لم ينتبهوا إلى أن مسألة التوزيع عملية خاصة بالتنظيم الإلهى للسلوك الإنسانى . فكانت حصيلة الثقافة الاقتصادية بمذاهبها المتعددة ، وكانت الزحمة الحديدية التى خلقت لتجمل المخططات الفلسفية للتوزيع المتجافية مع الطبع الإنسانى ، كانت هذه العمليات كلها تفسيرات لمحكم آيات القرآن الكريم :

١ - « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » .

( ٣٠ - الإسراء )

٢ - « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا .

( ٣٢ - الزخرف )

٣ - « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض » .

( ٢٧ - الشورى )

٤ - « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » :

( ٦ - هود )

فيرد القرآن الكريم عملية التوزيع الاقتصادي إلى الله وحده ، وهذا هو سرفشل — الأبحاث الاقتصادية كلها في نظرية التوزيع .  
ويعلل القرآن الكريم رد عملية التوزيع الاقتصادي إلى الله وحده بعلمتين :

الأولى : إن الله وحده هو المتكفل بأرزاق العباد وهو المسخر للأسباب النفسية والمادية للكسب والعمل ( وهذا القانون لم يتوصل إليه بعد علماء الاقتصاد ) .

الثانية : إن الله لو بسط الرزق لعباده لافسدوا في الأرض ( وهذه العلة توصل إليها أخيراً جداً فلاسفة الاقتصاد في القرن التاسع عشر الذين ذهبوا إلى أن الكم يؤثر في الكيف وهو المعبر عنه بلغة القرآن « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

٢ - الكم والكيف ووظيفة المال :

ويمضى القرآن الكريم بعد هذا يصور الانفعالات النفسية والسلوك البشرى المنتظر تجاه ملكية المال وعدمها فتتلوا الآيات :

١ - يحسب أن ماله أخلده . ( ٣ - الهمزة )

٢ - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى آهاتن .

( ١٥ ، ١٦ - الفجر )

٣ — وتأكلون التراث أكلاً لما ، وتحبون المال حبا جما .

( ١٩ ، ٢٠ — الفجر )

٤ — « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرين وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعدين . »

( ٣١ ، ٣٥ — سبأ )

ومع عملية الكشف عن نزعات النفس التي تتأثر بالمال كثرة وقلة وتفسير السلوك المترقب نتيجة لذلك ، فإن القرآن الكريم يحدد وظيفة المال ، ويبين ملكيته الأصيلة فيقول :

١ — « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً . »

٢ — « واتقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . » ( ٧ — الحديد )

٣ — « وآتوم من مال الله الذي آتاكم . » ( ٣٣ — النور )

٤ — « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى . »

( ٥ : ١٠ الليل )

فيجمل القرآن وظيفة المال ثانوية في الحياة ، فهو فقط وسيلة لتعمير الأرض لإقامة العدل الطبيعي من أجل حياة أفضل سرمدية في المستقبل عند الله .

ويرجع الملكية كلها إلى الله وحده ، ويحدد مقدار تسلط يد البشر على المال بمقدار ما يكون لوكيل من يد في مال موكله .

وتفسر السنة الإسلامية هذه النصوص الرئيسية فتقول :

« إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه عن طيب نفس بورك له فيه ،  
ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكانه كالذي يأكل ولا يشبع ،  
واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول » .

### ٣ - العدل الاجتماعى وسياسية الإتفاق :

ومع هذه القواعد التى تحدد قيمة النظرة إلى المال ، فإن القرآن  
السكرىم يحفل .

١ - بقواعد التوزيع الإلهى التى تحترم القدرات الخاصة فى البشر  
وتساند ذكاه فى عملية الإنتاج وتخلق منه طاقة هائلة تحترم مبدأ الكفاية  
والعدل لتحقيق التكافل الاجتماعى .

٢ - كما يحفل بسياسة الإتفاق الفردى فى ظل فكرة ثانوية المال  
حتى لا يتكالب الناس على جمعه فيعطلون وظيفته الطبيعية ويسيئون استعماله .

(١) فيبين خطوطاً رئيسية للرعاية الاجتماعية ، تحقق العدل المباشرى  
للمتخلفين ، كما تشد خلا طارثا لبعض الأثرياء كأسعار لحالاتهم التى ولدتها  
ظروف خاصة ، وبذلك يصون القرآن السكرىم فى المجال التطبيقى  
وحدة الأمة النفسية ، ويقرب بين طوائفها الذين خلقوا على تباين فى الذكاه  
والقدرات والمهارات ، والاستعدادات ... الخ .

فيرأ المجتمع من الطبقة المادية التى تخلخل أركانها وتزئم نفسه . يقول  
الله تعالى :

« إنما الصدقات للنقراء والمساكين والعاملين عابها والمؤلفة قلوبهم وفى  
الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .  
( ٦٠ : التوبة )

الى جوار هذه الضريبة الأساسية يوصى القرآن الكريم كل مسلم بأصحابه  
في كل اتجاه مع وصيته بضعفاه السالبة وجميع المحاريج ، فيما تلوه  
سورة النساء ؟

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين أحساناً ، وبذي القربى ،  
واليتامى ، والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ،  
وابن السبيل ، وما ملكت إيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً .  
( ٣٦ - النساء )

وتجعل آيات سورة آل عمران البذل والإنفاق من كمال صفات المؤمنين :-  
« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت  
للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن  
الناس والله يحب المحسنين »  
( ١٣٣ - ١٣٤ - آل عمران )

كما نشترك في هذا التفسير آية سورة الأنفال : -

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته  
زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون »  
( ٣/٧ الانفال )

وهذا المنهج الواضح لا يحتاج إلى تخطيط أو تنسيق بأكثر من حاجته  
إلى قيادات تفهم سبيل تطبيقه ، وتهرع إلى تحقيق العدل والكفاية على نظام  
طبيعي تألفه الفطرة وتحميه العقول ، وتسرع به الأيدي مع العواطف إلى  
درجة أسمى من السكرم وأكبر من المشاركة والمعاونة ، درجة الايثار  
وبذل التضحية .

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . ( ٩ - الحشر )



(ب) وتنسق مع الفكرتين السالفتين :

١ - فكرة نظرة الأعلام إلى المسأل .

٢ - وفكرة التوزيع للرعاية الاجتماعية ، وتحقيق الكفاية والعدل .

تنسق مع هاتين الفكرتين ( فكرة الإنفاق ) فيوصي القرآن الكريم بنبي البشر في قواعد عامة ترتبط بالسلوك الديني المفوض إنايته إلى الله تعالى وحده فيقول :

١ - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسوراً . ( ٢٩ - الأسراء )

٢ - وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . ( ٢٦ - الإسراء )

ويضع القرآن الكريم هذا التحذير داخل إطار لصورة تقشعر منها نفسية المؤمن الصادق فيقول - تكملة للآية :

« أن المبذرين كانوا أخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً » . ( ٢٧ - الإسراء )

وفي لحظات الإيقاظ العفيف للعواطف يخاطب الله عباده في مجال تحديد صفات عباد الرحمن فيقول :

( . . . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً ) . ( ٦٧ - الفرقان )

وتوضح السنة الإسلامية المظهرة فقه هذه الأسس في قول سيدنا رسول الله ﷺ « المؤمن يأكل في معاً واحداً ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » ( رواه البخاري )

وملخص الحديث في الجو الاقتصادي — إن المؤمن يتناول من متع الحياة الحلال بقدر التوسط الذي لا يخرجُه عن الاعتدال الطبيعي إلى شراهة في الإنفاق بالإسراف. أو إلى شح في الجمع بالتقتير .

فهو يتناول من المال بالقدر الوظيف له ، والذي يجعله عبداً تقياً :

- ١ - يبر بالولدين .
- ٢ - ويحض على طعام المسكين ورعاية اليتيم .
- ٣ - ويرعى بحساسية إجتماعية جميع المحاييج .
- ٤ - ويسعف ذا النكبة والجار والمهوف .
- ٥ - ويجهز جيش الإسلام ويكثر صفوف المسامين .
- ٦ - ويبقى نفسه شر القافة والعوز .

وهذا كله في ثوب الإيمان بالله الذي يقوى رباط التماسك الاجتماعي ويصفي هموم القلب من الأحقاد التي يجيشها في الصدر العوز والحاجة ، ويمكن عناصر الوحدة في كنف الإخوة الحانية من الدوام ، فان جوع الفرد وسط الجماعة يدفعه الشعور به إلى السطو أو الإتصال عن الجماعة في الفكر والذوق والشعور ... الخ .

وحول هذه المعاني يمكن أن يفهم ذلك - أدبا - من قول الله تعالى :

« كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » . (٧ - الحشر)

. وتكون النتيجة الحتمية الطبيعية لهذه التشريعات .

١ - عدالة في التوزيع تحترم الظروف النفسية والأحداث الزمنية .

٢ - رعاية متكاملة للجوانب للمحتاجين .

- ٣ - هدوء النفس من الفقراء ، واطمئنان على مستقبلهم المعيشي .
  - ٤ - سماحة ورضا وإسهام من جانب الأثرياء .
  - ٥ - وحدة متماسكة للأمة في المشاعر والفكر ، والعمل والإنتاج ... إلخ
- الفرد فيها وحده أمة ، والأمة فيها معقل نضال ، وقلعة أمن ، للخير والسلام :

#### ٤ - القرآن وضع الحد الطبيعي لقضية المال ... ولكن :

وبهذه الخطوات :

- ١ - النظرة إلى المال على أنه ثانوي في الحياة .
- ٢ - وتحليل السلوك البشري نتيجة الشعور بالغنى أو الفقر .
- ٣ - وتوزيع يحقق العدل والتكافل :
- ٤ - وتنظيم للحياة الفرد الاقتصادية على نظام التوسط والاعتدال .

بهذه الخطوات القليلة في السكم الكتاني انتهى القرآن الكريم من مشكلات ( قضية المال ) ، وانتهى منها في سرعة تلام مع النظرة الحقيقية للمال دون احتفال به على وجه أو نظام فسيح قد يبرز أهميته أكثر من وظيفته الثانوية ولكن فلاسفة الاقتصاد أنفسهم قد أتبعوا تفكيرهم كثيراً في تحديد تخطيط ولو شبه عادل لعملية التوزيع والاتفاق، حتى الجأهم إلى حماية آرائهم بالحديد والنار ، فقد نسوا :

- ١ - أن مسألة التوزيع مردها إلى الله تعالى وحده .
  - ٢ - وأن المال تافه في ذاته ، فإن المال قد يذهب من أجل متعة رخيصة أو يرجى أن يدفع كله لدفع مصيبة ؟ .
- وإذا كانت عظمة الشيء فيما ينتجه فإن المال لا ينتج إلا شيئاً رديئاً ، فهو حقير تافه حقارة نتيجته وتفاهتها ... ؟

إن المال ليس بذي قدسية ذاته ، لأنه وسيلة . وإذا أخذت الوسيلة قدسية  
الغاية فقد ضل الناس الطريق .

وصدق سيدنا رسول الله ﷺ ( تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس  
واتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » . ( رواء البخاري )

وصدق الله العظيم « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والياقيات المضلحات  
خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً » . ( ٤٦ - السكف )

« ما عندكم ينفذ وما عند الله باق » . ( ٤٦ - المنحل )

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب  
العالمين في وجه كل من يجعل المال فوق القيم ، ويجعل الإلتفات عند المال والمادة  
ويعسك بجلايب القرب في نظرياته وأساليبه حياته .

أسس العمل الاقصادى فى الإسلام



## أسس العمل الاقتصادي في الإسلام

الدراسات الاقتصادية الحديثة تنوع إلى عدة شعب ولكل شعبة هدف ومنهج خاص في البحث .

فالنظريات الاقتصادية : تبحث في آثار الندرة النسبية .

وعلم الاقتصاد : يبحث في سلوك الفرد المعيشي

وتاريخ الاقتصاد : يبحث في الأحداث التي تؤثر في السلوك الاقتصادي ومجالات الإنتاج والتوزيع .

والاقتصاد السياسي : يبحث في تأثير العلاقات السياسية بين الدول على العمل الاقتصادي .

ولهذا فان الدراسات الاقتصادية يمكن أن تتركز في :

الثروة .

والإنتاج .

والتوزيع .

وما يتصل بهذه الأنواع من تنصيلات فانما هي خاضعة لظروف الحماية والدولية .

ولهذا فان الدراسات الاقتصادية المعاصرة لايمكن أن تتصف بالثبات والإستقرار لأنها تخضع للعوامل البيئية المتغيرة . فاذا ما أراد المسلمون أن يتعرفوا على نظام اقتصادي من القرآن فانما عليهم أن يتعرفوا على أسس

العمل الاقتصادي التي تشكل قواعد كلية يخضعون ظروف البيئة الاقتصادية لها لا أن يخضعوا القرآن لظروف البيئة الاقتصادية لاسيما إذا كانت ظروف البيئة الاقتصادية من عمل وتقاليد وعادات فكر غير إسلامي .

وبوجه عام فإن القرآن الكريم كتاب الله المعصوم وتطبيقه يكفل السعادة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأعراض عنه يكسب المسلمين شقاوة :

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . . »

« ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . . » .

وقد أقر علماء الاقتصاد بوجه عام أن هدف الاقتصاد هو تحقيق الرفاهية للناس جميعاً ، ولكن هذا الهدف لم يستطيع علم الاقتصاد ولا علم-اؤه أن يحققوه . وقد كان الأمل عند علماء الاقتصاد أن يصل هذا العلم إلى غايته بالثورة الصناعية ولكنه فشل كذلك .

لقد فشل علم الاقتصاد في تحقيق السعادة بين العمال وأصحاب العمل .  
لقد فشل علم الاقتصاد في تحقيق السعادة بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م .

لقد فشل علم الاقتصاد في تحقيق السعادة بعد قيام الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ وهانحن نرى في روسيا ثورة عمالية ضد النظام نفسه . كما نرى في بولندا تمهديا للنظام الماركسي .

وهذا دليل على أن العمل الاقتصادي يخضع لقانون آخر ليس في مقدور الإنسان أن يحققه ذلك القانون . . هو :



« له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق ان يشاء من عباده ويقدر إنه بكل شيء عليم . . »  
( ١٢ الشورى )

وإذا كانت النظريات الاقتصادية تقوم على ثلاث دعائم ...

الإنتاج ، والتوزيع ، والقيمة

فقد جاء القرآن الكريم بجملة قواعد تؤلف أسسا لهذه الدعائم منذ نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ وقبل أن يوجد أجداد أصحاب هذه النظريات في الوجود الإنساني ..

بل إنقرد القرآن وحده بحل المشكلة الاقتصادية من ناحيتين :

الأولى : إنه وفي المجتمع من تقاوم المشكلات ..

الثانية : معالجة الانحرافات التي تهدد كيان المجتمع ...

ولا يصدر هذا عن القرآن إلا لأنه وحى غير مسبوق البتة : وسأتحديث هنا عن :

١ — الحاجات الأساسية للإنسان عند علماء الاقتصاد وفي القرآن وعن العمل ودوافعه والأجرة والأجر ..

٢ — وعن التوزيع الثروة في نظر الإسلام .. وعن القيمة .

٣ — وعن رأس المال ومفهومه في الإسلام ..

٤ — وعن الندرة الاقتصادية وموقف الإسلام منها ..

وعندئذ يظهر لنا الأسس التي يقوم عليها العمل الاقتصادي في الإسلام ..

أولا : — الحاجات الأساسية للإنسان ..

السلوك الاقتصادي أثر للتحرك الإنساني بناء على الدافع Motive أو

الرغبة Desire في الحصول على ما يحقق له العيش والدوافع أو الرغبة هو الحاجة التي يشعر بها الإنسان لمواد المعيشة ... وقد ناقش علماء الاقتصاد هذه الحاجات وأصاؤها فيها .

فراى Maslow أن الحاجات الأساسية للإنسان خمس مستويات.

- ١ - الطعام ، الماء ، الأخراج ، النوم ، الحرارة ، الحنين .
- ٢ - الأمن المادى : الملابس ، السكن ، تجنب مصادر القلق ..
- ٣ - الأمن النفسى : عطف الآخرين ، الاطمئنان على فرص العمل ومستقبل الأسرة ، صيانة الحقوق والمركز الاجتماعى ...
- ٤ - التقدير الاجتماعى : البناء ، العقوق ، إخفاء العيوب .
- ٥ - تأكيد الشخصية ، الإبداع ، الاتناح الأعمال النافعة .

ويتلخص هذا كله فى مسألتين :

حاجات دنيا هى فى المستوى الأول والثانى .

وحاجات عليا هى فى المستوى الثالث إلى الخامس .

ويرى علماء الاقتصاد أن الحاجات العليا لا توجد إلا عند التقدم الحضارى .

أما الحاجات الدنيا فهى اللازمة لبقاء الإنسان وهى أصل الحديث ..

ولعلماء الاقتصاد نقد ملخصه أن المستويات التى ذكرها (ماسلاو) مسكرة ومتداخلة وأن بعضها لا يصلح أن يكون حاجة أساسية لأن الحاجة الأساسية هى : كل ما يلزم لحياة الإنسان بغض النظر عن درجته الاجتماعية أو العلمية أو السيرة فإذا ما قلنا أن الطعام حاجة أساسية كان ذلك معقولاً لأنه يضم جميع الأفراد تحته . أما إذا قلنا أن المدح والثناء حاجة أساسية كنا نجافين صفة العموم فبعض الناس يعتبر المديح نقصاً .

٢ - أما مالينوسكى Malinowski

فقد قسم الحاجات إلى ثلاثة أقسام رئيسية

١ - حاجات أساسية .

٢ - حاجات متفرعة .

٣ - حاجات ثقافية .

وهذا الرأى كسابقه كذلك لا يحدد القاسم المشترك بين أفراد الإنسان ويلاحظ كل هذا مع أنكال الفرد على ما تبذله له الدولة من خدمات .

أما القرآن الكريم فقد حصر الحاجات الأساسية للإنسان كقواعد للحياة في أربعة عناصر ، ودفع الإنسان إلى الحصول عليها والعمل بجهد لاكتسابها وقرر الإسلام أن العمل فى سبيل تدبر المعاش واجب شرعى وأن المسئول مسئولية واجبة عن توفر هذه الحاجات الأساسية للأسرة هو الرجل ، والمرأة لها أن تعمل تطوعا وذلك كلاً فى آية واحدة : « أن لك إلا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظماً بها ولا تضحى » .

الجوع و الأكل .

العرى الكساء .

الماء الشراب .

المأوى السكن .

وهذا هو القدر المشترك بين جميع أبناء البشر ، وقد سوج الإسلام هذه الحاجات الأساسية بسياجين :

الأول : ضرورة العمل للحصول عليها . .

الثاني : إطلاق حرية الأفراد في نشاطهم من أجل الحصول عليها فالمسلم لا يكون إلا منتجا .

والمسلم حر لا تقيدته غير قوانين الشريعة وهي شروط لا تقلل من نشاطه وعمله أو تعطل من إنتاجه أو تفرض عليها لوبناً خاصاً من المشروعات الإنتاجية ، قال تعالى : « وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها واكلوا من رزقه وإليه النشور » (المالك)

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

(الزلزلة)

ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

وقد حذر الإسلام من الكسل والبطالة - فلقد كان النبي ﷺ يستعيز بالله من العجز والكسل ، وكان ينصح طالبي الصدقات بالاحتطاب والبيع في الأسواق .

### (ب) العمل ودوافعه :

العمل : هو كل إجهاد ذهني أو عضلي يهدف به الإنسان إلى إيجاد شيء يسد به بعض حاجاته .

والعمل بهذه الصفة واجب إسلامي يقول الله تعالى :

« وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . .

« فامشوا في مناكبها واكلوا من رزقه وإليه النشور » . .

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأنحيينه .

حياة طيبة وانجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون .. »

فاستبقوا الجزاء إلى الله وحبكم ...

وفي الحديث:

« أن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه » .

« أن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة » .

« من طلب الدنيا حلالاً تعففاً عن المسألة وسعيًا على عياله وتمطياً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » .

« ما هذا الذي أرى بيدك ؟ قال من أثر المعجزة أضرب وأنفق على عيالي فقبل رسول الله ﷺ يده وقال :

هذه يد لا تمسها النار ..

والعمل بهذه الصورة وظيفة أساسية في أن يحدد الإنسان حاجاته الأساسية في الطعام والكساء والشراب والمأوى ..

فتلك الحاجات هي الحاجات الفطرية التي لا ينفك عنها الإنسان أي تم هي تأخذ مستواها الحضارى بعد ذلك .

فالأكل حاجة أساسية : ونوع العمل وقدره هو الذى يطور مستوى هذه الحاجة الأساسية .

والشراب حاجة أساسية : ونوع العمل وقدره هو الذى يطور شكل ومستوى هذه الحاجة .

والكساء حاجة أساسية : ونوع العمل الذى يبثله الإنسان ومشتواه هو الذى يطور هذه الحاجة الأساسية .

والمأوى حاجة أساسية : وظروف الإنسان الاجتماعية والعسكرية

وحالاته في أيام السلم والحرب هي التي تحدد مستوى عمله في تطوير هذه الحاجة الأساسية .

فالمسلم مثلاً يجد أن الله سبحانه ونعم لي حدد له الغاية من الطعام وهي المحافظة على حياته وفي سبيل ذلك . . . جعل له في حالات الاضطرار أن يأكل ما يحده من المحرمات .

ثم في جانب اليسر جعل له تسب ما أخرجه له من الطيبات يقول الله تعالى: « يا بني آدم كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين » (الأعراف)

قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق . . . .  
فأكل الرجل المسلم حاجة أساسية أحاطها القرآن في سورة الأعراف في لحظة العسرة وفي سعة اليسر ورخاء العيش وقد جعل الإسلام النفقة على العيال واجبة وجعل الحفاظ على حياة الإنسان واجبة وهنا تترك حكمة الإسلام في تحريم الانتحار وقتل النفس بغير حق .

والشراب أو الماء بصفة عامة مطلب أساسي للإنسان في حياته وفي عاداته فعليه أن يشرب ماء نقياً وتنقية الماء تتطلب منه جهداً تحدهه مستويات العمل الاقتصادي، وعليه أن يتوضأ ويفتسل وهذا يوجب عليه أن يسهى اقتصادياً لتبادل هذه الحاجة الأساسية على أرفع مستوى ليحيا وليعبد الله لأن الماء الملوث والتنجس لا تصح به الصلاة ولا الغسل وهي أمور أساسية في الدين .

والسكساء حاجة أساسية ثم هو واجب شرعي لسستر العورة وللصلاة والحج فعلى المسلم إذن أن ينشط اقتصادياً ليكفل حياته هذه الحاجة الأساسية وليستطيع أن يؤدي الصلاة صحيحة ، ولباس الايحص يوم الجمعة شيء ولباس الفاخر من الثياب وجديدها أيام العيد سنة والسنة هنا سلوك إسلامي مرغوب فيه .

وإذن فالمسلم مطالب بالنشاط الاقتصادي الذي يحقق له هذه الحاجة على مستويات الواجب والسنة ليكون متأسياً حقيقة بالسلوك الإسلامي الذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث يقول :

( من رغب عن سنتي فليس مني .. ) .

والمأوى : حاجة أساسية وهو مأوى الإقامة ومأوى الترحال ولقد سبق القرآن الكريم الفكر الاقتصادي حتى الآن في جعل المأوى قسمين : مأوى ثابت ومأوى انتقال . يقول الله تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين » . ( ٨٠ النحل )

فالحاجة الأساسية في المأوى للمسلم مرتبطة بحياته الشخصية وحياته الدينية .

« وهو مهاجر في سبيل الله فلا بد وأن يكون له مأوى .

« وهو حاج لا بد وأن يكون له مأوى كذلك :

مأوى في الطريق ومأوى في الإقامة ..

والمأوى يحتاج إلى مواد بناء ومرافق للحياة . . . كالمياه والأسواق وغيرها . . . والعمل للحصول على هذه المزايا الأساسية ليس حفاً مشروعا فقط كما يذهب إلى ذلك المشرعون للقوانين الوضعية ولكنه واجب شرعى .

وفي سنن الترمذي

« لأن يهدو أحدكم فيحْتَطَب على ظهره فيتصدق به . . . ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو معه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وإيسأ بمن هول .. »

ويقول : إن المسألة كد يكذبها الرجل وجهه .

وفي مسلم :

\* دينار اتقته في سبيل الله .

ودينار اتقته في رقبة

ودينار تصدقت به على مسكين

ودينار اتقته على أهالك ، اعظمها اجرا الذي اتقته على أهالك .

\* لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب الا أخذها الله يمينه فريها  
كما يربي أحدكم فلوه أو قلو صه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم .

\* وعن مسلم :

ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه  
امزعة لحم .

\* أفضل الكسب كسب الصانع بيده . .

\* أن المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك .

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما  
من عيش أو قال سدادا من عيش .

ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحج من قومه لقد أصابت  
فلانا فاقه فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش  
فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحنتا يا كلها صاحبها سحنتا . .

° وفي مسلم :

على كل مسلم صدقة قيل أرأيت إن لم يجد ؟

قال يحتمل يديه فينفع نفسه ويتصدق .



بهذا يخلص الفرد المسلم من الذلة ومن الكسل ويحقق لوجوده حياته  
بالعمل الشريف وبارادته المنطلقة في اختبار ما يجبه . .

“ “ “

ولما كان العمل للحصول على مطالب الحياة الأساسية شأنها وكان واجبا  
فقد اعفى الله المرأة من هذا الوجوب وجعله خاصا بالرجل يدرك المسلم هذا  
في قوله تعالى : -

« فقلنا يا آدم : إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشئ .  
وجه الخطاب إلى آدم وحواء معا فيما يتعلق بتحذيرهما من ابليس حتى  
لا يخرجا من الجنة فان خرجا كانت الشقاوة والتعب لآدم لأنه هو المسئول  
عن تهية وسائل العيش له ولزوجته وأولاده .

وليس في هذا منع للمرأة من العمل ولكن فيه إيجاب العمل على الرجل  
وحده يوضح هذا جليا : لا نسي حتى يصدر الرعاء .

فبنتا شعيب تسقيان الغنم لأن والدهما شيخ كبير لا يقدر على العمل وليس  
لها أخ ذكر يعمل عملهما ولكنهما لم يستطيعا مزاحمة الرجال فوقتنا بهيدا  
حتى ينهى الرجال من سقى انعامهم وذلك سعى ونصب في سبيل الحصول  
على واحد من مقدمات الحياة الاساسية وهو الماء .

فدل ذلك على أن العمل للمرأة مباح في حدود تدبير المعاش وبناء  
الأسرة إن كان طلب الرزق حاجة اليها لعدم وجود من يعطيها أو العجزة  
أن كان موجودا

هذا بالإضافة إلى الاعمال التي يوجبها الإسلام على المرأة . .

فالإسلام يوجب على المرأة أن تكون طيبة ترعى مصالح النساء

إذ ليس من المباح على إطلاقه أن يداوى الطيب المرأة الا عند عدم وجود طيبة من النساء هن . .

والإسلام يوجب على المرأة أن تدرس الفقه للنساء فان في مسائل الفقه قضايا لا يجوز للإسلام للرجل أن يشرحها لها بالاسلوب العادى فان الحياء شعبه من الايمان .

والاسلام يوجب على المرأذ أن تكون ممرضة لافسالم النساء فى المنستشفيات إذ لا يبيح الاسلام مطلقا أن تنكشف عورات النساء على الرجال ..

وذلك كله عامل اقتصادى فى ادخار الشعور بالأمن فى المجتمع وذلك أساس أصيل فى ضمان سلامة الانتاج . . .

#### مستوى العمل :

والعمل الذى يوجبه الاسلام على الفرد المسلم إنما هو العمل الطبيعى الذى تنعته كل صفة إنه العمل المتقن المناسب وليس العمل الردى السىء .

والعمل من الفرد المسلم طاعة لله فالرقيب هنا هو الله وحده . . وفى هذا الجو ترتبط مشاعر العامل المسلم بالله دائما .

لأن الله هو الذى يطلب إليه أن يعمل : وقل اعملوا . .

والله سبحانه هو الذى يراقبه : اعبد الله كأنك تراه فان لم تسكن تراه فانه يراك . .

وفى الحديث :

إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه . .

وذلك القدر هو الذى يعجز عند جميع علماء الاقتصاد . .

أن يقنموا العامة والخاصة بقيمة العمل على هذا النحو الإسلامى الذى

تحتزم فيه الإنسانية ويكرم فيه الإنسان ، حتى ولو ملأوا المكتبات ، بالفقه والنظريات إذ النفس بفطرتها لا تذلل إلا لخالقها ، والتمرد على سلطان البشر أمر مألوف .

وبهذا فقد قرر الإسلام ..

إن العمل هو السبيل الطبيعي لكسب المعاش ..

ولبقاء الإنسان على قيد الحياة ..

وأنة لا يجوز أن يهبط العمل عن الحد الذي يكفل تحقيق الحاجات

الأساسية للفرد المسلم في الحالين : الفردي والديني ..

ولا يسمح الإسلام للفرد المسلم أن يعيش عائلة أو أن يعطل غيره عن العمل أما الناحية الإدارية لتنفيذ هذه القواعد فتراجع إلى السلطة الإدارية في الدولة الإسلامية لأنها تتطور حسب الظروف والأحوال وهي جزئيات تغير وتنقص وتزيد .

وملخص هذا الجزء :

١ - إن العمل واجب .

٢ - وإن الدولة أو الفرد في المجتمع ليس من حقه أن يمنع أحداً عن طلب هذه الحاجات الأساسية بالأسلوب الحلال المشروع بل على الدولة الإسلامية . أن توفر فرص العمل لكل فرد ليحصل لنفسه ولأسرته على هذه المطالب الأساسية .

٣ - وليس من حق أحد أن يقيد نشاط العامل بمحدود أو عمل معين .

وعلى هذا فنكل مال يحصل عليه بغير جهد لا يسمح به الإسلام لأن العمل هو أساس الحصول على الثروة ...

## الأجرة والأجير :

لا تتغير العلاقة بين العامل الأجير وصاحب العمل لمجرد تغير التسمية كما جئنا إلى ذلك بعض علماء الاقتصاد فغيروا اسم الأجير إلى عامل لأن في نظر الإسلام من حق كل فرد بل واجب على كل فرد أن يعمل فطالب الحياة لا تغلب فهي تقهر النفس الإنسانية وتجبرها على السعي للحصول عليها .

ولقد فشل النظام الرأسمالي والسنوي أو الاشتراكي بوجه عام في وضع نظام عادل للعمال .

في الرأسمالية قد يحصل الأجير على أجر يسمح بمستوى مناسب يطيب به العيش ولكنه لا يملك شيئاً من وسائل الإنتاج . وفي الشيوعية قد يملك العامل جزءاً من وسائل الإنتاج ولكنه لا يحظى بمستوى مناسب من العيش .  
وهو الحرية الشخصية في اختيار الذي يعمل له .

.. أما في الإسلام فقد قسم الفقهاء الأجير إلى قسمين .

أجير خاص وهو الذي يقف وقته وجهده على صاحب العمل كالمدرس والموظف الإداري .

وأجير مشترك وهو الذي يعمل في جهات متعددة ومثله الطبيب والمهندس الحر والخياط ..

وفي كلا الحالتين : فإن الإسلام يأمر باعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه فني الحديث الشريف .

أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ..

ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة ومن كتب خصمه .. خصمته :

رجل أعطى بي ثم غدر .

ورجل باع حراً فأكل ثمنه .  
ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه .

### عدالة الأجر :

وإذا كانت الأجور في الغرب تقوم على أساس الخدمة التي يؤديها العامل بغض النظر عن احتياجاته ويرون العدالة في أجور العمال هي التساوي في الأجر نظير نوع العمل المتساوي أو المتشابه ..  
فإن الإسلام يعتبر العدالة في الأجر هي عدالة الكفاية ..

يقول الله تعالى :

« والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء » .

ففي الآيات نص صريح على تفاوت الأرزاق وعدم قبول النفس التنازل عنه إلى العبيد بناء على اختلاف متطلبات الحياة لكل من الصنفين وهذا ابتلاء من الله تعالى لينجز ويمنح عناصر الجنس البشرى ..

\* وتفاوت الأرزاق ظاهرة طبيعية في جميع أنواع المجتمعات قديماً وحديثاً — لأنها تتبع التفاوت في الذكاء والقدرات الخاصة وبالظروف التعليمية والاجتماعية والسياسية بل إن مصاحبة المجتمع وتطوره وبقائه مرتبطة بهذا الاختلاف والتغاير .

فيقول الله تعالى :

« أم يقسمون رحمة ربك ..

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ..

ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك

( ٣٢ - الزخرف )

خير مما يحكمون » .

فالتسوية نسبية لا حسابية فاذا زيد أجر عامل وتزوج ليواجه متطلبات أسرته فإن أجره يزيد على نظيره العزب الذى يشترك فى العمل ومع هذا فإنه يقال بحق إن تحديد الأجرين روعيت فيه التسوية وتقوم هذه العدالة على أساس وجدانى تأمر به المبادئ الإسلامية قال صلى الله عليه وسلم : ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) . . فرعاية حقوق العمال أو الإجراء فى نظر الإسلام لا تقوم على أساس من العمل فحسب ، بل على أساس من الإنسجام الوجدانى الذى يقوم على الحب الخالص لوجه الله .

وفى الحديث : ( ورجلان تحابا فى الله اجتماعا عليه وافترقا عليه ) وذلك ما لا يستطيع أن يعمل به الشرعون الاقتصاديون أو السياسيون .  
وبذلك فقد ضمن الإسلام مستوى إنسانيا لمعيشة الأجير يقوم على المودة النفسية والحب فى الله . .

#### ثانيا : توزيع الثروة :

« كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » . ( ٧ - الخشر )

يعترف الصادقون فى بحوث الاقتصاد إن الاقتصاد المعاصر يرتكب أخطاءً بارزين .

الأول : التعسف فى تحقيق العمالة الكاملة .

الثانى : التوزيع التحوكسى العاشم للثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة .

يقرر ذلك اللورد ميا نينارد كنز فى كتابه :

« النظرية العامة » الذى صدر فى عام ١٩٣٦ . . وذكر أن انجازات أخذت نظام الضرائب الذى يساعد على حل المشكلة غير إنه أبدى تأسفه الشديد لأن

كثرة الضرائب تؤدي إلى التهرب منها . ولذا فقد حكم بأن حل المشكلة عن طريق فرض الضرائب غير مأمون العاقبة .

وقد قرر اللورد ماينارد كنز : إن العضو المستثمر الذي يقدم أهواله للصناعة والتجارة ويقعد عن السعي والعمل لا يعتبر عاملاً في المجتمع بل هو عضو مشلول .

وذهب إلى أن تحقيق العمالة الكاملة في نظره لا يتأتى إلا إذا جعت المدخرات وفائض الإيرادات وسلمت إلى الدولة لتتصرف فيها في وجوه الإصلاح لتحقيق العمالة الكاملة . . وهو بهذا لا يتفق مع المذهب الاشتراكي الذي يقول بتمليك أدوات الإنتاج للدولة .

كما عكف جانب كبير من علماء الاقتصاد على دراسة هذه الظاهرة ومنهم : ايفان دوريه الذي استمر أكثر من عشرين عاماً لاحظ أن ١٠٪ من البريطانية يحصلون على ٤٥٪ وإن ٩٠٪ يحصلون على ٥٥٪ .

وأعاد سبب هذا التفاوت إلى نظام الموارث الإنجائزي الذي يعتمد على الوصية لا سيما تلك الظروف التي سببت دخلاً كبيراً لأصحاب المصانع .

ولذا فقد كانت الوصية التي استخلصها هؤلاء الاقتصاديون :

خفض الأرباح .

ورفع الأجور .

والاتجاه الأمريكي حول هذا يقول : ليس في وسعنا أن ننتج بالعمل الرخيص سلعة تجمع بين الجودة وانقاص التكاليف فهو إذن لا يوافق على خفض الأرباح لأنها تؤثر في نوعية الإنتاج وإن كانت النظرية الأمريكية توافقت على رفع الأجور لأنها تؤدي إلى حرص العامل على جودة الإنتاج . .

فاذا مارجعنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وجدناهما يقرران توازنا بين الربح والأجر وعدم اجهاد المستهلك .

فيما يتعلق بالربح والأجر : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .  
(٣٠ - الكهف)

فحسن العمل مرتبط به الأجر .. فالأجر نسبي بين جودة الصناعة وكفاية حاجات العامل .

يقول النبي ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

١ - وقد حرص الإسلام على ذلك منذ بدء بناء المجتمع الإسلامي ففي غزوة بني النضير قسم رسول الله ﷺ المال وأعطاه كله للمهاجرين لأن الأنصار لهم أملاك وثروة .  
لقد قال رسول الله ﷺ للأنصار :

« إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتهموم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة ؟ فقالت الأنصار : بل نقسم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ونشاركهم فيها<sup>(١)</sup> » .

والدليل على صحة هذا المبدأ إن رسول الله ﷺ أعطى رجلين فقيرين من الأنصار قسما كذلك للدلالة على أن المراد هو عمل تعادل في توزيع الثروة على المسلمين<sup>(٢)</sup> .

وبهذا وضع الإسلام في هذا الفجر الصادق لكل مجتمع إسلامي ناشيء مبدأ توزيع الثروة على المستحقين حتى لا يكون المال دولة بين الاغنياء فقط.

(١) في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٣١ مجلد ٨ ص ٣١١ حياة مجد .

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١١٧ .



٢ - وينظم الإسلام داخل المجتمع الإسلامي عدة مبادئ اقتصادية تساعد على توزيع الثروة على جميع فئات الأمة :

١ - فقد أقر الرقبي والعمري في البخاري :

قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة انها لمن وهبت له والعمري هي .  
تمليك منفعة لاجل تعود بعدها العين إلى المالك أن مات المنتفع أو يملكها  
المنتفع أن مات المالك قبله .

٢ - والهبة ، في البخاري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها .  
وفي سبيل ذلك فقد شرع الإسلام مسألتين :

الأولى : عدم العود في الهدية في البخاري . . العائد في هبته كالكلب  
يئى ثم يعود في قيئه . .

الثانية : واحتقار كمية الهدية في البخاري

ياساء المسلمات لا تحضرن جارة لجارتها ولو فرس شاه . .  
وفيه أيضاً :

لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأحيت ولو أهدى إلى ذراع أو كراع  
لقبلت .

٣ - الزكاة وهي تنظيم متكامل للقضاء على الفقر في المجتمع الإسلامي . .

١ - إذ الإسلام يحدد أن هذا الجزء يخرج لواحد من الاصناف الثمانية

٢ - وأن الإسلام يحذر من البطالة .

٣ - ويحذر من عدم إخراج الزكاة . .

ففيها يتعلق بالنقطة الأولى يقول الله تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عيها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .  
( ٦٠ التوبة )

وأما فيما يتعلق بالمسألة الثانية ففي مسلم :

لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله ، وليس في وجهه نرية لحم .

من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل الجرف فليشغل أو ليستكثر من كان عنده مال لم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع فيقول أنا كذلك .

وأما فيما يتعلق بالمسألة الثالثة ففي مسلم :

يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكن شر لك ، ولا تلام على كفاف وأبدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى .

٤ — ثم هو بحث على الصدقة والعمل من أجلها : ففي مسلم: خيراً الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول .

— إنفاة المحتاج ففي سنة بن داود عن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ :  
أن في المال حقاً سوى الزكاة .

٥ — وجعل الوصية ونظامها عاملاً من عوامل منع الترف .

٦ — وكان الميراث أحد أركان هذا النظام .

٧ — ومن أجل توازن عادل في إستقرار توزيع الثروة جعل هناك نظاماً .

١ — للعارية

كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر .

٢ — العقيقة في البخارى مع الغلام عقيقته فأهريقوا له دما .

٣ — الكفارات : الظهار ، اليمين ، والقتل الخطأ .

٤ — النذور .

٥ — حقوق الجوار : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

٦ — القرض الحسن : من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً .

بهذه الأنظمة :

١ — الأجر المناسب .

٢ — العمل الجيد .

٣ — توزيع الثروة عن طريق تشريعات هي من عبادة الله سبحانه وتعالى

يظهر جانب من الاقتصاد الإسلامى فى جانب توزيع الثروة والأجر والعمل .

ثالثاً : ١ — رأس المال فى نظر الإسلام .

رأس المال فى نظر الإسلام ليس هو النقود وحدها ولكن رأس المال

ثلاثة عناصر .

١ — الأرض وما فيها .

٢ — الإنسان وماله من قدرات .

٣ — والنقود وهي حاصل العمل ويمكن استثمارها فى اتجاهات أخرى .

ويعلمحوظ أن عمل البنوك في المال لا يقوم على إدارها فقط بل هو يربحها عن طريق التجارة أو المشاريع الاقتصادية الأخرى .

١ - أما فيما يتعلق بالأرض كجزء من رأس المال فالقرآن الكريم يقرر:

« الله الذي سخر لكم البحر لتجزي الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

« وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . ( ١٣/١٢ الجاثية )

وإذا كانت هذه الآيات مكية فعنى هذا أن القرآن منذ فجر الدعوة وهو يوجه المسلم إلى حقيقة أساسية هي : أن الوجود هذا كله سخر للمسلم ليطوعه لوجه الله الكريم .

ويقول الله تعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها واكلوا من رزقه وإليه النشور » ( ١٥ - الملك )

« هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » . ( ٢٩ - البقرة )

« وماذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه أن في ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون .

( ١٣ - - ١٤ السجدة )

٢ - أما فيما يتعلق بالقوى العاملة :

فقد جعل الإسلام الذكاء والقدرات الخاصة من نعم الله على الإنسان ليستخدمها في كل ما ينفع وفي كل ما هو خير ..

يقول الله تعالى :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . ( ٧٨ - النحل )

ويقول النبي ﷺ :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير »  
المؤمن كيس قطن ..

٣ - وأما فيما يتعلق بالنقود فقد نظم الإسلام عملية التبادل في القرآن تكريم : « لكي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .  
وأن صح أن يشمل هذا كل ماله قيمة مالية .

غير إننا نستخدمه هنا لأنه هو الأثر الظاهر في العصر الحديث لمعنى الثراء والمال .

وبهذا فإن الأمة الإسلامية بما وضعها الله فيه من أرض لها إمكانيات كثيرة هي أنفس ما تعز به الدولة الحديثة من البترول والمطاط والخشب والذهب والفضة والحديد والفحم والقصدير والثروة المائية .. الخ .

وبما تملكه من إعداد هائلة من البشر ليس لها عذر في تأخرها عن التقدم الاقتصادي وما عليها إلا أن تأخذ بسبيل الإسلام فيها هياً لها الله من الثروات فتعمل بما أتاه من عند الله « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

(ب) وظيفة المال :

لقد حدد القرآن وظيفة المال يقول الله تعالى : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ..

فالمال هو وسيلة العيش وهو أصل تقوم عليه الحركة المعيشية وهذه الوظيفة حرص الإسلام على المال حتى تضمن الأمة الإسلامية عيشاً مستقراً لها .

وجعل الله في هذا المال حقوقاً :

« وأتوهم من مال الله الذي أتاكم » ( ٣٣ النور )

« والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ( ٢٤/٢٥ المعارج )

وحفاظاً على المودة والأخوة الإسلامية فقد أكد الإسلام على المسلم في إخراجه للصدقة أن يراعى مسألتين :

الأولى : النوع الذي يخرج منه الصدقة فقال :

« ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ( ٢٦٧ البقرة )

الثانية : طريقة إخراج الصدقة فقال :

« وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ( ٢٧١ للبقرة )

وقد جعل الإسلام للفرد ذاته وللأسرة والفقراء والمساكين والأيتام حقاً في المال يقول الله تعالى :

« وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب » ( ١٧٧ البقرة )

ويقول النبي ﷺ :

أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على راتبه في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله ( مسلم )

وعند مسلم عن جابر قال : اعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دبر فباع

ذلك رسول الله ﷺ فقال: ألك مال غيري؟ فقال: لا فقال: من يشتريه مني؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بمائة درهم فجاء رسول ﷺ فدفعها إليه ثم قال: ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل من أهلك شيء فلهذي قرابك فإن فضل عن ذى قرابك شيء فهكذا وهكذا..

فوظيفة المال إذ هي: إشاعة الرخاء في المجتمع الإسلامي عامة..  
وبهذا العرض الموجز يتضح أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على دعائم منبثقة عن العقيدة بالله سبحانه وأول هذه الدعائم.

١ - أن المال أساس للحياة الإنسانية وأن العمل حق واجب يأثم كل مسلم لا يقوم بواجبه على قدر ما منحه الله من الذكاء والقوة.

٢ - أن الحركة الاقتصادية حركة تجميع مستقر له سيادة على جميع أفراد وبلاده..

٣ - وأن الثروة الطبيعية هي جزء أساسي من رأس المال الذي يجب على المسلمين أن يطوروه حسب مقتضيات الزمن والبيئة.

٤ - وأن وظيفة المال وقيمه لإشباع حاجات الإنسان الضرورية وإشاعة الخير والرخاء في المجتمع الإسلامي.

وما يخص هذه الأسس كما يلي:-

يقوم الاقتصاد الإسلامي على عدة دعائم:

١ - الجهد الإنساني.

٢ - السيادة والاستقرار للدولة والمجتمع.

٣ - الثروة الطبيعية التي تملكها الجماعة الإسلامية..

٤ - إسهام المال في إشاعة الرخاء لجميع طبقات المجتمع الإسلامي..

فهل للمسلمين اليوم ملجأ يرجعون إليه في طلب العدالة الاجتماعية بعد دين  
الله الحقيقي ؟

أما الله فقد أُنذرنا : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض  
عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » .

وقد وقع المسلمون في هذا الضنك فهل يفيقون ويرجعون إلى شرع الله  
ودينه الإسلام الخفيف لعلمهم يرجعون ؟؟

### رابعا : الندرة الاقتصادية :

يدعى الباحث الاقتصادى ( بيجو ) أن وظيفة الدراسات الاقتصادية هي  
تحقيق أعلى المستويات الممكنة عملياً لرفاهية الإنسان ومعنى ذلك في العرف  
الاقتصادى :

زيادة ما يخص الفرد من الساعات الاستهلاكية والخدمات التي تشبع حاجاته  
مع تخفيف الجهد الذي يبذله في طلب الرزق .

ويستدعى هذا الكشف : عن الموارد الطبيعية التي تساعده بتصنيعها على  
تحقيق هذا الهدف وليكن الواقع المشاهد الآن هو : إن قوى العالم الغربى  
والشرقى قد اتجهت إلى توسيع الصناعات العسكرية وأبحاث الفضاء بما لا يدع  
مجالاً للتفكير في حل الندرة الاقتصادية .

فالتنفقات العسكرية التي تستغل في زمن السلم بلغت أكثر من ٥٠٠ مليار  
جنيه استرلىنى (خمسة مليار جنيه استرلىنى) في عام ١٩٨٠<sup>(١)</sup> . . أما نفقات

---

( ١ ) راجع التقرير السنوي لمركز دراسات السلام الذي نشر في جريدة  
الأهرام يوم الإثنين ٣ من شوال سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢ من أغسطس سنة  
١٩٨١ م العدد رقم ٢٤٥٦٧ لسنة ١٠٧ ص ٥ .



أبحاث الفضاء فقد بلغت أرقاماً مذهلة وكل ذلك على حساب عيشة الإنسان على وجه الأرض .

وبذلك فإن الندرة الاقتصادية قد عقدها الغرب والشرق ولم يعد قادراً على حلها بعد أن تورط في السياق العسكري والقضائي ..

أما موقف الإسلام عن هذه القضية : الندرة الاقتصادية فقد قدم لها الحلول منذ الزمن البعيد :

أولاً: وجه الإنسان إلى الثروة المائية بكل ما في البحر من معادن وحيوانات يقول الله تعالى :

« وما يستوى البحران ، هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ماجح أحجاج ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى النلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون » . ( ١٢ فاطر )

« الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً فيه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . ( ١٢ الجاثية )

فالقرآن يوجه الفكر الإنساني خاصة الفكر الإسلامي إلى الاستفادة من البحر في حل الندرة الاقتصادية التي يبنى عليها بقاء عيش الإنسان في الأرض ..

ثانياً : كما حث على عمارة الأرض وأرشد المسلمين إلى معالجة اقتصادهم عن طريق إضافة أرض جديدة صالحة للانتاج وحدد لذلك مدة ثلاثة أعوام ، لأنها المدة التي يراها الإسلام كافية للعمارة والتملك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

من أحيا أرضاً مواتاً فهي له .

وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين .

ثالثاً : استخراج المعادن من باطن الأرض .

ففي الحديث : المعدن . جبار وفي الركاز الخمس | رواه البخاري ومسلم |

وفيها خمس ما يستخرج كزكاة وأربعة أخماسه لمن استخرجه .

رابعاً : قانون الإنفاق أباح الله الأكل والشرب ولكن بقانون .  
« وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا ، إن الله لا يحب المرففين » ( ٢١ الأعراف )

وجعل التبذير علامة على التبعية للشياطين . « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » .  
( الإسراء )

وجعل الاعتدال من صفات المتقين .

« والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » .  
( الفرقان )

ثم أمر الفرد المسلم أن يكون معتدلاً في كل أحواله : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً » .  
( الإسراء )

وذلك القاون له أثره في حل الندرة الاقتصادية إذ رفاهية الإنسان خاصة إلى الإنتاج والاتفاق معا ، فكثرة الاتفاق مع الإنتاج ، لا تحقق الرفاهية وآنزان الاتفاق مع اعتدال الإنتاج ولو غير كثير يحقق الرفاهية لأن كل فرد سيجد ما يحتاجه دون جهد وبذلك تبرز قيمة من قيم الاقتصاد الإسلامي وهي القضاء على الندرة الاقتصادية . . بكثرة الإنباح وآنزان الإنباح .

خامساً : حرم الإسلام جميع الأنظمة المالية التي تعطل الدورة الاقتصادية  
مثل ١ - كثر المال : «والذين يكتزون الذهب والنفضة لا ينفقونها في سبيل الله  
فبشرهم بعذاب أليم» . (التوبة)

٢ - الربا : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » .  
(البقرة)

٣ - الاحتكار : يقول النبي صلى الله عليه وسلم .  
لا يحتكر إلا خاطيء .

(مسلم وأحمد وأبو داود)

« من احتكر حكره يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطيء » .  
(رواه أحمد)

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » .  
(ابن ماجه)

٤ - والغش : من غشنا فليس منا .

٥ - والغصب : لا يأخذن أحدكم متاع أخيه حاداً ولا لاعباً .

(أحمد وأبو داود)

لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس . (الدارقطني)

٦ - والسرقه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » .

(المائدة)

٧ - وحرمة الرشوة : « لعن الله الراشي والمرتشى والرائش ولا تأكلوا

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام » .

٨ - الميسر : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثماً كبير ..

سادساً : وأباح كل نظام استثماري فيه فائدة للأمة الإسلامية فأحل الله . . .

١ - السلم :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

من أسلف فليسف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل . . .  
(رواه الجماعة)

٢ - والقرض :

« من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة .. » .  
(البقرة)

وفي الحديث :

(ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . . .)

٣ - والشركة والمضاربة :

عن روينع بن ثابت قال :

إن كان أحدنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ نضو أخيه على أن له النصف مما يغم ولنا النصف وإن كان أحدنا ليطيير له النصف والريش وللآخر القدم .

ولو طبق ذلك النظام لانتهد المسئلة الاقتصادية كشكلة في المجتمع الإسلامي وقدمنا للحضارة الحديثة اقتصاداً جديداً سمته :  
اقتصاد الرخاء

فهل من صاحب لب حصيف . . يخلص النية لله ويأخذ بيد الأمة إلى  
حياض الإسلام الخنيف . . لعل الله يرحمنا من بلاء الاقتصاد الذي  
أنهكته حقول التجارب بين أضابير النظريات الشرقية المتداعية والغريبة  
المتعجرفة . . ؟

لعل فينا رجلاً شديداً يأوى بنا إلى ركن الإسلام الخنيف يوماً نجد الله قد  
رضى عنا وجعل من بعد عسر يسراً . . فإنه وحده جل شأنه يبسط الرزق لمن  
يشاء . . ويرزق من يشاء بغير حساب . . ؟

## أهمية الصوم

### وأثره في مجالات الحياة

• شاء الله أن يخلف الإنسان مواكب الملائكة في عمارة هذه الأرض .  
وحسب المخطوط المدونة في علم الله لحركات الإنسان على هذه البسيطة نشأت  
الجماعات وكونت المجتمعات والدول ، واحتاج الناس في إجتماعهم التي  
ينشطون فيها بالحركة وتنشأ في ظلالها أنماط العلاقات السلوكية . احتاج  
الناس إلى قانون ينظم لهم هذه العلاقات لتسير عمارة الأرض على أساس العدل  
والإحسان والرحمة والرفق ... ومن غير شك ليس في الحياة أدق حكمة  
ولا أصوب تقديراً ومعرفة لرغبات الناس إلا الله سبحانه وتعالى ، فأرسل الله  
الشرائع تترى بها الرسل المصطفون لهداية الناس إلى أقوم الطرق الموصلة إلى  
إقامة العدل في الحياة لتكون عمارة الأرض بحركاتهم قائمة على السبيل القويم  
الذي تهفو له البشرية في عمق عواطفها .

• وقليل من عباد الله الشكور أخذ بهذه الشرائع .

• وكثير من عباد الله الذين فتح الله لهم أبواب توبته ورحمته واسعة  
على مصارعها ينادون إلى ساحته بالليل والنهار وإن كثيراً من عباد الله المخطئين  
قد انحرفوا وضلوا فوضعوا قوانين ظنوا فيها العدل لإقامة مجتمع سليم  
فعمت الحياة بالمظالم والنكسات والتهافت .

• والقوانين حسب الظواهر التاريخية لا تنجح إلا إذا إكتتمل فيها  
شروط ثلاثة :

١ - صدورها عن رغبة الجماعة في الأمة : والقوانين لن تصدر كذلك إلا إذا أحست الأمة بالمشكلة فتسن لها قانوناً ينظمها .

٢ - معالجتها للمشكلات عن طريق الرحمة والعدل معاً .

٣ - تلقائية القوانين باحترام الشعب لها من عمق ضميره لآخوفان السجن . ولا رهبة من السجن .. بل حباً في أن يأخذ الإنسان نفسه بالسلوك على منوالها فتفيض نفسه إحتراماً لها .

\* وفرق كبير بين القوانين الوضعية وشرائع السماء .. فانها إن اشتركت على سبيل الفرض والمثال في الشرطين الأولين .. فانها لن تشترك في الشرط الثالث .. ذلك لأن تلقائية القوانين الوضعية مرتبطة بالسلطة التنفيذية التي لا تقبل توبة ولا تحترم اعتذاراً فهي شبه تلقائية سطحية شكلية لا إتصال لها بالقلب والعقل والفكر والإيمان .

\* أما الشرائع السماوية فقد قالت :

« لا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

\* بل هي تذهب إلى أبعد من ذلك في قبول الاعتذار وحب التوبة فتختتم الآية السابقة بقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيماً » ويفضى هذا الأختتام قول الله تعالى هاتفاً بعباده :

« يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم .. لا تقنطوا من رحمة الله .. إن الله يغفر الذنوب جميعاً .. إنه هو الغفور الرحيم » .

\* ويكفي المؤمن طمأنينة أن الله يناديه بياه النسب إليه : « يا عبادي » ففيها من الله التهئية والطمأنينة ما يحقق إيمانياً استقرار النفس وثقة الأمل والجرى السريع نحو الله .. نحو السلام .. والأمن .. والبركة .. والرخاء .. \* هذا من جانب .

ومن جانب آخر :

فان تلقائية القوانين تحتاج إلى تدريب سلو كي يحقق هدف القانون والإسلام وحده هو الذي يمتاز بأنه زواج بين التشريع التقني وبين الوسائل التدريبية ليربي الأمة على تنفيذ الشريعة تنفيذاً تلقائياً . . . ولذلك فان الله سبحانه قد سلب من البشرية كلها سلطة المراقبة العليا على الأعمال والطاعات وردها إليه وحده جل جلاله . . . فيجيب سيدنا رسول الله ﷺ على سؤال جبريل ما الإحسان ؟ فيقول :

« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » . :

\* فالإسلام إذن : عالج بحكمة ربانية جميع الميادين التي تنشط البشرية لعمارة هذه الأرض . . . معالجة بالتشريع المصاحب ( بفتح الحاء ) بالتدريب فجعل الله في العبادة تدريباً للجماعة الإسلامية تنتظم بها ميادين حياتها الذاتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية بل والتربوية أيضاً . . .

\* وكان من تلك العبادة التدريبية التي يحقق بها الإسلام تطبيق القانون السماوي في جميع الميادين التي تقوم عليها حياة شريعة « الصوم » .

\* والحديث عن الصوم كمتغذية لمجالات الحياة يتمخذه الإطار التالي :

١ - الصوم في المجالات التربوية .

( ١ ) الصوم في ميادين التربية أساس متين لخلق الشخصية المستقلة :

فبينما تقوم ضجة في أندية علماء التربية بأوروبا حول تربية المواطن الصالح ويشرعون من المبادئ التي يحفظها المدرسون وتلقن بالتسالي إلى التلاويذ وحسب ، بينما ترى الإسلام يجعل من الصوم تدريباً على الشخصية المستقلة التي



تقبل أن يتنازل عن إشباع شهواتها الجوفية والوجدانية طوال النهار طال أم قصر . وليس عليها من رقيب إلا ربانيتها لله ولا عليها من سلطان إلا رضوان الله والإشفاق من وعيده والرجاء في وعده . ولا يحاسب إلى جيروت الله . . . ولذا يقول الله تعالى في الحديث : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .

إن الصوم الإسلامي الذي أضافه الله تعالى إلى جلاله في الحديث هو الصوم الذي يعلم الفرد المسلم أن يكون ذا شخصية مستقلة في التفكير صائمه عن الفساد الفكري والاجتماعي مراقبة لله في عملها فلا هي دينية محتاجة إلى رشوة ولا هي بليدة محتاجة إلى مراقب ولا هي خائفة ولا هي خبيثة محتاجة إلى تشجيع . . . بل هي شخصية حبيب إليها أن ترضى الله حبيب إليها أن تعمل في صوم طاهر لم يدنس عملها الصائم رشوة ولا طمع في مكافأة ولا رجاء الشكر والثناء . يقول النبي الكريم : « الصيام إجنة فإن كان يوم صوم أحدم : فلا يرفث . . . ولا يجهل . . . وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل : إني صائم . . . إني صائم . . . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

### (ب) الحساسية الاجتماعية وبطلان نظرية الصراع :

وإذا استمعنا إلى أحاديث علماء أمريكا في التربية قالوا إن المواطن الصالح هو الذي يتميز بالحساسية الاجتماعية . ويحدد هؤلاء العلماء تلك الحساسية بأضلاع ثلاثة :

- ١ - أن يحس بآلام المواطنين وأن يندفع بعاطفة جياشة نحو حماها .
- ٢ - أن يحاسب نفسه في سلوكه حتى لا يسلك سلوكاً معادياً يضر الآخرين .
- ٣ - أن يضحى في سبيل الجماعة التي يعيش معها .

تلك هي الأضلاع الثلاثة لمثلث الحساسية الاجتماعية . ولكن أين هو الميدان التدريبي التربوي الذي يصنع المواطن الصالح ليدفعه سلوكياً إلى تحقيق تلك المبادئ حتى تكون الحساسية عنده عاطفة/سيكولوجية مكتسبة يستعملها المواطن الصالح في غرضها النبيل تلقائياً عند اللزوم .

فشلت المنظمات الأوربية في إيجاد ميدان تدريبي يجعل الحساسية صفة تلقائية في سلوك المواطن الأوربي . . بينما الإسلام شرع الصوم تدريباً على خلق عاطفة الحساسية الاجتماعية — المشتركة بين الفقراء والأغنياء لإيجاد مجتمع تتحقق فيه الكفاية والعدل والحنان . . فالصالح الغني عندما يكون صائماً لله إيماناً وإحتساباً ويتذوق مرارة الصوم ويحس بالآلام وعندة كل ما تشتهيه النفس وقر به العين ولا يستطيع أن يمد يده إليه طوال فترة الصوم التي حرم الله عليه فيها أن يتلذذ بشيء ما من نعمه الحلال ويقبل أن يتمنع إيماناً واحتساباً هذا المرء تدمت نفسه الطيبة المسالمة وهي تستشعر من نفسها مواضع الحنان فتتصور بؤس الفقير ورقة حاله . فتنسب نفسه حناناً فياضاً وتمتد يده بغير الله الواسع . . فتملأ بيوت الفقراء بنصيبيها من خير الله الذي وكل فيه الأغنياء فيدرب الصوم المسلم الغني على أعمال الحساسية الاجتماعية تدريباً كماه إيمان بالله واحتساب عند الله ويتضح بالصوم ميدان عملي للتشريع الاجتماعي لاغاثة الفقراء والبائسين تفتحاً إنسياً طبيعياً تلقائياً .

وأيضاً يتذوق الفقير مرارة الصوم ويحتسب صومه عند الله ويصوم إيماناً واحتساباً لله . ثم تسعى إليه خيرات الله على يد الأغنياء الصائمين المسلمين فيستشعر بالصوم في نفسه الأمانة على أموال الأغنياء ويحمد الله على كل خير جاءه . ويفتتح بالصوم ميدان عمل لحماية المجتمع من السرقة ، والانحرافات حفاظاً على أمن الدولة وسلاماً على أموال أصحابها . فتبديت الدورة الاقتصادية في مآمن من التعطيل والتعويق والتسيب وبحل محل الصراع الطبقى الإخاء الإسلامي والحنان الديني :

وهكذا .. يؤاخي الإسلام بين الأغنياء والفقراء المسلمين بالصوم في تربية الحساسية الاجتماعية فيترك في كل نفس حساسية اجتماعية إيجابية ويتعلم كل من الأغنياء والفقراء عملاً إيجابياً بالصوم : « إنه البذل والإنفاق عن حب وطاعة لله من جانب الموسر » .

« وإنه الحمد والثناء والرضا وحماية أموال الأغنياء امثالاً لأوامر الله من جانب الفقير » . وتحمل بركة القناعة والرضا على كل طوائف المجتمع فينتشر الحب والإخاء بين المسلمين .

فأية أمة استطاعت أن تشرع قانوناً أو تربي مواطناً صالحاً كأمة الإسلام ؟ وذلك لأن دينها دين الطبيعة البشرية الحق . . ومن كان كذلك إلا لأنه من عند الله وصدق الله العلي :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

« استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم » .

« ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

٢ — الصوم في المجال الاجتماعي :

(أ) السمو الخلقى :

تتسابق الأمم في تشريعاتها القانونية لخلق مجتمع سام في خلقه تقوم العلاقات فيه على أساس من الحق والصدق والتبذل وتسرى فيه المودة مسرى

الدم الصالح في العضل القوي . وقد تظفر أمة في تشريعها بالسمو النظري .  
ولكن الإسلام وحده هو الذي يمتاز في تشريعه للجماعة بأنه دربها على سمو  
الخلق بالصيام .

فالصيام جنة ووقاية للفرد من الانحراف وحماية للمجتمع من الاسفاف  
لأن الفرد لبنة في بناء المجتمع . .

« فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه  
وشرا به » .

إن الصوم الحقيقي في الاسلام يعلم الفرد أن يتعامل بالحق مع مساكينه . .  
وأن يتحرك في المجتمع على أساس من الفضيلة الواضحة ليست المتلوية  
أو المنطوية . . فمن لم يستجب بكل جوارحه لغايات الصوم فلا يرفث  
ولا يجمل حتى ولو اعتدى عليه غيره . . فعليه أن يستحثه بقوله إني صائم . .  
إني صائم . . فيبث فيه سمو الخلق ونبل العتاب كما أنه لا يجيد عن الحق  
بشهادة الزور وأحاديث الاعراض .

من لم يستجب بكل جوارحه لغايات الصوم السامية التي تخاق مجتمعا  
فاضلا في خلقه متجابا في أفراده متعاوناً في معيشته فليس لله حاجة في أن  
يدع طعامه أو شرا به لأن الصوم في الإسلام ليس ترك الطعام أو الشراب  
ولكنه شيء أسنى من كل هذا ، . إنه إنشاء سمو في خلق الأفراد وبعث  
حب في قلوب الناس وتعويد على الطاعة لولى الأمر المسلم وبذل التعاون في  
سبيل الخير والاحسان والمعروف ونشر للفضائل في حياة المجتمع . . مجتمع  
المودة ، والبر ، والأخلاق الحميدة .

### (ب) الصوم والوحدة :

وليس هذا محسب . . بل إن الصوم ، في مظهره إمسالك من كل الناس

في وقت معين ثم إذا ما هتف الداعي من فوق المآذن الشاخنة عزاً في ملك الله : ( الله أكبر .. حتى على الفلاح ) حوقل المسلمون في بقاع الأرض . وهلوا وقالوا في زمن واحد : اللهم لك صمت .. وبك آمنت .. وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر والحمد لله .

فأية أمة في الغابرين والحاضرين لها من تماسك الوحدة التي لا انفصال فيها أبداً .. بمثل ما للأمة الإسلامية التي وحد الله بينها بالصوم ؟ .

فتذوق الغنى الطافح باليسار آلام الفقير في غياهب الفقر .. وأحسن المتعلم المتليء بالمعارف حاجة الجاهل الخالي من أي شيء .. أحسوا جميعاً بحالة نفسية واحدة طوال فترة الصوم . ثم اجتمعوا في لحظة واحدة على حمد الله والايان به وسد رمقهم جميعاً لقمة واحدة : أية لقمة ...

وابتلت العروق بماء أي ماء ... وكل ذلك إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم .

أن أمة في الحياة لها هذا المظهر الجماعي لتتحدى القوانين والأهم أن يكون لغيرها مثل هذه الوحدة قوة وتماسكاً وتصميماً على القوة والتماسك وصدق الله العلي العظيم :

« لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

فهل يترك المسلمون الاحساس بهذه الوحدة التي ضمن الله بقاءها .. وسلامتها إلى أسلوب آخر من ألوان الارتباط السياسي ؟

( ح ) الصوم والرعاية الاجتماعية :

ليست الرعاية الاجتماعية هي أن يؤخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء ...

فان مجرد الأخذ والإعطاء ليس رعاية . بل قد يولد علاقات البغض والحقد في كلا الطرفين . . . ولكن الرعاية الاجتماعية هي أن يعيش الفقراء في ظل حنان الأغنياء عن إيمان مشترك من الطرفين . . . إن للفقراء حقاً معلوماً وإن الأغنياء أمناء على هذا الحق من قبل الله الكريم .

والصوم في مجال الميدان الاجتماعي هو «دربة» عملية على تمرين الأغنياء على الحنان الانساني وتعويد للأثرىء على الاتفاق والبدل عن طيب خاطر ورضا نفس . . . وهو اعتراف صريح من الاغنياء بأنهم أمناء على حق الفقراء فـ : « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر » .

فيمعلق صوم الصائم بين السموات والأرض حتى يؤدي زكاة الفطر وهكذا يفهم المسلمون من أحاديث رسول الله ويعتقدون فيندفع الاغنياء الذين صاموا لله إيماناً واحتساباً لاخراج حق الفقراء وهو زكاة الفطر ليفك صومهم من العقال الذي علقه بين السماء والأرض ويتقبل الصائم الغنى في حلوة الإيمان هذا العمل الإنساني النبيل بمنتهى اللذة النفسية والفرح القايي : كما يشعر الفقير صاحب هذا الحق أن الله رد عليه حاجته التي ائتمن الغنى عليها فتبدوا في المجتمع روابط الرعاية الاجتماعية « البدل عن حب في جانب الغنى والرضا والقناعة والحمد عن حب في ذلك من جانب الفقير » .

وينجح الإسلام في وسائله التدريبية في إعداد مجتمع تسوده عواطف البر والحنان من غير قهر ولا جبروت . والإسلام بذلك إنما يخاطب عواطف البر في طبيعة الإنسان البشري فهو كمثل طالب اللبن من الضرع إنه يطلب الحنان من مصدره الطبيعي وغير ذلك من القوانين الغريبة والشرقية جافة صلبة تطلب الماء من الصخر وهيئات أن يوجد الصخر بالماء .

وبذلك يتقرر أن الإسلام قد ضمن تنفيذ قوانين التكافل الاجتماعي

تلقائياً فقد أوجد بالصوم التدريبي رابطة البر الاجتماعي بين أفراد البشر  
فهل بعد تلك الرعاية من سبيل .

إن الاسلام قد نظم لنا شئون حياتنا بأضعاف ما نظم لنا أحرانا لأن  
الله صاحب هذا الدين حملنا رسالة الهدى لهذه البشرية :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

فعلينا نحن جماعة المسلمين أن نعدل سلوكنا على نمط قواعد الإسلام حتى  
لا نكون نحن معياراً فاسداً يقيس المبعوضون لنا به قواعد ديننا . . وقد  
بلغت . . والله يشهد .

### ٣ - في الميدان السياسي :

#### ( ١ ) الحرية والمساواة :

تحتاج كل أمة في حياتها الإنسانية إلى الشعور بالحرية وإلى الشعور  
بالمساواة ولكن يستمر وجود الأمة ويستمر فيها شكلها السياسي وأتأطها  
السياسية لا بد أن يشعر الشعب بالحرية والمساواة وقد علم الإسلام أومه ممارسة  
الحرية في كثير من ميادينه التدريبية على نحو ما هو موضح في دراسات  
نظام الحكم في الإسلام . ولكن الصوم له منزلة خاصة يتضح فيها شعور  
الأمة بالحرية وشعورها بالمساواة فعندما يبيت الكل صائماً وقد كان في  
وقت السحر ، كل فرد من أبناء الأمة يجهز ما يتناوله استعداداً للصوم  
أيا كان لون هذا الطعام . وأيا كان هذا الفرد ، فالكل ينوي « نويت  
صوم غد لله العظيم » عندما يسرح خاطر أي فرد من هذه الأمة يشعر بالحرية  
الإنسانية ، فالكل من رئيس دولة إلى أصغر فرد فيها قد نوى الصوم لله  
العظيم وإذن فالحرية الإدارية مكنولة والكل حر في ظل احترام قوانين  
الجماعة ولن يعرقل إلا المارقون على قوانين الجماعة لأن القانون أنظمة أقرتها

الجماعة لتنظيم بها حياتها ، فعلى كل فرد أن يحترمها لأن احترام القوانين احترام لرغبة الجماعة ، وهنا تبدو جليا وظيفة الشرطة إنها ليست تلقين المجتمع القانون لأن القانون هو رغبة المجتمع . بل عمل الشرطة هو رد المارقين عن القانون أو على « رغبة الجماعة » إلى حوزة الجماعة والاعتراف بحرية رغبتها . ذلك هو فقط اختصاص البوليس « الشرطة » انه خدمة الجماعة واصلاح الخارجين على رغبتها . . والجماعة هي صاحبة الحق الأساسى فى ممارسة الشرطة ذلك الاختصاص ، وفى الجو الإسلامى يأتى دور الصوم ليرفع يد السلطة عن إرادة البشر المسلم .

فالصوم الإسلامى تدريب للجماعة والفرد معاً على ممارسة الحرية ممارسة تكفل حرية الفرد والجماعة فى تحقيق رغبة الكل فى سبيل الصالح العام . إذ الصوم درس عملي يحدد معنى الحرية ومعنى المساواة ، ومثل هذه الحرية التى يشعر بها المسلمون الصائمون يشعرون كذلك بالمساواة فالكل قد تساوى فى امتثال الأمر الإلهى ، لأن الكل صائم لله فهم متساوون أمام - القانون الإلهى والذين يفطرون أيا كانت رتبهم خارجون على مشاعر الجماعة ويجب معاقبتهم . والتاريخ القديم والحديث لم يعرف أمة تساوت فيها جميع الطبقات مثل الأمة الإسلامية فقد تساوى فيها الرئيس مع أقل أفراد الدولة فى الحقوق والقضاء أمام القانون ويؤكد هنا المساواة قول سيدنا عمر بن الخطاب : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه . ويقول : أخطأ عمر وأصاب امرأة .

وإن الصوم الإسلامى أداة تدريبية لشعور الشعب بالحرية وشعوره بالمساواة وهو بذلك قد ضمن لدولة الاسلام الاستمرار والبقاء فى ظل القوانين الإسلامية التى شرعها الله وآمنت بها الجماعة واثمنت على تليفها للناس .



## ( ب ) الصوم والاكتفاء الذاتى :

تحتاج الأمم فى بعض ظروفها السياسية إلى قطع العلاقات مع دول أخرى ، فيتسبب عن ذلك نقص فى بعض الحاجات التى تستوردها الدولة وقد عاش الاسلام فى فجر حياته على أرض مقفرة جدبة فكان لا بد له أن يعلم أبناءه الاكتفاء الذاتى على المواد المحلية . فدرّبهم الاسلام بالصوم على الاكتفاء الذاتى لمنتجات الجزيرة فى ظروف الحصار الاقتصادى أو الضغط السياسى لاسيما وقد مارس أعداء الدعوة لوناً من المجابهة ، الاقتصادية فى شعب بنى هاشم .

فبينما تقبل الأمم غير المسلمة مبدأ الاكتفاء الذاتى رغم أنها لم تدرّب طوال حياتها على هذا العمل . نرى المسلمين قد درّبهم الصوم طوال ثلاثين يوماً كل عام على مبدأ الاكتفاء الذاتى وذلك تأكيداً لمعنى الشخصية المستقلة التى تقرّر مبدأ سياستها بناء على رأيها وظروفها هي غير متأثرة بضغط ولا بحصار . ولا باملاء من أجنبي . . وذلك أيضاً من أساليب الحفاظ على حرية المسلمين وبقاء إرثهم كاملة فى حرية تصرفها على أساس من التشريع الذى ارتضته من الله دينا .

## ٤ - فى الميدان الاقتصادى :

### ( ا ) الكم يؤثر فى الكيف :

وبعد جهاد وصلت الأبحاث الاقتصادية إلى القانون الاقتصادى « الكم يؤثر فى الكيف » فإذا كثرت المادة فى يد فرد كانت سبيلاً إلى تغيير أوضاعه السلوكية ، وكذلك إذا قلت المادة فى يده تغيرت أوضاعه السلوكية كذلك .

ولكن الإسلام من قبل قد أدرك هذه العلاقة بين المادة والسلوك فهتف :

« إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى »

« يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله .

فالقوى ووسائل الإنتاج هبة الله إلى الناس ، فالإنسان فقير في حاجته إلى هذه الوسائل فعليه أن يؤدي ضريبتها لتستمر هبة الله له ، ومن هنا يظهر معنى دعاء الرسول ﷺ :

« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . »

إنه دعاء إلى الله بسلامة أدوات الإنتاج وحتى يشعر الفرد بحاجته إلى تلك الأدوات في الإنتاج فرض عليه الصوم لتقلل فيه قوته على استمرار الإنتاج فيدرك أن أدوات الإنتاج فيه هبة من الله وأن سلوكه الانتاجي مرتبط بقوتها وضعفها فيعطى من إنتاجه حقوق الفقراء لتستمر هبة الله له أو تبقى أدوات الإنتاج له سليمة ، فنحن نرى أن الإسلام قد عالج قانون الكم يؤثر في الكيف من زاوية توجيه الكم إلى الخير واعتقاد صاحب الكم ووسائله من الله هبة ، وأنها هبة نظير ضريبة . والصوم وحده هو الوسيلة التدريجية التي تدفع المسلم الصائم إلى الايمان بهذا التوجيه وإلى الاعتقاد بهذه الهبة وبضريبتها .

وأن المسلم ليرفع رأسه عالياً بين علماء الاقتصاد لأنهم وضعوا قانوناً في أوراق لا تعينه عاطفة ولا تحميه عقيدة ولا توقفه موعظة، ولكن الإسلام وضع ديناً يوقظ المسلم إلى الكمالات والخير في جميع الميادين ، ولا ريب فإن الإسلام أغلى هدية من الله إلى الناس . . وأكرم به من هدية وأعظم به من دين .

## ٥ - الصوم في الميدان الترويجي :

لم يرد الاسلام أن يقيم احتفالاته القومية على نظام واقص فوضوى ،  
يسمح فيه الناس أشتاناً صائحة هائمة ، بل نظم الاسلام مواسم الاحتفالات  
تنظيمياً يبي للجماعة الإسلامية طهر ذكرباتها ، ويحفظ عليها كبرياءها ، ويجدد  
فيها العزم ويشحذ فيها الهمم .

١ - في رمضان نزل القرآن الكريم وهو دستور هذه الأمة :

« إنا أنزلناه في ليلة القدر » .

وهى ليلة واحدة فضلها الله في عبادتها على ألف شهر كانت في الماضى  
لأمم قبلنا .

٢ - وفي رمضان كانت غزوة بدر الكبرى وهى أول حرب إسلامية  
نزل فيها مدد الله إلى جيش الاسلام وسمعت العرب لأول مرة بأن عمداً الذى  
هاجر إلى مكة فريداً قد صار له جيش هزم قريشاً . وفي بدر وضع أول  
قانون دولى للمقاصدة من أموال المعتدين ، فكان الاسلام أسبق من العالم  
الحديث فى وضع القانون الدولى الذى يحترم سيادة الدولة على أملاكها  
وحقوقها المشروعة .

٣ - وفي رمضان أتم الله على المسلمين فتح مكة فدخلت العاصمة التى  
بها كعبة الاسلام فى حوزة الدولة الاسلامية فاكتمل للاسلام مقومات  
الدولة الرسمية .

تلك مواسم كلها ذكربيات تهيج فى قلوب المسلمين فرحة النصر وفرحة  
الهبّة الكبرى « دين الاسلام » فشرع الله الصوم إحياء لتلك المواسم واحتفالاً

طاهراً عبقاً ركباً بتلك الأعياد . ليعلم الاسلام الشعوب نظافة الاحتفالات بالمواسم . وفي ظلال هذه الابطهالات المرية للشخصية والجامعة للوحدة المدربة على السلوك الاجتماعى والسياسى والاقتصادى تبرا الأقسام وتصح الأبدان والأمة قوية الأبناء أعز سلطاناً من الأمة التى صغر فيها بكروش الاستسقاء أو أصابهم شحن التبخمة والاعياء .

ويلاحظ المشرعون أن الله أعفى المرضى والمسافرين من الصوم لأن الميدان التدريبى لا تكمل نتيجته إلا حيث تكون أدوات الادراك كاملة التفرغ وقد شغلها المرض والسفر فبات المريض والمسافر فى حل من حتمية هذا التدريب ، والمشرعون إذ يلاحظون هذا إنما يقفون موقف الإعجاب والاكبار لانسانية القرآن السامية التى تحترم ظروف البشر ، ويقدرّون فى عجز منهم دقة السياسة التشريعية للاسلام وإصابته للهدف عن قرب قريب .

وبهذا العرض الموجز جداً على طوله تفتح معانى هذه الآيات الكريمة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخرى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

وبذلك تتضح معالم الاسلام الحنيف فى حديث سيدنا رسول الله ﷺ

« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

### وأخيراً :

فهذا هو الصوم تهذيب وتربية للفرد في خلقه وعزيمته وشخصيته وتربية للحساسية الاجتماعية وتمارين على عواطف البر الاجتماعي وتدريب على الاكتفاء الذاتي وتوجيه إلى تأثير الكم في الكيف إلى نواحي الخير والاحسان واحتفال طاهر بمراسم الخير والدستور والنصر وهو أخيراً عبادة إلى الله يكافئ الصائم إيماناً واحتساباً بفيضه الرباني الواسع .

هذا هو الصوم الذي أراده الله في شريعته وهو الصوم الذي صامه سيدنا محمد ﷺ - نبي هذه الأمة . وصامه أصحابه أعلام الجهاد الصادق ، صوم يخاف مواطناً ويوحد شعوباً ، ويربى قيادة ، وينظم عاطفة ، ويوجه إلى الخير ، ويدعو إلى التعاون ، ويرغب في البذل والعطاء ، ويحث على الفضيلة والود: إنه العمود الرابع في بناء هذه الأمة وهو السياج الحصين لشخصية أبنائها ، وهو الاعلام الطاهر للاحتفال بأعيادها . فصوموا كما أراد الله .. يغفر الله لسكم ذنوبكم .

لقد أكل الله هذا الدين .. فلن ينقصه أبداً .. وارتضاه للناس ديناً فلن يسخطه أبداً .. وأنزل كتابه للبشر دستوراً فسوف يحفظه أبداً .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

« ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .

رد الله على المسلمين دينهم وأخذ بنواصيهم إلى رياض شريعته ، وأضاء لهم طريق الحياة في زحمة الظلمات . ووفق القادة إلى دينه . . فقيه العزة . . وهو الحياة .

وأختم هذا الحديث بقول سيدنا رسول الله ﷺ :

« أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . . من أن ينزل علي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتيبي حتى ترضى . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

## أخلاقيات البيع والشراء في الإسلام

إن الأخلاقيات الاقتصادية في نظر الإسلام هي غايتنا من هذا البحث ليتعرف المسلمون على أسلوب الحياة الإسلامية التي يريدنا القرآن الكريم وذلك لأن الحياة في أي مجتمع تقوم على أساس تبادل المنافع بين الناس فيه لأن القاعدة التي تتبع من ظاهرة التحرك اليومي للعلاقات الإنسانية في المجتمع هي : ( أن الإنسان لا يمكن أن يعيش وحده )<sup>(١)</sup> .

— والتبادل المنافع في نظر الإسلام لا يمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هي منفعة ، لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن ألوانها سلوك القائلين بأن الغاية تبرر الوسيلة .

— وقد ترتبط بالأناثية ، ومن ألوانها ايثار الذات على مصالحة الجماعة .

وقد تجر كثيراً من المتاسد إذا كانت المنفعة هي الحيثية التي يتبادل الناس على أساسها مصالحهم في علاقاتهم الاجتماعية ، فتبتعد الإنسانية بذلك كثيراً عن مميزات كرامتها .

— ولذا تبادل المنافع في نظر الإسلام مرتبط طرداً وعكساً بالقانون الاسلامي الذي يعتبر النية أساساً في تقبل الأعمال الصالحة عند الله ، والذي

---

(١) نرجو أن يرجع القارئ إلى بحثنا عن ( المشكلة الاقتصادية في ضوء الاسلام الحنيف )

حدد ألواناً من التعامل كسلوك مرغوب فيه ، وحرّم أشياء كمنهوبات يعاقب كل من انتهاها في سلوكه ؟!

— القانون الاسلامي قانون سلوك ، لا قانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة في الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين في نفس كل مسلم ( أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ) .

إنه لا يركن إلى رهبة المجتمع من الحاكم ، إنما يركن إلى حب الله ورسوله وجماعة المؤمنين .

( لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما )  
«رواه البخاري»

( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) «رواه البخاري»  
— «إنما المؤمنون إخوة» ( الحجرات )

— أما القانون الوضعي : فهو صورة إرهاب ، لأنه لا يتحدث إلا عن المخالفات ، ولا يضع في اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل ؟!

— ولهذا : فإن القانون الإسلامي يعتبر الأخلاق عنصراً أساسياً عند التشريع :

( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) (١) .

( ادبروا الحبلود بالشبهات ) (٢) .

---

(١) رواه الحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والبخاري في الأدب  
حديث حسن .

(٢) رواه ابن عدي في الكامل .



— أما القانون الوضعي : فانه يأخذ بالشبهات وأكثر ما يدعيه أنه لحماية الأخلاق ولكن الذي سنه في هذا الصدد هو عقوبات المنحرفين .

\* \* \*

وإذا سلطنا الضوء على الجانب التجارى : البيع ، والشراء . . . وجدنا أن القانون الاسلامى يحدد عدة قضايا ، منها :

الأولى : السعى إلى طلب الرزق :

— فقد روى عن رسول الله ﷺ : « باكروا طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح »<sup>(١)</sup> .

ويقول :

« إذا صليتم الصبح فلا تناموا عن طلب أرزاقكم ، فان نوم الصبح يمنع الرزق »<sup>(٢)</sup> .

— وقد اتخذت هذه القاعدة إلى التنفيذ أجل طريق فيما يرويه سيدنا أنس .  
رضى الله عنه : « أن النبي ﷺ دخل على فاطمة رضى الله عنها بعد صلاة الصبح فوجدها مضطجعة ، فحركها ، ثم قال : يا بنية قومى فاشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الحجر إلى طلوع الشمس » .

— وبوجهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا في دعائه لنا : « اللهم بارك لأمتى في البكور »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى فى الكاهل .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه أحمد ، وابن حبان ، وأصحاب السنن .

الثانية : أن التجارة خدمة إجتماعية للمجتمع الإسلامى ، وليست وظيفة مالية مهمتها إنماء الثروة الاقتصادية فحسب . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » . ( النساء )

- فليست التجارة فى نظر الإسلام وظيفة مالية بالدرجة الأولى ، وإنما هى خدمة إجتماعية لمصالح المجتمع الإسلامى بالدرجة الأولى والأولية .  
- وعلى هذا تبنى عدة أخلاقيات :

### الأولى : أنه لا غش :

-- يقول النبي ﷺ « من غشنا فليس منا » (١) .

ويقول : « من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع فى النار » (٢) .

ويرسم النبي ﷺ صورة نفسية للتاجر الغاش فيقول : « من باع شيئاً فيه عيب لم يبينه لم يزل فى مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه » (٣) .

- فأى معاصر هذا الذى عنده من الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم الأرزاق ، ومالك الملك ؟

- ومن ذا الذى يستطيع أن يتحمل مقت الله ويطبق لعنة الملائكة ؟

تلك صورة النفس التى يتاجر صاحبها فى غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة أو النبي ﷺ يعظ معاصر التجار فيقول : « التجار يبعثون يوم القيامة نجاراً ، إلا من أتى وبرد وصدق » .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) الطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية .

(٣) رواه الترمذى .

فيرسم النبي ﷺ بطريق هز المشاعر فيهم وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم القيامة ، أمثل الطرق التي تؤدي بها التجارة وظيفتها كخدمة إجتماعية للمجتمع المسلم .

- ويحدد النبي ﷺ أسلوب التعامل في البيع ، والإعلان فيقول :  
( أن صدق البيعان ، وبيننا ، بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربهما ما ، ويمحق بركة بيعهما ) .

- وقدم النبي ﷺ على رجل يبيع طعاما فأدخل يده فاذا هو مبلول ، فقال : ( من غشنا فليس منا ) (١) .

وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتعوذ من التاجر فيقول :  
( اللهم لاتطمع فينا تاجراً ، فان التاجر يحب الغلاء ) .

الثانية : أنه لا احتكار ..

- يقول النبي ﷺ : ( لا يحتكر إلا خاطيء ) .  
ويقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والأفلاس (٢) .

- ويقول : ( من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان على الله أن يقعه بمعظم من النار ) .

الثالثة : أنه لا حلف .. من أجل ترويج السلعة .

- يقول النبي ﷺ « الحالف منفقة للسلعة ، محقة للبركة » (٣) .

(١) ابن ماجه ، حديث حسن .

(٢) أحمد ، وابن ماجه ، ورواه بلنظ آخر الحاكم ، وأحمد بن حنبل ،

حديث حسن

(٣) رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائي .

ولم تبلغ التجارة في مجتمعنا الاسلامي المعاصر مستواها المهـوذ اليـوم  
إلا لأنها تخلصت من ربة النظام الاسلامي وتجاقت مع أخلاقياته :

• أنه لاغش .

• أنه لا احتكار .

• أنه لا حلف .

• ومن جليل ما يشرعه الاسلام .. كسلوك أخلاقي بين البائع والمشتري:

١ - السماح : يقول النبي ﷺ :

( رحم الله عبداً سمحاً ، إذا باع وإذا اشترى ، وإذا اقتضى )<sup>(١)</sup> .

ويرسم النبي ﷺ صورة رائعة للمتساعين المتساهلين في تبادل منافعهم  
بالبيع والشراء فيقول :

( ألا أخبركم بمن حرم على النار وتحرم عليه النار ؟ كل قريب هين ،  
سهل إذا باع ، سهل إذا اشترى ، سهل إذا اقتضى ، يقول الله تعالى يوم  
القيامة له . أنا أحق بذلك منك ، ساعوا عبدي وتجاوزوا عنه كما كان يساع  
في دار الدنيا ) .

٢ - الوزن بالقسط: يقول الله تعالى «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

الميزان » .

• وقد هدّد الله المطففين في الكيل .

« ويل للمطففين : الذين إذا أكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا  
كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم »  
(سورة المطففين) .

---

(١) البخاري ، وابن ماجه .

٣ - تحريم الربا : يقول الله تعالى:-

- « يحق الله الربا ويربي الصدقات » (سورة البقرة) .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . وذرُوا ما بقي من الربا »  
(سورة البقرة) .

- إن الربا يصور جريمة بشعة في نظر الأخلاق التي يحرص الإسلام على نفاها وتنقيتها ، ولهذا فالربا هو الذنب الوحيد الذي لم يقترن بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على العكس ، فقد أقرن الربا بالتهديد والوعيد بالحرب من الله ورسوله « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (سورة البقرة) .

ولهذه العلة — ذاتها — وضعت آية تحريم الربا في سورة آل عمران وسط مجموعة الآيات العسكرية التي تصور معركة بدر وأحد إيداناً بأن الربا خلقية إنحرافية لا يشفى منها المجتمع إلا بمثل هذا الأسلوب .

أسلوب الحرب الذي توسطته آية « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

وأسلوب الحرب الذي توعد الله به آكل الربا « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (سورة البقرة) .

- إن التجارة وظيفية إجتماعية من ثلاث نواح :

الأولى : أنها خدمة المجتمع في تيسير الحاجات ، وقضاء المضاح ، وتسهيل تبادل المنافع بين الناس .

الثانية : أنها نبض للدورة الاقتصادية ، ولذلك حارب الإسلام كنز المال ، لأنه معطل لها يقول الله تعالى :

« والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكزون . » ( التوبة )

الثالثة : أنها رُفد للزكاة يخرج منها قدر محدود بالقانون الإسلامي لتحقيق جانب من الرماية الإجتماعية التي ينفذها المجتمع الإسلامي . . حسبة ، وعبادة ، ورعاية لحقوق الله وإخوانه المسلمين في المجتمع .

هذه النواحي الثلاث ، مضاف إليها جانب الفرد نفسه ( جانب التاجر ) فانها تدر عليه ربحا وهو حلال إذا استعمل المنهج الإسلامي وأخلاقياته في البيع والشراء فتكفيه مؤنة العيش ، وتدفع عنه مذلة الحاجة ، بل أنها تقوية على أداء حقوق أسرته ..

- وقد شرف الله تعالى التجارة فكانت عمل ثلة من الأنبياء الأكرمين .. ومشهور أن النبي ﷺ كان يتاجر للسيدة خديجة أم المؤمنين الأولى رضی الله تعالى عنها ، وقد كان الربح الذي در عليه من عند الله . . واخذ من أرهاصات النبوة ، كما هو محفوظ في كتب التاريخ والسيرة ؟

- ولهذا فان التشريع التجاري في الإسلام بالإضافة إلى أنه وحى من عند الله فقد صدر عن أخصائي كبير ، وخبير أمين مارس التجارة ، وخبر مدارك التجارة ، وعرف سيكلوجية المشتري ؟

وقد ذخّر التشريع الإسلامي بعدة قضايا . هي حصيلة خبرة رائدة ، ووقفة تشريع معصوم .

الأولى : أحل الله البيع وحرم الربا .

الثانية : لا محاقلة - بيع الزرع في سنبله

الثالثة : لا مخاضرة - يبيع النمار والحبوب قبل أن يتم صلاحها .  
الرابعة : لا ملامسة - أن يقول البائع للمشتري : إذا لمست الشيء فقد  
اشتريته دون خيار .

الخامسة : لا منابذة - جعل طرح الشيء ونبذہ .. يباع -

السادسة : لا مزايئة - يبع الرطب بالتمر ، ويبيع الغنم بالزبيب .

السابعة : لا تتلقوا الركبان : وهو عبارة عن : مقاطعة طريق التجار قبل  
التعرف على سعر السوق .

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد (لا سمسرة) .

التاسعة : لا يبيع الرجل على بيع أخيه ؟!

\* \* \*

تلك هي موازين البيع والشراء كسلوك سوى في العمل التجارى  
الحلال .

وهي تتضمن :

الحفاظ : على تبادل المنافع التي يحتاج إليها المجتمع على مستوى فاضل  
يحقق الأخلاق الفاضلة وهي في أدق مفهومها عند المسلم أنها عبادة لله بامتثال  
هذا القانون .

والحفاظ .. على استمرار الدورة الاقتصادية دون شره أو طمع أو  
غش ، ودون تضخم في الميزان التجارى ، ودون أرهاق بأسلوب العرض  
والطلب للقوة الشرائية .

والحفاظ .. على جانب من حصيلة الرعاية الاجتماعية : الزكاة التي يقدمها  
المجتمع عن طيب خاطر وقاية للضعفاء وإبتغاء مرضاة الله .

\* \* \*

- فهل هناك بعد هذا تشريع ؟؟

- فمن أصدق من الله حديثاً ؟؟

- فهل يفوق المسلمون ؟؟

ومتى ؟ ؟

- لعلمهم يستيقظون - إن شاء الله .



## أيدولوجية الدولة الإسلامية

حتى بداية القرن السابع الميلادي - وقبل بزوغ شمس الإسلام - لم تعرف الدنيا أسلوب الدولة الأيدولوجية ، كما لم تقم دولة بناء على رغبة من الأمة واجتهاد في إكمال بنائها بكل مرتخص وغال . . حتى كان الوحي إلى سيدنا محمد ﷺ وكانت مواسم الخير في شهر رمضان تؤذن لأول مرة في تاريخ البشرية بمولد دولة ذات أيدولوجية .

فالدولة القديمة كان أسلوب بنائها أحدث أمرين :

\* الوراثة عن الأجداد والأبء ، والأمة تخضع في ولاء مقدس يحيط بهم الخوف والرعب من هيئة الحكم ، وطغيان الحاكم مثلما كان الحال في دولة فارس المجوسية .

\* والغلبة العسكرية تلك التي تفتصب الحكم بالجبروت العسكري فتهلك الحرث والنسل والناس تبعاً لصاحب السوط والصولجان لاحول لهم ولا قوة مثلما فعل قسطنطين ثم شارلمان من بعده .

وهذه الدول تنسم بالديكتاتورية والقسوة والعنف والكبرياء للحاكم والذلة للشعب ، لكن الإسلام لما نزلت آياته في شهر رمضان كانت تنشئ لأول مرة في حياة الإنسان البشري معنى جليلاً لقيم دولة أيدولوجية .

تتوهم الفرد وهي تأخذ بيده إلى الغاية العليا من حياته وهي أنه بإيمان بالله سيصير سيد هذه الأرض ، وصاحب شخصية خالدة تمتد في آثارها وأعمالها على طول السنين ومن بعد موته ، ثم هو صاحب حياة أبدية بأعماله

الصالحات في الآخرة ، ومن خلال تربيته بالوحي الحكيم ترشد له عقله وتدفعه إلى التفكير والتدبر ، وتنصحه ألا يكون مقلداً وتدعوه إلى الحركة والعمل والإنتاج من أجل نفسه وأخوانه في يومه ولغده . . ثم لمستقبله .

وسبيل التربية التي تدعو إليها دولة القرآن : العلم ، والقدوة ، والمحبة والعالمية الإنسانية التي تربط الناس جميعاً برباط واحد هو الإخاء الإنساني الذي يلغى من حسابه موازين الطبقة ، اللون ، واللغة ، ويجعل الميزان في طام القيم هو طاعة الله وتقواه . . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

• وتجعل الجماعة جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر والجماعة الإسلامية جماعة مسئولة عن العدل والقسطاس والاحسان والمعروف والعفو عن اللوم وأداء الأمانات . . « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

والجماعة الإسلامية هي الصورة الراقية للمفهوم الإنساني في محفل العلاقات، « ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى » - « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » . « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

ولم تكن الجماعة الإسلامية صاحبه اعتراز بالذات فوق البشرية بل كانت

مصدر تقدير ونكريم للناس كافة : « ولقد كرمنا نبي آدم وحملناهم في البر والبحر وزرقتهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » .

فهي جماعة العدل ، والعمو ، والكرامة ، ثم هي جماعة تحمل المسؤولية فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . وهي جماعة تحترم تصرف الفرد فيها وتتحمل مسئوليته فالمرأه في الاسلام تجير من العجا إليها والجماعة الاسلاميه تلتزم بمن تجيره ( نحن نجير من أجارت أم سلمة ) ما لم يكن ذلك في حد من حدود الله تعالى .

ولا تقوم علاقات الأفراد والجماعات على المصاحبة الخاصة بل هي تقوم على عنصرى الأخوة والأخلاق . « إنما المؤمنون أخوة » - « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » .

\* وتلتزم الدولة الايديولوجية في تبليغ أهدافها بمنهج وأسلوب خاص : هو : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

وهذا المنهج له أسلوب قد تكون الحرب واحدة من مفهوم الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فاذا ما قدمت الدولة أيديولوجيتها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج المتينة ثم ركب الناس رؤوسهم فوقوا حجر عثرة في سبيل نشر لواء التوحيد وهي غاية الغايات في أيديولوجية الدولة الاسلامية موقف دولة الإسلام ؟ .

أنها وضعت أسلوباً لذلك لا يعتدى فيه على متعبد ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة آمنة ولا تهلك حرثنا ولا نسلا ولا سكتها تعمد بجيوشها المسلمة لتحطم صنائدب الطغيان وحماة الكفر فتقيم حرباً عادلة أما للتأديب ، وإما للدفاع ، وإما للوقاية من عدوى طغيان الظلمة والفساقين .

ودولة القرآن ليست عرقية خاصة يقوم ولا محلية خاصة بجنس ولا مكانها عالمية منذ أسست فيها تساوى السيد والعبد وآخى العربى والفارسى، وصارت عقيدة الإسلام هى الوطن والجنس وهى الآصرة والقرابة والنسب .

• والحكم الذى ترتضيه أيديولوجية دولة القرآن هو الشورى وهى ليست سنة ولا هى واجب فقط بل هى صفة لازمة للجماعة الإسلامية أنها أصنو الصلاة وصنو الطاعات اللازمة لوصف الجماعة بالإسلام « والذين يحتنبون كباثر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

وهى صفة لا تسقط حتى ولو أخطأت الجماعة كما حدث فى أحد فقد نزل « فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

وعندما يأتى رمضان تبرز قيمة الأيديولوجية الإسلامية لمهوم الدولة تلك التى أسسها الناس برغبتهم فى مكة حيث واجهوا صنوف ألوان التحدى والتنكيل وفى المدينة حيث لم يهاجر الرسول ﷺ إلا بعد أن عقد مع أهل يثرب معاهدتين : الأولى معاهدة أخلاق وسلوك ، والثانية معاهدة تناصر عسكرى فلما حل بالمدينة المنورة وجد أمة مسلمة فأخى بين مهاجرىها وأنصارها ، وكان ذلك بارادة تامة للناس أجمعين من الذين شاهدوا مولد هذه الدولة ولذلك كانت الحماسة شديدة الإرادة للدفاع عن أيديولوجية الدولة الإسلامية .

## المرأة في الإسلام

موضوع المرأة في الإسلام شيء له أن يقلب على كل الوجوه وأن يعرض في مظاهر شتى كأنما هو موضوع خطير ومعضل لما ينته الإسلام من جسمه وانتهاء الرأي فيه ... وهكذا شيء لهذا الموضوع أن يطرق كثيراً بل شيء له أن يقام له مؤتمر خاص أو مهرجان فكري خاص لغرض نحن لا نحسن النية تجاهه وإن حسنت نيات المشتركين فيه لأنه لا رأى لمسلم ولا لمسلمة إذا قضى الله ورسوله أمراً .. وقد انتهى منذ أربعة عشر قرناً من موضوع المرأة في الإسلام وطبق شرع الإسلام في حكومات شتى وبلاد شتى ، وعصور شتى وأزمان شتى ولم تظهر قضية المرأة في مجتمع الإسلام على أنها مشكلة إلا بعد أن ظهر الغزو الفكري الأوربي ، وأصغر الفكر الشرقي أمامه فأصبح الفكر الغربي هو الوجه للفكر العربي المسلم وتسلب موضوع المرأة كموضوع من موضوعات المشكلات الاجتماعية لأهداف كثيرة أقلها خلع الاعتقاد في صحة النظام الإسلامي للأسرة في العصر الحديث ، والمطالبة بتطوير التشريع الإسلامي على سنن النظام الغربي ... وبذلك يكسب المخطط الاستعماري الثقافي مكسباً ضخماً وهو أن حول فكر المسلمين في أدق عناصر حياتهم في موضوع الأسرة وأبعدهم من النظام الإسلامي .

ومن الغريب جداً أنه في اللحظة التي نرى فيها الفكر الغربي يتهاوت في نظام الأسرة : نرى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية تطالب جبهة نساءها بالنص على وجوب تعدد الزوجات في الدستور الألماني .

وفي اللحظة التي نرى فيها إيطاليا حالياً وهي عرين الفاتيكان تبيع

الطلاق . . . في هذه اللحظات نرى أن سموم الفكر الغازي القديم التي سمرت إلى النشاط النسائي العربي ما زالت عالقة بجدران التفكير للحركة النسائية كما زالت هناك مطالبات بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات .

والغريب في الموضوع أن الحركة النسائية العربية المعاصرة قد أغلقت عينها عن نور الإسلام وفتحت كل أبصارها على ظلام الفكر الغربي تعب من ضلاله لتسقى روضها بالمياه الملحة من المحيط الأطلنطي مقتنعة بأنها أصفى من ماء النيل الذي يهب للحدايق عطر الورود ورياض البساتين وأغنى ( بالنيل ) هنا هدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ومن هنا أيها الإخوة فان الحديث عن المرأة في الإسلام سوف يكون منطلقه هو الإسلام نفسه إظهاراً للصورة الرائعة للحياة الكريمة التي هيأها الإسلام الحنيف للمرأة لتتحيا موقرة بعيدة عن مشاغبات الحياة وهو اجس النفس .. وتقنين المغتربين .

وسوف نعالج الموضوع على النحو التالي :

أولاً : الطور الأول :

قبل المولد .

كان الشعور السائد في المجتمع العالمي أبان ظهور الاسلام التأفف من مخلف البنت .

وكان الاسلام في المدينة المنورة يجاور - عن كئيب - اليهود والفرس والرومان والنصارى وهؤلاء لهم فقه خاص ونظام خاص عن المرأة .. فلما جاء الاسلام أراد أن يضع ذاتيته التشريعية في مواجهة ذلك المنطق البشري كله فهدد الاسلام الحنيف بمدخل سيكولوجي نفسى عند الرجل ليستقبل المرأة

في الوجود الدنيوي. بنفس راضية وصدر حنون ومشاعر طيبة . فربطها  
الاسلام برضوان الله وأنسه يقول النبي ﷺ :

( إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام  
العائذ من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من  
قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك) .

« رواه مسلم في باب صلة الرحم »

فيضع الاسلام منزلة المرأة وهي ما تزال في رحم الغيب بجوار مقام العائذ  
بالله أي في مقام السلطان والعزة وهي في جوار آمن ، وهي في جوار صاحب  
الملك والتدبير والسلطان فمن ذا الذي يغضب الرحمن ؟

ولا تقف التهيئة الوجدانية عند هذا فقط ، بل إنها لتسير في خط يثير  
الوجدان الطموح ويدفعه إلى التلذذ بخلف البنت فيجعل الإسلام دخول الجنة  
مرتبط بصلة الرحم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

( لا يدخل الجنة قاطع رحم ) . « رواه مسلم »

ويقول عليه الصلاة والسلام :

(من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ له في أمره فليصل رحمه) .

« رواه مسلم »

وإذا أساءت المرأة - فرضا - وأصلها ، فإن الإسلام لم يحرمها من هذه  
المكرمة - ففي البخاري :

( ليس الواصل بالمكافي . ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصاحبها ) .

وبذلك يضع التشريع الاسلامي المرأة في كل أحوالها ومن قبل أن تولد  
على بساط التكريم والاحترام .

فأروني مثل هذا الشرع شرعاً جعل للمرأة مثل هذه الخطوة وهي في الغيب المحجوب ما تزال شيئاً ما .

ثانياً : الطور الثاني :

طور طفواتها .

كانت وما تزال — البيئة البشرية تشهز من البنت وكان وما يزال الرجل متعلقاً بانجاب الذكر لأنه حسب تفكيره امتداد لحياته واستمرار لإسمه وإحياء لذكوره .

وكان وما يزال الرجل يرى أن البنت مصدر عار ، إنها تحمل مشقة نفسية في التريبة وتحمله مشقة اقتصادية في النفقة . . اطلع وذلك عبء . . عبء ثقيل عليه .

أما الولد فيما يزعم الرجل فهو أخف ثقلاً ، لأنه مصدر عمل وعون .

ثم جاء الإسلام وقلب الفكرة وجعل مولد البنت مولد كرامة جديدة ، ففي الأثر :

أخرجني وأنا عون أهلك .

وجعلها الله لوالدها سترأ من النار ، ففي مسلم :

( من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار ) .

وجعل الإسلام الإحسان إليهن من مقاييس الجنة .

فقد روى الإمام أحمد والبخاري والطبراني :

( من كان له ثلاث بنات يؤدبن ويرحمهن ويكفهن وجبت له الجنة ، قيل :

يا رسول الله فان كانتا اثنتين قال : وإن كانتا اثنتين ) .



وجعل الإسلام إنجاب البنات عطية الله الأولى ومنحته السامية فقدمهن على الذكور في قوله تعالى :

« لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير . » ( ٤٩ ، ٥٠ الشورى )

فجعل إنجاب البنات هبة من هباته وعطية من عطياه جل شأنه وجعله في جوار « يخلق ما يشاء » فالعطية منه مقبولة لأنه لا معطى لما منع ، وجعل الخلق في سلطان ملكه وقدم هبة الإناث لتكتسب الأنثى شرف الجوار للخالقية الموضوعية في إطار الملكية الإلهية فهي ألصق بما للجلالة من كمال السلطان فأكسب هبة الإناث بهذا علو منزلة علي عطية الذكور .

وليس هذا فحسب بل جعل النبي ﷺ أب الإناث صاحبه يوم القيامة - ففي مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

( من عال جاريتين جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين - وضم أصبعه ) .

ويواجه التشريع الإسلامى منكرات العادات الجاهلية التي تأخذ بواد البنات ، فينعى القرآن الكريم على المشاعر المتحجرة .

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون . » ( ٥٨ ، ٥٩ - النحل )

فتصحح الآيات القرآنية الفكرة الخاطئة وتضع بديلها حكمة الله التي جاءت تهيئة لأن تنشأ من زوجين : ذكر وأنثى بينهما تمام التكامل والمودة لا تمارض فيه ولا تشاحن .

والأنثى في نظر الإسلام أصيلة في نظام الحياة « يا أيها الناس إنا خلقناكم

من ذكر وأتى « وإذا كان أمر الحياة كذلك فكيف يفتن رجل إذا بشر  
بالأثى . . . ولهذا عالج القرآن قضية البنات بصورة ترهب العتاة وتحمي  
اللسمة الطيبة التي يعقب بها الوجود أنساً ومودة وحناناً .

فيضع مسئولية هذه الفعلة الشنيعة في سباق الهول الهائج المائج يوم القيامة  
كأنما هو حدث كوني من الأحداث العظام يضمه مع الشمس إذا كورت .

والنجوم إذا انكدرت .

والجبال إذا سيرت .

والعشار إذا عطلت .

والوحوش إذا حشرت .

والبحار إذا سجرت .

والنفوس إذا زوجت .

والموءودة إذا سئلت بأي ذنب قتلت .

في هذا الإيقاع الحركى الجائح المروع المذهل يضع القرآن الكريم قضية  
الموءودة إحدى الموضوعات ليوم الحساب ومن هنا من شريعة القرآن الكريم  
فقط تلعب كرامة المرأة دون من أو تحايل أو مفالاة .

فأروني مثل الشرع شرعاً جعل للمرأة مثل هذه الخطوة من التكريم ؟  
والإحترام ؟

ثالثاً : الطور الثالث :

إلى البيت السعيد .

الحياة الزوجية آية من آيات وحدانية الله وعظمته .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ( ٢١ الروم ) .

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر وتأتي هذه الآية في إيقاعها الرفيق اللطيف الموحى لتلقط هذه الصورة من أعماق القلب ونور الحسن وتبرزها في صورة ( لتسكنوا إليها ) لا لشيء آخر .. وهو سكن مطمئن عفيف هادئ رائق ممتليء بالبهجة والسعادة والأنس والسرور ...

« وجعل بينكم مودة ورحمة » أبرز الحكمة الخالق يدرك بها العقلاء وحكمة الله جل شأنه في تلبية الحاجة الفطرية فيهما معا .

وكانما الآية تهمس بيد الحنان على مشاعر البشر أفلا تذكرون قدرة الله التي أودعت في نفوسكم رجالا ونساء هذه العواطف والمشاعر وجعلت في الصلابة سكنا للنفس والأعصاب ، وراحة للجسم والقلب واستقرار للحياة والمشاعر وأنساً للروح والضمائر واطمئناناً للذكر والأثى وعلى السواء ، ولذلك حفظ الله بيت الزوجية بهذه الضمانات :

#### ١ - رأي المرأة في الزواج :

وكان البيت السعيد في الإسلام باذنها ففي الحديث الشريف :

( لا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله ، وكيف إذنها قال :  
أن تسكت ) . ( رواه مسلم )

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام :

( الأيم أحق بنفسها والبكر تستأذن واذنها صماتها ) .

وإذا كان في المجتمع المعاصر سلوكا غير هذا فهو ليس من الإسلام ولا من تقاليدنا في البخاري :

(إن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهي كارهة فرد النبي ﷺ ذلك النكاح<sup>(١)</sup>).

وفي عهد النبي ﷺ رفضت بريرة مغينا ولم يأمرها النبي ﷺ بقبول الزواج منه مع أنه كان يمشى وراها في الطرقات باكياً .

## ٢ — مهرها نحلة :

والزواج عقد كالعقود ولكن الله لم يسم الممنوح للزوجة ثمناً كما سماه في البيع ولا عوضاً بل سماه نحلة ، والنحلة هي العطية التي لا تتقابل بعوض ولكنها تنحل للتكريم دون مقابل فهي رمز للمعنى السامي الذي لا تستطيع اللغات أن تعبر عنه ، إنه رمز المودة والنقاء والهناءة في سكن جعل رحمة ومودة وقد سماه الله نحلة تقيراً لبدأ يجب أن يراعى في تقديم المهور .

ذلك أن نحلة النحل عسل مصفى فيه شفاء للناس ونحلة النحل هذه يطلبها النحل من أعلى الزهور نسبة في السكر .

وإذا ارتشف النحل رحيق الزهر لم يترك عليه أثراً ولا ضرراً يقدمه ولا من شفتيه فهو أخذ بلا أضرار فإذا عاد النحل أخرج رحيق عسلاً بهيج اللون حلو المذاق .

فاذا ما قدم للإنسان قدم شفاء وضمت فيه بركة الله .

فكذلك المهر يلغى أن يكون كذلك من مصدر حلال .

لا يرتبط به أذى ولا منه .

---

(١) إرشاد السارى ج ١٠ ص ١١١ .

وأن يقدم بيد الحنان .

وأن لا ينتظر في مقابله عوض .

ولهذا لم يجعل الإسلام له حداً محدوداً فالرمز فيه كناية عن الرضا ،  
وأعظم النكاح بركة أقله مؤونة .

٣- لا يجمع عليها قريبتها :

ولما كانت الزوجية سكناً ومن مستلزمات السكن السعادة والطمأنينة  
فقد حافظ الله على مشاعر الزوجة وحافظ على حسن العلاقات داخل الأسرة  
والنسب فحرم الله أن يجمع الرجل مع زوجته واحدة من قريباتها المذكورات  
في سورة النساء الآية ٢٢ من كل سيدة تمت لها بصلة القرابة أو النسب .

أماً أو خاله ، أو عمه أختاً أو بنتاً لأحد الأخوين أو أختاً من  
الرضاعة ... الخ .

٤- كما حرم الإسلام أن تسمى امرأة في طلاق أختها من زوجها.  
لتحل مكانها في البخارى :

( لا يحل لأمرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صفحتها فأنما لها ما قدر لها ) .  
فليست الزوجية إشباع شهوة وإنما هي قضية ود وسكن ، ولهذا فقد  
حرم الإسلام على المرأة أن تستعمل بعض مميزات التي وهبها الله إياها لتفتن  
الرجل عن زوجته فتحل محلها بعد أن يطلقها .

وبذلك فقد برزت إحدى مفارقات التشريع الإسلامي عن التشريع  
الوضعي الذي تعانى منه المرأة في النظام الأوربي وهو ما يسمى بنظام  
( العشيقات ) فضلاً عن الأنظمة الأخرى التي جعلت من المرأة زجاجة عطر  
تتناولها جميع الأيدي دون حساب .

٥ - وكما حظر الإسلام على المرأة أن تعتدى على أختها فتطلقها لتحل محلها كذلك حرم الإسلام على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه حفاظاً على المودة التي بدأت بين الخطيب وخطيبته وحفاظاً على المودة بين أبناء المجتمع الاسلامى القائم على الأخوة وأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يجب لنفسه فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :-

( نهى رسول الله ﷺ أن يبيع بعضهم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب ) .

#### ٦ - تحريم الشغار:

ليست قاعدة الحياة الزوجية مثل قاعدة البيع ، ولا مثل قاعدة العلاقات العامة في المجتمع التي تقوم على تبادل المنافع ، أنها أسمى من ذلك كله لأنها آية من آيات وحدانية الله وعظمته تذكر الناس بحكمة الخالقية التي جعلت من النوعين تكاملاً وبنثيقاً معه الأنا والود والحنان .. وتمشياً مع هذه القاعدة الجليلة في بناء الأسرة فقد حرم الإسلام نكاح الشغار وأن يتبادل الرجال النساء في مقابل المهر ففي الحديث الشريف :

( لا شغار في الاسلام ) .

٧ - وعلى هذا النسق فقد حرم الاسلام استغلال المرأة كمصدر للتمويل .

يحكي جروف صامويل في كتابه ( المجتمع ومشاكله ) : أن روما في القرون الوسطى كان بها ست عشرة ألف امرأة تمارس البغاء وقد جعلتهم الكنيسة مصدراً لتمويل الضرائب وسمحت لهم بشرعية ممارسة هذا النوع من الانحراف المهين .

ومع هندسة شوارع سنغافورا Singapore بالزهور التي أشرفت عليها مهندسة صهيونية - نظمت الصهيونية العالمية الدعارة في هذه الجزيرة التي تعتبر مركزاً عالمياً للتجارة والسفر ولا تجرد الحكومات في بلاد الغرب أو الشرق حرجاً من أن تمتلئ نسوة هذا النوع بالفنادق ترويحاً للسياحة .. ولكن الإسلام عفف المرأة عن هذا التردى المهين وحافظ عليها عرضاً وشرفاً فقال تعالى :

« ولا تكثرها فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا » ( ٣٣ - النور )  
فأروني أيها السادة شرعاً مثل شرع الاسلام أعطى للمرأة مثل هذه الضمانات في الحفاظ عليها .. ؟

وأروني أيها السادة شرعاً غير الاسلام أعطى للزوجة مثل هذه الضمانات ؟  
ضمانات الأناث والمودة والشرف والعفاف .. ؟  
أو تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا .. ؟  
إذن دلوني على السبيل ؟

( أ ) ألواجبات على الرجل تجاه زوجته

ويخط الشرع الاسلامي المبدع موثيق الرجل تجاه زوجته :

ه العشرة بالمعروف :

يقول الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » .

ويطول حبب العشرة إلى إصلاح الخلل الذي يصيب حصن الزوجين في بعض الأحيان فيقول الله تعالى :

« فاني كرهتموهن فعسى أن تكثرها شيئاً ويجهل الله فيه خيراً كثيراً »

( ١٩ - النساء )

فتوصى الآية بأن هناك راعيا فوق الأسرة يديم عليها المعروف كنظام في العشرة ، ذلك الراعى هو الدين الذى يسيطر على قوى النفس وينادى من سويداء الفطر لم تكرها ؟ ربما هذا الخير من أجلها .. فتتربط المشاعر الملتببة ويزول شعور الكره العارض وتعود إلى الزوجية نسمة صبيح الوداد لتنعش حياة الأسرة من جديد .

### النفقة :

ويوجب الإسلام على الرجال النفقة وهي نفقة حدها القدرة والايثار فيقول الله تعالى :

« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكاف الله نفساً إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا » . ( ٧ - الطلاق )

وتوضع في النفقة جو يشيع بالحب والحنان لا تسلط فيه ولا عنف يقول النبي ﷺ : -

« إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر » ( رواه البخارى فى التاريخ ) فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة أن تحدد النفقة ؟؟

وإذن فما حظ المرأة التى قدر لها الأقل وقد أيسر صاحبها أو ما ذنب الرجل إذا أعسر وقد قدر عليه مالا يقدر عليه ؟ والله يقول :

« ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » .

وليست الحركة النسائية المعاصرة هي التى تبسط الرزق وتقسدر فكيف تقنن النفقات والعسر واليسار يسد الله والله لا يكلف نفساً الا ما آتاه . .

والله هو الذى يجعل من بعد عسر يسرا . . .



إذن تقنين النفقة بقانون الأسرة عن حياض الشريعة  
وربقة الإيمان بالله الذي جعل العسر واليسر بيده هو ...

﴿ حفظ سرها :

بالعظمة الاسلام وهو يحوط المرأة بسياج من الستر يحفظ عليها ماء  
وجهاً ويخفي عن الناس بعض خصائصها الخاصة التي تتجلى بها مع شدة  
وقارها فاذا ما عرفت ربما رآها الناس صغيرة أو تقززت هي من نفسها  
النبي ﷺ :

( إن من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته  
وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها ) .

لقد شاء الاسلام أن تبنى للمرأة خصائصها سرّاً لا يجوز للرجل أن  
يذيعه ليبقى لها كبرياًؤها وأنوثتها وكرامتها بعيداً عن سمع الناس وخواطرم .

﴿ حفظ مالها :

النظام الجاهلي قديماً وحديثاً في أوروبا لا يعطى حقاً للمرأة في التصرف  
المباشر في أهوالها .. وجاء الاسلام الخفيف ليؤسس للمرأة حقاً طبيعياً في  
مالكية المال وأهلية التصرف فيه يقول الله تعالى :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

ولللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » ( ٧ - النساء )

وقد حرص الإسلام على أن تبنى مالكية المرأة وأهليتها في التصرف حقاً  
تاجتاً فنص القرآن الكريم على عدم التدخل في شؤونها المالية قال تعالى .

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن فنظاراً

فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وأثماً بيننا » ( ٢٠ - النساء )

« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه

( ٤ - النساء )

هنيئاً مريئاً » .

فقضت الآيات على أنه لا يجوز ألبتة أخذ شيء من مال المرأة إلا عن  
رضى نفس منها .

وقد برزت الصورة التركيبية في الأسلوب القرآني بما لا يتيح اجتهاداً في  
جواز أخذ شيء ولو كان يسيراً دون إذنها الطبيعي .

فالفعل طاب يتعدى عربية بالباء - طاب بكذا - يعني سمح ولكنه هنا  
في الآية الكريمة تعدى بكلمة عن التي تدل على المجاوزة مما يفيد أن أخذ  
شيء من مالها لا يجوز إلا بعد تجاوزها هي عن رغبة طيبة منها .

وإظهار المسموح به جزءاً معبراً عنه بشيء يدل على كمال تصرفها  
ومطلق ملكيتها .

وكون الفاعل تمييزاً للدلالة على أن الأساس في الإباحة مرتبط بمطلق  
إرادتها الحرة في الإذن والتبرع دون ضغط أو تحايل .

\* عدم إخراجها :

ومن الواجبات التي يحتتها الإسلام على الرجل تجاه زوجته عدم إخراجها .  
فاذا كان مسافراً فلا يرجع إليها ليلاً دون أن يخبرها بعودته ، ففي  
البخاري :

( قال رسول الله ﷺ : إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً ) .

وعند الطبراني في الكبير - :

( ولا تطرقوا النساء ليلاً ) .

وفي مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه - :

( كان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلاً ) .

هكذا يضمن الإسلام للمرأة حياة طبيعية وهذه الحياة على نحو ما شرحناه هي مفهوم : « الرجال قوامون على النساء »

فالقوامة : تمام الرماية وكمال الضبط وهي تكليف من الله الى الرجال ليحسبوا رماية الأسرة وقد حبا الله الرجال من الخصائص ما يؤهلهم لهذه القوامة .

فان يتخلى الرجال عنها فقد تخلوا عن أمانة من أمانات الله .

ويوم أن يتخلى عن القوامة الرجال تنعسر الحياة في شرقنا الإسلامي كما فسدت الحياة في الغرب المترنح بين أفانين الفساد .

فهل يريد الرجال التخلي عن القوامة وهي أمانة الله في أعناقهم ؟

وهل تريد المرأة أن يتخلى الرجل عن قوامته لها فتنهار ؟

## (ب) الواجبات على الزوجة نحو زوجها

على حافتي طريق الورود الذي تتهادى فيه الحياة الزوجية يغرس الإسلام لافتات الحقوق على المرأة تجاه زوجها من أجل حياة عسها الأمين وعرشها الوردى فيلزمها بما يلي:

« احترام مشاعره :

ففي الحديث الشريف : ( لا يحمل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ولا تخرج وهو كاره ولا تطيع فيه أخدا ، ولا تعزل فراشه ، ولا تضربه فان كان أظلم فلتأته حتى ترضيه ) « الحاكم » .

ففي الحديث حث على الوفاء بالجمل والاحترام للعشرة وتأكيد للميثاق الغليظ .

ومن الاحترام لمشاعره الا تمت له صاحبيتها ففي الحديث الشريف .

لا تباهر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها .

( رواه أحمد والبخارى والترمذى )

« التزين له وحده :

الزوجية معاشرة بالمعروف ومقتضى هذا المعروف أن تكون مفاتن المرأة لزوجها وحده .

انها إن استبقت محاسنها لزوجها فقط فقد ادخرت لها وله عمرا طويلا في مباحج السعادة الزوجية .

أما إذا بذت مفاتيحها المجتمع فقد فتنت قلب الرجل مطلقا وصارت النسب في تفاوت المحاسن مشتبهى لكل من يهوى وانتقلت اللذة من عشاها الوردى الحلال إلى قارعة الطريق كأنها حبات تفاح عطبت وعف عنها الذوق الكريم فصارت نهبها لكل جائم من أبايل الذباب .

وهن هنا ترسم اللوحة الفنية لزينة المرأة في الجو الاسلامى على نحو ما يبين الحديث الشريف :

(إذا تعطلت المرأة لغير زوجها فأنما هو نار وشنار) « الطبرانى »  
( والمرأة إذا استعطلت لمرت بالمجلس فهي زانية ) « أحمد »

وماغض البصر للمؤمنين والمؤمنات في سورة النور الا منعا لتناول البصر عن محاولة كشف المستور من الزينات وليس من معناه أن يكون الغض من المسكشوف منها إذ القرآن لا يبيح حراما وينهى عن التطلع إليه ليبقى هرفا مسنونا .

ه الوفاء وعدم التطاول عايه .

وصدق المعاشرة يستلزم حسن الأخلاق وهن محاسن الأخلاق الاعتراف بالجميل ، وقد أرسى الإسلام الحنيف هذه القواعد في حياة الاسرة ، فقرر الحديث الشريف :

( لا يحل لأمرأة أن تهجر فراش زوجها ) .

( إذا باتت المرأة هاجرة زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ) .

( إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتته لعنتها الملائكة حتى تصبح ) .  
« البخارى وأحمد »

ومن الملاحظ في هذه الأحاديث أن الأحكام هنا غير منتهية بجزء

مادى كما فى السرقة والزنا بل الأحكام فيها متروكة لعمارة الدين والخوف من الله . . ومعنى هذا أن النبي ﷺ وهو صاحب حق فى التشريع لم يضع عقابا ماديا لمن تخالف هذه الأحكام ، فان الأسرة لا تقوم أحكام تنظيمها على أساس من العقاب المادى بقدر ما تقوم على أساس من الخلق ورعاية محارم الله جل شأنه .

ولهذا فان أى تشريع وضعى يحاول أن يضيف قيودا جديدة على أنظمة الإسلام فى تشريعه للأمة فهو عبث وتدخل لا يبرر له وافساد للجهال الذى شرعه الله تعالى :

\* الحفاظ على ماله :

التصرف فى بيت الزوجية متروك لمستوى العلاقة والثقة بين الزوجين ، وقد وضعت السنة المطهرة موازين هذا التصرف انه لا ضرر ولا ضرار ، ولا اسراف ولا مفسدة .

يقول النبي ﷺ .

إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا .

## من مشكلات الأسرة

\* الخلافات الزوجية :

• الطلاق :

• تعدد الزوجات :

• منهج التغلب على الخلافات الزوجية :

القاعدة العامة في الأسرة الإسلامية والتي يمكن لكل زوجة أن تجمعها  
نبراسا شخصيا لها : حديث النبي ﷺ :

خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا  
غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك . ( الطبراني )

ولكن هناك شذوذ عن القواعد العامة لأن الحياة بصفة عامة لا تخلو من  
الكدر ، والحياة الزوجية مثل الحياة العامة والتشريع الإسلامي تشريع يلمس  
الواقع وينسج له الموازين بالقسط والعدل .

ومن الدشاز الشاذ عن القاعدة الأسرية نشوز الحياة الزوجية وهو نشوز  
قد يكون من الرجل أو قد يكون من المرأة أو منهما معا .

وقد وضع الإسلام لمعالجة هذا النشوز منهاجا .

( أ ) فإن كانت المرأة هي الناشز كان على الرجل معالجة هذا النشوز :

بالموعظة الحسنة أو

بالمهجر في المضجع أو

بالضرب لاعتلى الوجه ولا مع تقبيح بانظر خارج .

وهذا النهج الثلاثي صالح لثلاث مستويات من نماذج النساء .

فإنك نموذج بكفيه الكلمة الطيبة إذا سمعتها الزوجة من زوجها فكأنما  
هدم على العواطف وسمح بيد الحنان على أساها وغسل بمسول كلامه  
وسوسة الشيطان .

وهناك نموذج لا تعى أذنها الكلمة الطيبة ولكنها ترعوى بالمهجر في  
المضجع إذ تشعر مع المهجر بفقدان أنوثتها .

وهناك نموذج لا تعى أذنها الكلمة ولا المهجر وإذن وجب على

الرجل أن ينهى قطيعة زوجته بالاتصال وهذا الاتصال هو أرهاص بألم عبر عنه القرآن بالضرب لأنه الوسيلة الطبيعية وحدده السنة بأنه ألم لا يحدث كمرآء، ولا يبق في السمع صدى لفظ جارح فهو نوع من المغازلة في صورة الضرب لأن الموقف موقف خصام .

وهذا النهج الثلاثي الخطوات يصلح لذلك بالتدريب في معالجة الزوجة  
الواحدة :

أولاً : يعظها .

ثانياً : يهجرها .

ثالثاً : يضربها .

ولاملامة من المرأة على الإسلام إذ أذن للزوج أن يضرب لأن الإسلام قدم لها الموعظة والهجر كحلين بل كعاصمين من فشل الحياة الزوجية .

وأباح الضرب لامن أجل أذاها بل للحفاظ على مقدسات الأسرة وحمايتها من الضياع .

فصورة الضرب هنا هي آخر علاج يقدمه الإسلام للاعلان عن إهتمام الإسلام ببقاء الأسرة سليمة دون تفكك والإهتمام بها عند التفكك حتى لاتصير إلى الضياع .

فاذا لامت المرأة أحداً فلا بد وأن تلوم نفسها لأنها عند النشوز لم تصبغ للموعظة الحسنة ، ولم تردع بعد الهجر ، فإذا يبق لصيانة الأسرة : الضرب فهو تنبيه أعصابها قبل أن يفيض الكيل ويتسع الخرق على الراقع .

(ب) وإن كان النشوز من الرجل أو منهما معاً :

فان الاسلام لا يترك أسرار الأسرة نهبا للقليل والقيل في المؤسسات الاجتماعية بل ضيق الشروط وقلل في أعداد الحكومة فقال الله تعالى :



« وأن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً حكيماً » . ( ٣٥ النساء )

فمن المعروف أن بين الزوجين أسراراً والإسلام لا يسمح بافتشائها ولا بالإطلاع عليها لأجنبي عن الأسرة ولذا قرر :

١ - إرسال حكم من أهل الزوجة .

٢ - إرسال حكم من أهل الزوج .

(ج) واشترط فيهما إرادة الاصلاح بين الزوجين لا التعصب للتغلب والنصرة لواحد على الآخر .

إذن ليس كل واحد من أهل الزوجة ولا من أهل الزوج يصلح لهذه الحكومة بل هناك شرط أساسي وهو أن يكون معروفاً بميله للصالح في الخصوصيات .

فهل يسمح الإسلام بعد هذا أن تتعدى مسألة الحكم إلى لجان أو منظمات أو نحاكم بعينه عن الأسرة ؟ .

أنه بالقطع لا يسمح أبداً .

وإذن فشكل تقنين يخالف هذا فهو مرفوض من قبل الله ورسوله وجماعة المسلمين .

الطلاق أبيض الحلال :

الحياة الأسرية سكن :

إنها سكن للروح وللشاعر وللشاعر كما هي سكن للجسد والغرائز .

والسكن هو نعمة الله الكبرى على الإنسان وقد وصف الله الحياة الأسرية بأنها سكن وبأنها لباس .

وتبقى قيمة السكن وقيمة اللباس ما بقي أثرها محموداً مؤناً .

أما إذا عجزت عن إعطاء الروح والفكر والمشاعر مبادئ الحياة الأسرية ولم يمكن التغلب على أسباب هذا الضرر فماذا يكون الحل . ٢٠٠ .

هل يبقى الزوج وزوجته حبيسين في سجن داخل بيت يسمى بيت الزوجية ؟ .

أو يتصرف كل واحد على انطلاق تام في الإباحة لهواه ؟ .

أو يتفرقا فيغنى الله كلا منهما من سعته . . ؟ .

أخذ الإسلام بالحل الثالث :

لم يقبل الإسلام أن يبقى الزوجان في سجن دائم .

ولم يقبل الإسلام أن يترك الهوى يهتث بقيم النفوس بل شرع الطلاق بعد المحاولات التي بذلت سائفاً ولم تنجح .

يقول الله تعالى :

« وإن يتفرقا يغنى الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً » .

( ١٣٠ — النساء )

فهو حل يحترم الطبع البشرى لأن الله جل شأنه خلق الناس ولم يشأ لهم أن يتعاشروا على الهون والضيق .

والإسلام إذ يشرع الطلاق إنما يلجأ إلى الحلال البغيض الذي لا مفر منه تجنيباً للأسرة عن الأذى .

وفي الحديث الشريف :

« أبغض الحلال إلى الله الطلاق » . ( أبو داود ، وابن ماجه )

وكان الطلاق حلالاً لأنه حماية للأعراض والأنساب من السقوط إذا طاشت الأسرة في ظل عقم من الحب والمودة ، وسجن الزوجان على كره وهون فانزلقا إلى هاوية الشهوة ، فكان الطلاق حلالاً لأنه يعطى فرصة يتنفس بها كلا الزوجين ، فربما بعد الطلاق يجد كل منهما من يسعده ويؤنسه . وكان أبغض لأنه فراغ بعد أن أخذ الله من كلا الزوجين ميثاقاً عظيماً .

ولهذا فلم يسمح الإسلام أن يكون الطلاق والرجعة ألعوبة تتبع الهوى والرغبة فأعنى من مسؤولية ذلك النساء ولم يجعله في يد الرجل هكذا دون شروط وأدب بل جعل الطلاق بمقدمات الصلح . وحدده في ظروف بيولوجية خاصة بالزوجة وزمن مخصوص ، وعلق عليه آثاراً تحمي حق المرأة في الحياة وفي الشرف والعرض .

فألزم الرجل بالنفقة والسكنى .

وألزمه بالمهر المتبقي .

وألزمه بتمتع جبراً بالضرر الأدبي الذي قد ياحقها بسبب الطلاق وألزمه برعاية الولد الرضيع .

وجعل العدة على المرأة حفاظاً على شرفها واستيقاظاً بحلوها من صلة نسبية بزوجها الأول أو فترة قد يتراجعان فيها .

وقد جعل الإسلام هذه الشرائع كلها في إطار المعروف ولا تنسوا الفضل بينكم ، والغفو من الذي بيده عقدة النكاح والائتمار بالرضى والمودة .

ولم يلجأ الإسلام في تشريعات الأحكام المترتبة على الطلاق إلى عنف أو قسوة مما يفيد أن أمر الأسرة كله ينبغي أن يقوم على :

« فامسك بمعروف أو تسريح بأحسان » .

فاذا ما تخالفت الأمور في العصر الحديث فانما هو لفساد المسلمين في بعدهم عن الدين وعن روح الإسلام ومنهجه . . فهل يصلح المسلمين بشرع وضعي أو بعودة كاملة إلى دين الله ؟ .

ليس في المسيحية شرع للطلاق :

ذلك شرعنا شرع الأمة التي قالت لربها سمعنا وأطعنا أما الذين قالوا الله : « سمعنا وعصينا » فقد خلقوا لأنفسهم قانوناً ليس من عند الله ولا من عند رسوله عليه السلام ، فان ما يدعى بأن المسيحية ليس فيها طلاق ليس صحيحاً بالإطلاق ، فقد ذكر في الانجيل على فرض التسليم بأنه لصاحبه الذي ألفه محاورة بين القريسيين وهم طائفة من اليهود مع شيدنا عيسى عليه السلام ، حول ما جاء عن موسى من شريعة الطلاق رأيه في ذلك ، ، وهي محاورة مبتورة لا تصلح أن تكون حكماً بأن عيسى حرم الطلاق أو أنه يقول ما ينسخ ما جاء به موسى كما لا تنهض نصاً يصلح للاجتهاد فيه لاستنباط حكم منه .

فمن يدعى أن المسيحية تحرم الطلاق فهو مخطئ . إنما هو عمل القساوسة وقد سجل الله عليهم في القرآن الكريم هذا .

يقول الله تعالى :

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » (التوبة)

وذلك بما شرعوه لهم من دون الله .

على أن الحياة المعاصرة للمسيحيين اليوم جعلتهم يقتربون في حياتهم الأسرية إلى النظام الإسلامي فقد أبحاث الكنيسة في إيطاليا الطلاق كما أبحاثه من قبل كنيسة ألمانيا البروتستانتية لماذا تريد الحركة النسائية العربية المعاصرة من تقييد حكم الطلاق في الإسلام ؟ . وهو عمل لم يرد به نص ولم يرد حوله شيء من عمل الصحابة ، ولا قال به أحد الفقهاء السابقين ، وقد عاشت الأمة الإسلامية ردحا طويلا من الزمن مع دول جارات مثل فارس والروم وأوروبا وحكومات الإسلام المتعاقبة في الدولة العباسية والأندلس لم تغير من حكم الله شيئا في الطلاق .

لماذا تريد الحركة النسائية العربية المعاصرة من تقييد الطلاق وقد حرم الله ذلك ؟ أغير دين الله يريدون ؟ .

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .  
( النحل )

### تعدد الزوجات :

من الخطأ الشائع والخطأ المقصود أن يقال أن الإسلام صانع تعدد الزوجات .

ومن الخطأ المقصود ما يثيره أعداء الإسلام بربط قضية تعدد الزوجات بالنظام الإسلامي .

والحق أن تعدد الزوجات كان ظاهرة طالمة قبل الإسلام ، بل أنه في العصر الحديث مسألة تمارس عن طريق التحليلات والعشيقات اللاتي يسمح بهن — كنظام اجتماعي — قانون الدولة الحديثة ولكنهم لا يطلقون عليه تعدد الزوجات مع أنه أفضى في قيم الأخلاق وأضر بالمجتمع من إباحتة تعدد الزوجات :

- واقدم أبحاث الشرائع السماوية قبل الاسلام تعدد الزوجات .
- فقد تزوج سيدنا إبراهيم ساره وهاجر .
- وأباح تلمود اليهود تعدد الزوجات على إطلاقه دون قيد .
- وليس في الانجيل على تعدد نسخته وكاتبه ما يفيد منع التعدد .
- بل أن ملك إيرلنده فيارمات كان له زوجتان .
- وكان لشارلمان زوجتان وعدد كبير من المحظيات .
- وكان فيليب ملك هيسى وفرديريك وويليام الثاني ملك بروسيا يمارسان تعدد الزوجات تحت بركات القساوسة اللوثريون .
- وفي مونستر عام ١٥٣١ دعا القساوسة إلى تعدد الزوجات .
- بل أن مفكرى أوربا جوستاف لوبون ، وتوماس ينهبان إلى إباحة التعدد عندما إنقرط عقد البغاء وعلما رأيتهم في إباحة ذلك بقولهم :
- « إن إباحة التعدد تجعل كل امرأة ربة بيت وتجعلها أما لأولاد شرعيين ، ويعنيها من التردى في هاوية الانحرافات وأعشاش العشاق وظلام المستقبل... » .
- وهناك فرق مسيحية في المجتمع المسيحي المعاصر تدافع عن تعدد الزوجات . ومن هذه الفرق .
- ( أ ) فرقة المورمون .
- بالولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وكانت ترى أن تعدد الزوجات نظام إلهي في الديانة المسيحية .
- (ب) فرقة أنا بافستى الألمانية التي ظهرت في القرن السادس عشر وكانت تدافع عن تعدد الزوجات كنظام بديل عن نظام المشيقات .

إذن فتعدد الزوجات ليس قضية إسلامية تنسب إلى الإسلام ، بل الذي ينسب إلى الإسلام أنه حدد التعدد ونظمه وجعله علاجاً لمشكلات إجتماعية .  
ولقد نقل الإسلام التعدد من إطلاقه إلى تعدد محدود بأربع .  
ونقل الإسلام التعدد من إطلاقه إلى تعدد مع إقامة العدل وأدناه :  
فلا تذرهما كالمعلقة .

وتبرز قصة تحديد التعدد في سورة النساء حفاظاً على شؤون اليتيمة ففي الحديث الشريف :

كان عروة بن الزبير قد سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قول الله تعالى : وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . . « قالت يا ابن أختى هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبها ماله وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويباغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . . الحديث .

فأصل حد التعدد بأربع هو الدفاع عن حق نوع من النساء ضعيفات . .  
فالما نرات الآيات والمجتمع صاخب بأنماط من التعدد فوق الأربع بين النبي ﷺ :  
أن كل مسلم تحته أكثر من أربع وجب عليه أن يقال من التعدد وإلا يبلغ بالعدد الذي تحته أكثر من الأربع ففي الالوسى : أن غيلان أسلم وتحته عشر نسوة فقال ﷺ أمسك أربعاً وفارق سائرهن .

فالحديث الشريف هو الذي حصر أعلى التعدد في أربع بعد أن كان التعدد فوضى .

وإذن فالإسلام لم ينشئ مسألة تعدد الزوجات بل الإسلام حد منها ووضع لها الضوابط والأهداف .

## حكم الإباحة يبقى إباحة :

والله سبحانه وتعالى جعل التعدد المحدود بأربع مباحا بشرط العدل ولا يصبح يعد تشريع الله أن يضاف شرط لهذا الشرط أبداً .

لأن التعدد قائم لحل مشكلات قد تكون فردية وقد تكون عامة .  
فالدولة التي تحارب ويظهر لديها في بعض الأحيان أعداد كثيرة من الأرامل ماذا تفعل بهن ؟

إن منح الدولة لمن بالمعاش لا يكفي حاجاتها كإثني وإذا تزوجت إنقطع المعاش ، وحياتها في جوار رجل حلال أشهى لنفسها من التخفي في ستائر الليل البهيم .

فهل إذا أرادت أن تزوج يمتح عليها أن تأخذ إذنا من الزوجة الأولى، أو أن يكون ذلك أمام القاضي ؟ والمسألة الزوجية أسرار تمس الذوق والمشاعر قبل العقل والمنطق .

وهنا يأتي حكم الإباحة ليريح جماعات الأرامل من فضائح الضرات في المحاكم .

وقد يقال أنها نصف سعادة أو أنه نصف رجل مع كل زوجة .

ونجيب نعم ، ولكنه أحلى وأشهى من رجال كثير مع سيدة واحدة .  
ونجيب نعم ، ولكنه أحلى من إتخاذ عشيق واحد .

ونجيب نعم ولكنه أحلى من الرهينة لمن استطاعت إلى ذلك سبيلا .

والأفراد أذواق وقدرات وهناك الأغنياء الذين لا تكفهم واحدة وعندم القدرة على كفالة الحقوق فأى الأمور أفضل زوجات لثرى أو عشيقات له ؟

والعقم له دور خطير فأى الأحوال أفضل : زوجة عقيم تبنى مع زوجها على ضرة قد ينجب منها أو يطلقها ؟ أو يبقى عقيبا إلى الأبد ؟



رابعاً : الطور الرابع

الجنة تحت أقدام الأمهات :

ولا يترك الإسلام المرأة بعد أن أدت رسالتها تحت رحمة التقاليد والعادات بل جعل الوفاء بجميلها ديناً ، وجاور هذا الحق في القدسية الايمان بالله يقول الله تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوه الا اياه وبالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً (٢٣ - ٢٥ الاسراء )

لقد طلب الإسلام من الأبناء تجاه الوالدين أن يخضعوا لهما في خشوع رحيم ، وأبرز ذلك في صورة « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » تتهدى آثار عطف الولد على والديه كما تتهدى أجنحة الطير من عل في خفة خفيفة لا يضار معها هابط ولا مهبوط عليه .

وجعل الإسلام هذا الحق للام مطلقاً حتى ولو كانت مشركة ، ففي مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنهما قالت :

قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عامدهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله : قدمت على أمي وهي رافضة أفأصل أمي ؟ قال : نعم صلى أمك .

والله تعالى يقول في القرآن الكريم :

( ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير .

وان جهادك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها وصاحبها

في الدنيا معروفا واتباع سبيل من أناب إلى ثم إلى . رجعتكم فأبشركم بما  
كنتم تعملون ) . ( ١٤ - ١٥ لقمان )

وبعد :

أفغير الاسلام هناك قانون أو دين يقدر على هذه المعانيات للمرأة ؟  
إنها قبل أن تبيء إلى الكون وضعت في سبحات سلطان الله العلي العظيم :  
وهي طفلة جعلها الله عوناً لأبيها فهي مصدر بركة .

وهي فتاة أعطاها حربة الرأي في اختيار زوجها فرضاها أصل، وهي  
زوجة حافظ علي كرامتها ومشاعرها وسبها وأهلها وقيل لها أدخلت الجنة  
من أي الأبواب شئت .

وهي أم قيل لها الجنة تحت أقدام الأمهات لماذا تريد المرأة المعاصرة في  
بلادنا الإسلامية ؟

لعلها صريحة : أتريد الإسلام أم غيره ؟

أما أنها تريد أن تضع في الإسلام الأفاعيل باسم التطور والتقدم فهذا  
مرفوض من جانب الإسلام فقد أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

( سورة الأنعام )

فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا ؟

## إلى الشباب المسلم

لكي تعود دولة الاسلام من جديد

\* إن الاسلام تصوره المستقل للوجود والحياة ، ومن ثم فانه ينبثق منه منهج ذاتى مستقل للحياة كلها بكل مقوماتها وارتباطاتها .

وظيفة التربية الإسلامية هي أن تنشئ حياة إنسانية للأمة الإسلامية توافق هذا التصور وتمثله في صورة واقعية يشهد فيها الناس معالم الإسلام شائعة .

والإسلام بهذا المعنى قد قامت عليه دولته الأولى ، فلقد أقامها رسول الله ﷺ — على مبادئه ومحجته البيضاء النقية ، ثم حافظ على قيم هذه الدولة من بعده الخليفة الرزين الصديق القوي أبو بكر رضى الله تعالى عنه .

ثم وسع رقعتها وبسط لدين الله في أرضه الخليفان من بعده عمر وعثمان .. ثم كانت النكبة والنكسة التي ما زال المسلمون حتى اليوم يعانون من جرائها : فرقة وتحزباً ، وإنحرافاً في الفهم ، وهندية في الأدلة ، وعنادية في السلوك . .

ونحن هنا في قلب العالم الإسلامى ماذا نريد لأنفسنا وماذا يراد منا ؟ إن القيادة الشرقية بمفاهيمها ، والقيادة الغربية بتكأ كنهها لم تقدم للانسان فى العصر الحديث إلا الموت والدمار والمدمم والتخديم .

والأمة إسلامية رغم كثرة عددها . وكثرة ممتلكاتها ، وثروتها الطبيعية والاستراتيجية : ممزقة ، تعاني من الاستعمار ، والفتن الداخلية والخارجية

ما لا تقدر على التخاص منه ، وصدق الرسول الأمين فيها يروي عنه : ما معناه ( يوشك أن تنداعى عليكم الأمم كما تنداعى الأكلة إلى قصعتها ، : قالوا : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : بلى ، وليكنكم كثير اقالوا : أمن وهن يا رسول الله ؟

قال : نعم . أحببتم الدنيا وكرهتم الموت . . . ) .

إذن لابد من قيادة إسلامية جديدة تملك زمام الحياة حتى تعيد للعالم السلام . . . والأمن . . . والطمأنينة والرخاء . وليس غير القرآن وحده مصدر يملك هذه القدرة ، فتلك رسالته .

( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ) ( الإسراء : ٩ )

( ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً . . . ونحشره يوم القيامة أعمى ) .. ( طه - ١٢٤ )

والإسلام لا يملك إعادة دولته إلا بمنهجه هو الذى نبى به رسول الله ﷺ المجتمع الإسلامى الأول .

نعم . . إن المسافة بعيدة . . بين بعث هذا المجتمع من جديد . . . وبين تملكه زمام قيادة الحياة . . ولكن مع هذا لابد من البدء . . .

فكم كانت المسافة بعيدة يوم أن جاء الوحى فى غار حراء بقوله تعالى : ( اقرأ ) بمكة المكرمة . . ويوم أن قالها أخيرة : ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ) ..

( المائدة - ٣ )

لابد من البعث لجيل قرآنى جديد . كالجيل الذى رباه عهد ﷺ .

والظاهرة التاريخية الوحيدة في طول عمر الحياة أن الدولة الوحيدة التي قامت على منهج هي الدولة الإسلامية . . . وأن هذا المنهج بدأ باعداد جيل استطاع أن ينهض دولتي الفرس والروم . . . وكان الجيل خلاباً من من العبيد والأحرار والأغنياء والفقراء ، والرجال والنساء والمثقفين وغير المثقفين . . . والعرب والحبس والروم والفرس . . . ومع هذا فقد تكون من هذا كله جيل استطاع أن يبنى دولة الإسلام الأولى . . . أول دولة قامت على منهج الفطرة الإنسانية الذي يحقق للإنسان كمال كرامته وإتزان وظيفته ، إن قرآن هذه الدعوة وحديث نبيها الأمين وهدية وتعاليمه ، وسيرته الكريمة بين أيدينا كما كانت بين أيديهم .

وما غاب عنا رسول الله إلا بمثل ما كان يغيب عن القبيلة البعيدة التي أسلمت ولكنها كانت تعيش مع سنته وهدية .

إذن لماذا استطاع الجيل الأول أن يبنى دولة الإسلام وعجز الجيل المعاصر عن الحفاظ عليها أو إعادتها ؟

### المنبع الأول :

لا بد وأن هناك عاملاً أساسياً كان هو حجر الزاوية في بناء هذا الرعييل فقد طوال عمر الدنيا وذلك العامل هو مستوى تآلي القرآن الكريم .

كان النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل هو القرآن وحده . . . وكانت أحاديث رسول الله ﷺ - وهي إشعاعات من النبع ، فقد كان خلقه القرآن . . . لقد كان في كل شيء يأتيه أو يدعه قرآنياً . . . كما تصور لنا ذلك السيدة مائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خالق رسول الله ﷺ فقالت : ( كان خالقه القرآن ) .

كان القرآن وحدة إذن هو النبع الذي تخرج عليه هذا الرعييل الأول

بدءاً من النبي الكريم . . حتى آخر واحد في القوم .

ولم يكن ذلك لفقر في الثقافة العالمية آنذاك . . فلقد كانت هناك حضارة فارس . . والروم . . والهند . . والصين . .

وكان بين العرب والهند لقاءات في التجارة . ، وكان للعرب أنفسهم أسواق للشعر والقضاء .

لكن ذلك كله ( حصاد ) من صنع البشر ، لا يصلح لإعداد جبل لبناء دولة الإسلام . . الدولة ذات المنهج العالمي ، فكان القرآن وحده إذن : هو النبع الذي يتخرج عليه هذا الرعيل ، لأنه وحده الجبل المتين الذي يصل البشر بالله سبحانه وتعالى . . البشر كله . . لأن منهج الدولة ليس بفكر واحد من الناس . . ولكنه من الوحي الإلهي لكل الناس . .

ولذا : فقد كان هناك قصد من الرسول ﷺ أن يتخرج هذا الجيل على ثقافة القرآن فقط ، ولهذا نهى ﷺ عن كتابة شيء سوى القرآن . . حتى يتفرغ العصر كله . . وتتجرد العقول والقلوب والمشاعر من كل لون ثقافي إلا من القرآن الكريم . . ففي الحديث الشريف : ( لا تكتبوا عني . . ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني ولا يرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) .

ويؤكد هذا القصد : أن رسول الله ﷺ - رأى في يد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - صحيفة من التوراة بغضب وقال : إنه والله . لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني .

وإذن فقد كان هناك قصد أكيد من رسول الله ﷺ أن يقصر النبع الذي يستقى منه ذلك الرعيل الأول على القرآن الكريم وحده . . لأنه النبع الذي تصح به جميع الأجناس والطوائف البشرية . . .

وكان هناك قصد أكيد من هذا الجيل الأول أن يستعذب القرآن وحده  
كمنبع رائق حبيب .. ليكون وحده مصدر التخرج والتربية :

- فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه - قال : كان الرجل منا إذا  
تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

- وقال عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يستقرون من النبي  
ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل،  
فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً ..

لقد اتحد حصر القصد في النبع يستل من الرعيل الأول من القرآن الكريم :  
من القائد والجماعة التي تربي لتأدية دور يتيم في عمر الحياة وهو بناء دولة  
الإسلام على المنهج العلمي السديد القائم على الفطرة واحترام كرامة الإنسان .

### التطبيق والإخلاص :

\* وثمة : أساس آخر انضم مع النبع الصافي الرائق - القرآن الكريم -  
الذي أخرج ذلك الرعيل الأول .. وذلك الأساس هو التطبيق والإخلاص  
لمبادئ القرآن الكريم .

إن الرعيل الأول .. لم يكن يقرأ بقصد التفكك والثقافة، ولا بقصد  
إدعاء العلم والمعرفة :

لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستزيد من الثقافة لمجرد الثقافة  
ليكون (دكتوراً) أو (بروفيسيراً) أو (إماماً) أو (حجة) كما نجد  
كثيراً في عصرنا الحاضر من هذه الأمثال .. إنما كان يتلقى القرآن لينصل  
بالله ويربط شئون حياته وشئون أسرته وشئون الجماعة التي يعيش فيها  
بما يتلقاه عن ربه من أوامر وتعاليم .. إنه يتلقى القرآن ليعمل به فور

سماعه ، كما يتلقى العسكري المخلص الأمر اليومي من قائدة في لحظة القتال  
إنه يندفع منفذاً لما أمر دون تفلسف بلم ؟ أو بلماذا ؟

وقد سبق قريباً في هذا الحديث أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات  
حتى يحفظوها . . . ويعملوا بما فيها . . . فتعلموا القرآن والعمل والتطبيق  
معاً . . . ومن هنا : كانت الصلة المباركة التي ارتبط بها الرعيل الأول  
بالملاء الأعلى .

لقد كانوا وهم مصممون على أن يكون القرآن دستورهم ويخلصون في  
تطبيقه عملياً يصلون أرواحهم بخالقهم ، فكانت تحفهم الملائكة وتنزل عليهم  
السكينة وتغشاهم الرحمة ، ويأتيهم نعم الله ومدده « بلى إن تصبروا وتتقوا  
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »  
( آل عمران - ٣ : ١٢٥ )

ولأن هذا كان هو القصد . . . ولأن التربية والإعداد تحتاج إلى زمن  
ولأن منهج القرآن منهاج تربوي عملي فانه يحنو تارة ويقسو أخرى ويردع  
الفؤاد مرة ، ويهدد عليه ثانية . . . فقد شاء الله أن ينزل القرآن منجماً ،  
يقول الله تعالى : « وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه  
تسريلاً » .

لقد نزل القرآن تدريجياً كما تتلقون منهاجكم الدراسي لكل  
عام تدريجياً ..

ولعله من أكبر الأخطاء علمياً أن يقدم عيد الكلية المنهج والكتب إلى  
الطلاب دفعة واحدة ليقرأوها في ساعة أو في يوم أو في أسبوع  
أو في شهر . . .

ولعله من الخطأ الأكبر طبيياً أن ينصح الطبيب مريضه أن يتجرع كمية



الدواء التي يعالج بها مرة واحدة . . إنه إذا أخذها بالتدرج كل ثلاث مرات لمدة أسبوع كان من الممكن تقريب الشفاء . . . أما إذا تناول الكمية كلها فسوف يكون ذلك خطراً يقرب المريض من الموت حسب التقدير العرفي . . . إن التدرج في التزبية . . . وفي المعالجة هو طبيعة الأشياء . . . والآجال بيد الله تعالى . . . وقد سبق الإسلام إلى ذلك . . . وقرره منهجاً . . . وربى به ذلك الرعيل الأول الذي حقق أول دولة بنيت على تقوى من الله ورضوانه . ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ) . ( النساء آية : ٢٦ )

ولقد كان الرعيل الأول مخلصاً لدينه وإسلامه . .

لقد كان معنى دخول الواحد منهم في الإسلام أن يخلع ملابس الشرك .

كان يفهم أن شهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

نقطة من الكفر إلى الإيمان .

نقطة من الأرض إلى رضوان الله . .

نقطة من الظلمات إلى النور . .

فكان ينخلع من كل ثياب لبسها قبل الإسلام .

وكان ينخلع من ثياب القومية والمسيحية واليهودية . .

وكان ينخلع من ثياب القومية والعرقية والإقليمية . .

وكان ينخلع من ثياب التقاليد والعادات والتبعية . .

فاذا كان يريد بلال عندما دخل الإسلام ؟

وماذا كان يرغب النجاشي عندما دخل الإسلام ؟

وماذا كان يريه عمر بن الخطاب عندما دخل الإسلام ؟

وماذا كان يريد سلمان الفارسي بدخوله في الإسلام ؟ .  
وماذا كان يريده صهيب الرومي لما دخل في الإسلام ؟ .  
إنهم لا يريدون إلا أن يتقبل الله أعمالهم في الصالحين ..  
لقد أدركوا أن معنى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » حياة جديدة  
أحياة السعادة والنور والأنس والرجاء في رحمة الله .

### • إسلامية منذ فجرها :

لقد بعث رسول الله — ﷺ — وبلاد العرب : مكة والحجاز في أمس  
العوز لعون اقتصادي وكانت أخصب بلاد العرب : المناذرة والغساسنة في يد  
حكم فارسي وروماني .

كانت بلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها أمراء من العرب  
لكسرى الفارسي .

وكانت بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة لقيصر الروم ، وكلاهما بيت  
التصيد في رحلتى الشتاء والصيف للتجارة العربية أيام الجاهلية الأولى ، كما  
تحدثنا عن ذلك سورة قريش .

فلم يكن لدى العرب إلا مكة والحجاز ونجد وتهامة ، وهي فقر مجذب  
فيا ربما لو أن محمداً يوماً أعلن — وهو الصادق الأمين — دعوة قومية تحرر  
البلاد العربية في الشمال وفي الجنوب ، لتقوم راية القومية العربية ، وتتحد  
بلاد العرب تحت ملك واحد ، وتبديل الأحوال الاقتصادية ، ياربما وجدد دعوته  
هذه استجابة قاطبة من العرب كلها غنياً وفقيراً .. فقد كانت العرب كلها تدين  
لقريش وكان محمد ﷺ في الذؤابة من بني هاشم أعلى قريش نسباً وأسماءها  
حسباً ، بل إن القوم قد عرضوا عليه ذلك بالفعل ، يقول ابن كثير راوياً  
عن عتبة :

« يا معشر قريش » : ألا أقوم إلى عهد فأكله وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد، فقم إليه واكله ؟

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي : إنك منا حيث قد علمت من السلطنة : في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفقت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباءهم فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ؟

قال : فقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا الوليد . . أسمع ؟ » . قال : يا ابن أخي : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكتناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ربيعاً نراه لا نستطيع رده عن نفسك طلبنا لك العطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه أو كما قال له ؟ حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي ﷺ :

« أفرغت يا أبا الوليد » ؟

قال : نعم .

قال : « أسمع مني » .

قال : أفعل ؟

فقرأ رسول الله ﷺ : « حم نزل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصوات آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » فبعضي رسول الله ﷺ يقرأها فإنا نسمع عتبة انصت لها ، وألقى يديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عاينها ليسمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ - إلى السجدة فسجدها ثم قال : أسمعتم يا أبا الوليد ؟

قال : سمعت . . قال : فأنت وذاك » .

إذن العرض من أوله ظاهر في التجرد لله . . ظاهر في أن المراد أن يحقق كل فرد في كل جزء على وجه هذه الأرض المنهج الإسلامي .

« قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .  
( الأنعام ١٦٢ )

وباربعاً لو أن رسول الله ﷺ أعلن أنها دعوة للإصلاح الاجتماعي والسمو الأخلاقي وتطهير المجتمع من الفسق والظلم ، ياربما وجد وقتها جماعة كبيرة من محبي الأخلاق والفضائل ووجهاء القوم يتبعونه ، فقد كان في العرب حس وحنفاء وحكماء وباحثون عن العدل الديني .

ولكن الله لم يشأ أن تكون الدعوة التي يدعو إليها محمد ﷺ إلا ( الإسلامية ) . وهي إسلام الوجه إلى الله في كل صغيرة وكبيرة .

( ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ) .  
( لقمان ٢٢ )

وكان أساس هذا كله هو شهادة التوحيد . « لا إله إلا الله محمد رسول الله » لقد حققها الرعيل الأول . . ودارت معارك العقيدة بين المسلمين والمشركين فبدأ بذلك الجهاد في سبيل الله بالاستعلاء فوق الآم التعذيب ( يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ) .  
( آل عمران ٢٠٠ )

ففي هذا الجو الإيماني تتطهر النفوس من العبودية للبشر ، وتخلص لعبودية الله ، وتزكو الأرواح ، وتنضج المشاعر من كل غلس شيطاني ، وتقبل على الله مشرقة نورانية .

( يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم  
ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم )  
( الأتقال ٢٩ )

فأسس المعاملات كلها وأساس الحياه كلها في نظر الإسلام (لا إله إلا الله) .  
وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة الظلال لا بد لها أن تضرب  
جذورها في التربة على أعماق بعيدة ، وفي مساحات واسعة تتناسب مع ضخامتها  
وإرتفاعها في الهواء فكذلك الدين . إن نظامه يتناول الحياه كلها ويتولى  
شؤون البشرية جميعاً كبيرها وصغيرها أسودها وأبيضها أحرها وأصغرها ،  
فلا بد إذن له من أساس متين يسع العالم كله ، وكان ذلك الأساس هو  
( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) وقامت الجماعة الأولى على هذه القاعدة وإستمرت  
تربيتها ثلاثة عشر عاماً صفي القرآن الكريم تصورها من كل ثقافة أرضية ،  
وإرتفع بها فوق محيط السواك البشرى كله ، وعاصر جيل الشباب الذي نشأ  
بين أحضان الشيوخ توجيه المنهج فزاده ذلك بالله إيماناً وبالإسلام ديناً .

لقد تربت هذه الجماعة بعد الإيمان العميق بالله على :

.. أن الرزق لكل من يدب على هذه الأرض قد تكفل الله به .

• ( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها  
كل في كتاب مبين ) .  
( هود ٦ )

• وأن العمر مقدر لا يؤخر ولا يقدم ، فقد تقررت لحظة الموت وأنه  
لا مهرب منه أبداً .

• ( قل إن الموت الذي تقررون منه فانه ملائكم ) . ( الجمعة ٨ )

( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) . ( الأعراف ٣٤ )

« وأن الذرية هدية من الله :

( يهب لمن يشاء إناثاً ، • يهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً

وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً ) . ( الشورى ٤٢ : ٥٠ )

— وربط لهم الآخرة بالدنيا :

( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) . ( النحل ٩٧ )

( كل نفس بما كسبت رهينة ) . ( المدثر ٣٨ )

( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) .

( الزلزلة ٨٤ ، ٧ )

— وذلك لهم الأرض ليكونوا خلفاء لله فيها :

( هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ) . ( الملك ١٥ )

— فأتسعت عقولهم وأرواحهم لهذه التربية واتصلوا بالله .. فكانوا وخدمهم على مدى عمر الحياة هم الرعيل الذي شاهد اتصال الأرض بالسماء زهاء ثلاثة وعشرين عاماً . ففتحو بلاد اللهدينه لا لشهرة الملك ولا لاتعاش اقتصادي ولا لتمدد سياسي ، بل حتى تكون كلمة الله هي العليا .

واليوم : ما هو واجبنا وطريقنا ؟!

أيها الشباب المسلم :

نحن مطالبون باعادة هذا الدستور حتى يؤدي القرآن دوره من جديد في إعلان كرامة البشر جميعاً تحت لواء ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) .. فكيف نسير ... إلى الطريق ...

لا بد من التجرد في التربية ، ولا يتحقق هذا إلا بالعودة إلى النبع الأول ، الخالص الذي استمد منه الرعيل الأول ونشأ عليه وتخرج على أسسه ومبادئه .

• لا بد من العودة إلى هذا النبع في صورة مماثلة لصورة بلال وأبو بكر وسعد بن أبي وقاص ، وسمية ، وعمار بن ياسر ، لا بد من عودة مع تطبيق

نسلم فيه الوجه لله تعالى ، وهذه العودة لا بد أن تكون صريحة في الإجابة على هذا السؤال .

هل نحن مسلمون حقاً ؟

إذا أجبنا بنعم .. فلا بد أن نقبل نظام الإسلام كما جاء به القرآن .. ولا بد أن نبدأ من جديد .. من بناء العقيدة أولاً .. كما كان أصحاب التجربة الرائدة .

« ينبغي أن يكون مفهوم أصحاب الدعوة الإسلامية .. أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين .. يجب عليهم أن يدعوا أولاً : إلى اعتناق العقيدة

يجب أن يعلموا أن الإسلام هو : إقرار « لا إله إلا الله » بمدلولها الحقيقي وهو رد المصدرية إلى الله في أمرهم كله .

إقرارهم في ضئائرهم وشعائرهم وإقرارهم في أوضاعهم وواقعهم .

ولتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام كما كانت هي أساس دعوتهم إلى الإسلام أول مرة .

.. وبناء هذه الجماعة لا يمكن أن يكون داخل حزب سياسي : أو جمعية ثقافية أو نادي رياضي ، ولكنها يجب أن تكون داخل الإسلام نفسه وهنأتى الشعرة الدقيقة التي لا يدركها كثير من الناس حتى المثقفين والسياسيين كيف تعيش الجماعة الإسلامية في وسط ضجيج الحياة :

هل تنزل ؟

هل نندمج ؟

لا تنزل

ولا ندمج

ولكنها تعيش كما عاشت في بدنها ، تعيش كما عاشت في مكة لها أخلاقها .  
وارتباطاتها ، وعلاقتها الطيبة بالتي هي أحسن حتى إذا تكونت هذه الجماعة  
وصفت نفسها من حب الدنيا وأقبلت على الله كان عليها أن تمشي الهوينى في  
عملية بناء المجتمع الإسلامى وسط هذه الجاهلية الشيوعية والمادية والفردية ،  
وسط ضجيج الشرق .

وضجيج الغرب ..

\* وعليها أن تبنى المجتمع الإسلامى لا بالكلام والتأليف بل بالعمل والسلوك وهى إذا تريد أن تتحرك لا بد أن تتبع خطوات الرسول - ﷺ -  
وقدر رحمتنا الله تعالى فسجل القرآن الكريم جميع تحركات الدعوة فيما يتعلق  
بالعلاقة مع غير المسلمين .

على الجماعة الإسلامية التى تنصدى للدعوة الإسلامية :

أن توائم فى تربية الدعاة الذين نيظ بهم إعادة بناء المجتمع الإسلامى وعلى  
الجمعيات ولا أقول الأحزاب السياسية التى تعمل لنشر الإسلام وإقامة  
المجتمع الإسلامى - عليها أن توائم بين سياسة اللين والمهادنة التى انتهجتها الدعوة  
الإسلامية فى السنين الأولى من العهد المدنى .

\* ثم سياسة المنهج العسكرى بعد أن تمت للإسلام دوائه فى السنة الأخيرة  
بعد أن هذبت دولة الروم وصالح رسول الله - ﷺ - صاحب « أيلة »  
وضمن حدود الشمال والشرق من الإغارة على دولة الاسلام .

\* لا بد من إدراك الظروف والملابسات بين قوله تعالى :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن  
تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » . (المتحنة ٨)

وبين قوله تعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. ولا يحرمون ما حرم



الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية  
عن يد وهم صاغرون . « ( التوبة ٢٩ )

« ولا بد من الموازنة بين :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك  
فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله  
المصير . « ( آل عمران ٢٨ )

و بين قوله تعالى :

« لا تجحد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله  
ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم  
الإيمان وأيديهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها  
رضى الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .  
( المجادلة ٢٢ )

إن الواجب المقدس الذي نحمله اليوم هو : أن نعيد بناء القرآن في  
قلوبنا أولاً .

ثم ندعوا الناس بالحسنى .

ثم نبني المجتمع الإسلامي بالهويين دون التعصب أو التحمس السياسي  
الذي يقاب العمل للإسلام ارتزاقاً يشوه الإسلام ويضيع الثواب ويقرب  
الناس من الشيطان ويحدث من التفتن ما جرّها حزب الشيعة والخوارج وعلماء  
الكلام من التفرقة والخصومة التي ضيقت ميزة الأخوة الإسلامية ووحدها  
وتضامنها أو يقع العمل الإسلامي في مخلب القتل المتنمر .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون  
عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك  
سيرهم الله إن الله عزيز حكيم . « ( التوبة ٧١ )

« إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »  
( الحجرات ١٠ )

وبعد : أيها الشباب المسلم :

فإن الجماعة التي تريد أن تعيد بناء المجتمع الاسلامى من جديد عليها .

\* أن تلزم بالمنهج الاسلامى . . فقد جرب هذا المنهج ونجح في تكوين أول دولة في التاريخ على أساس منهج القرآن الكريم .

\* ونجح هذا المنهج في خلق الجماعة الاسلامية من وسط ركام الجاهلية الفارسية والرومانية قديماً . . وقدم للتاريخ دولة قائمة على أساس واحد هو العقيدة التي كانت وطناً وقومية وأباً وأخاً . . كانت هي الأسرة والقرابة بين المسلمين أجمعين .

وفي الحديث الشريف :

« ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . رواه البخارى

\* يريد من الشباب الذى ينتسب إلى هذه الدعوة . . ويشرف بالعمل فيها أن يكون على مستوى الوضوح والأدب والجرأة . . مثل سيدنا ربهى ابن عامر وحذيفة بن محصن ، والمغيرة بن شعبة ، يوم أن سأهم رستم أكبر قائد عسكري قهر جيوش الرومان في العصر الأول أيام الدعوة لما سأهم : ما الذى جاء بكم ؟ .

فقالوا له : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى تقضى إلى الجنة أو الظفر . .

نريدكم على هذا المستوى من العمل والخلق ، نريدكم يعملون في البجوحة  
الهدية بعيداً عن مخالب النمر الكاسر الذي لا يعرف إلا القدر .

أيها الشباب المسلم :

ذلك هو حظكم إن أردتم .. وهذا هو واجبكم وإن لم تريدوا .

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

« والله غالب على أمره » .

« وإلى الله عاقبة الأمور » .



## القسم الثالث مَن لِتِجَارِبِ لِعَمَلِيَّةِ

- \* رخاء حيث أصاب .
- \* المبادئ لا الأشخاص .
- \* الهواة .
- \* القيادة الجماعية في الإسلام .



## من التجارب العملية

فذلكة :

في مشوارى مع العمل الإسلامى الذى تشرفت به وتفضل الله على وأسأله جلت قدرته أن يشملنا برعايته وحسن القبول عند مقامه العلى . .  
في مشوارى هذا شاهدت وقائع بين كبار العاملين في حقل الدعوة الإسلامية كنت أراها غير جديرة بأن يهتموا بها ، وقد عالجتها وأنا في شرح صباى في مجموعة من المقالات تعبيراً عن وجهة نظرى وثقتى في جميع الأطراف التى كانت تتغالب على فئىء لا يحمل التغالب عليه لأنه مسئولية عظيمة عند الله يوم القيامة ثم لم يكن هناك داع لأن البساط كان فسيحاً لمن شاء أن يجلس عليه في أمة زاوية من زواياه فالقاعدة في خدمة الاسلام : إن كان في الساقاة كان في الساقاة وإن كان في المقدمة كان في المقدمة .

— فالتغالب في سبيل الحصول على الرزق رأيتُه ضعفاً لأن الله ضمنه .

— والتغالب على إرضاء الرؤساء رأيتُه خسة لأن الولاء لا يكون إلا للمبدأ ( لله ورسوله وصالح جماعات المسلمين ) لا لشخص بعينه ولا لقوم بذواتهم :

— والتعصب في الإصلاح لشخص معين رأيتُه جهالة جاهلية لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكما تكونوا بول عليكم .

— والتغالب بين الدول العربية والإسلامية حول استيراد أنظمة إدارية من الشرق أو من الغرب رأيتُه انحرافاً في العقيدة ومزالاً في الشخصية . . .  
وحول كل هذا وضعت على الترتيب تصوراتى بهذه المقالات :

## رخاء... حيث أصاب..؟

القاعدة الإسلامية التي لا تقبل النقاش ، ولا الجدل أنه « من يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

فليس في ذهن المسلم الصافي ارتباط لرزقه : سعة أو ضيقاً إلا باذن الله ، وهو بهذا قد تخفف من هموم الحياة ، فيقبل على الدنيا ربانيا ، يعمل باسم الله ، وعلى بركته ، من أجل تحقيق الغاية التي خلق من أجلها « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

والمسلم الطبيعي يتناول الحياة على ذمة العهد النبوي الكريم : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » .

وإذن فحياة المسلم خالية من الهم ، وخالية كذلك من الشر ، واتجاهه إلى الحياة ليعمل ، اتجاه عبادة .

والعمل في نظر الإسلام هو وظيفة الإنسان المستلخف لهارة الأرض «إني جاعل في الأرض خليفة؟ قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون » .

والعبادة هي الصورة الحركية للعمل ، فالعمل في المسجد عبادة ، والعمل في المصنع عبادة ، والعمل في الحقل عبادة ، والعمل في العلم عبادة ، والعمل في الرعاية الإجتماعية بكل صورها . . . عبادة ، حتى إماطة الأذى عن الطريق عبادة .

وقد نظم الإسلام جميع أنواع الأعمال والعبادات بما يكفل العدل لكل



والرحمة للجميع ، وربطها بالنية « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

والمسلم الطبيعي هو الذي يجعل من نيته الخالصة عملاً متقناً ( إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه ) .

إن المسلم الطبيعي أبعد ما يكون عن شبهة النفاق في عمله ، إنه خارج الدائرة التي تعمل لغير الله لأنها صفة الكفر « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » .

إن المسلم الطبيعي يعمل رضاه لوجه الله لا للذات، ولا للشهرة، ولا للعصبية، ولا للمحسوبة ، إنه يبيت راضياً بربه ، ونبيه ، ودينه . ويستيقظ كذلك محباً لربه ولنبيه ولدينه « رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً » وهو في ذلك يوقر القاعدة الإسلامية ويجعلها بالتطبيق والتنفيذ « وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وقد كسا النبي ﷺ هذا المعنى بجميل السمات ( أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ) ، فلم يعد عند المسلم الطبيعي باب أعلا للرقابة من ذلك الجانب المقدس ، وهو إذ يخشى ربه في العبادة والعمل فأنما هي خشية المحب للبر الرحيم ( يمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار ) وقد استقر في عواطف المسلم الطبيعي رحمة ربه وخشيته معاً ، فلم يعد في حاجة إلى رقيب سوى الله .

وهذا المعنى بأوضح من هذه العجالة قد استقر وهدأ في نفوس الصحايا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فأخلصوا النية لله ، واحتسبوا الأعمال كلها لوجهه الكريم ، فكانت حرركاتهم كلها لإبتغاء مرضاته ، ولذ فقد أتم الله عليهم النعمة .

١ — فهذا سيدنا بلال رضى الله تعالى عنه — وهو مثل يمتدنى — كان يملكه طاغية عنيد « أمية بن خلف » الملىء بالمال والجاه. يجبره على الردة والكفر ، بالنار والحديد ، ولكنه يردها ( أحد ، أحد فرد صمد لا شريك له ولا ولد ) ، ويطول العناد .. ويطول الصبر ... ثم يأذن الله لبلال أن يعود من المدينة — بعد الفتح ليحطم الأصنام ، ويعلم بناء الكعبة الشريفة ، ويؤذن : الله أكبر ، .. الله أكبر ... وقد خلا الحى في مكة من رؤوس الشرك ، ووجوه الصمد عن سبيل الله .

لقد كان العمل انسياياً رغم عرقلة رؤوس الجهالة ، وكان مع حزم القائد .. وصبر الأتباع يسير يسراً رخاء .. حيث أصاب .

٢ — والمسلمون فى بدر لم يخرجوا بادية أمرهم لشوكة ، ولا الحرب . أنهم اتجهوا إلى عمل اقتصادى سياسى : هو قطع الطريق التجارى الذى تستمد منه الرجعية الملحدة التمويل الممين لها على الصمد عن سبيل الله .

وخرجت الكتائب المؤمنة وهى أشكال وأنواع ... من المهاجرين .. والأنصار الذين أحدثوا أول مجتمع جديد على الأخوة الإسلامية ، وقد ذابت فيه فوارق الجنس بكل تسمياته ... وفوارق الثقافة بشتى ألوانها ... إلا عقيدة الإسلام التى هى ملاك كل شىء فى حياتهم ، فلما دقت الساعة للمعركة ، قالها المقداد — رضى الله عنه — رخائية ، سرمدية للمسلمين فى عقبة ( يارسول الله والله لن نقول لك كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، بل نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو خضت بنا لجة بحر تلخصناه معك ) :

فكانت النية الحسنة عنوان السلوك الإنسيابى ... طاعة مطابقة ، لثقة مطلقة ، من أجل عقيدة هى الحياة : والأمل الأسمى ، فكانت معركة بدر ،

وكان العمل فيها رخاء ، حيث أصاب الجهاد النصر « ولقد نصركم الله بيدرو  
وأتم أذلة ، فاتقوا الله لعلمكم تشكرون » .

٣ — وفي أحد صوار العمل رخاء ، فقدم النصر لما كانت الجماعة تتبع أمر  
قائدها فلما لاحت للرماة هذه الراية وخفوقها يحرك في الأفئدة نشوة أيما  
نشوة نسوا حسن النية — وبقيت في نفوسهم نية الجهاد — ، فلم يعد العمل  
رخاء فانعكست الآية زمنا . . وأصيب القائد يومها . لأن رخائية العمل  
أفسدتها بعض التفاسير النفسية للأوامر التي ألقيت صبيحة المعركة ، فكان  
ذاك عقبة أمام حركة العمل ورخائيته .

٤ — وتكررت هذه الظاهرة :

( ١ ) العمل يسير رخاء إذا اتبعت الجماعة أوامر رائدها بالنص الحرفي ،  
دون اجتهاد تلونه ثقافة خاصة ، أو عاطفة خاصة ، وكان ذلك في أخرج  
اللحظات . . يوم الخندق — ويوم تبوك .

١ — في لحظة من تكاثر الأعداء « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل  
منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ،  
هناك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً » .

ولكن النصر كان مكتوباً للقاعدة السالفة . . . فكانت الآية الكريمة  
« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود ، فأرسلنا عليهم  
ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً » فالنداء في الآية حلوا  
لذيذ ، بصور قرب المنادي بجل شأنه من الجماعة المطيعة « المنادون » ، وفيه  
من المهددة ، والرضوان ما يثابح صدر الظالم لرضوان ربه ، ومن لطائف  
الآية تأنيث الفعل المعبر عن حركة جنود الكفر ، على كثرتهم وضخامة عددهم  
وعدتهم ، وأنهم في هذه السكثرة السكائرة قد أيدوا بريح ساطها الله عليهم ،

وقد أبعدها الله جات قدرته عن جماعة المسلمين ، مع اتحاد المناخ في الإقليم — لأنهم كانوا يعملون رخاء حيث يصيب النائد النصر الموعود به من عند الله .

٢ — وفي لحظة العسرة : عسرة المناخ والطقس ، وعسرة المال والإنتاج فلما جاد المسلمون بالمال والنفس ، جاد الله عليهم بالنصر ، بالرعب من مسيرة شهر .

(ب) ويسير العمل لا رخاء فيه ، إذ تلوت النية ، وأثقلت الجماعة كاهل رائدها بالعلل والمعاذير .

وكان ذلك من أمثلة تاريخ الدعوة .

في حنين : إذ أعجبوا بكثرةهم واتساع رقعة بلادهم — بعد الفتح — فقالوها : ( والله إن نغلب اليوم عن قلة ) ، ومن قبل كانت مبادئ الداعية عليه الصلاة والسلام إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . . . فكانت النكسة ، « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين » .

ولولا أن القائد كان دائماً متصلاً بربه لما كانت للنكسة إزالة ، ولكنها آية مسجلة ، ليعرف المسلمون قواعد العمل الرخاء « ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين » .

## المبادئ، لا الأشخاص

كيف تحيا الأمم وتخلد الدعوات ؟

يقرر علماء الخدمة الاجتماعية في ميدانها التطبيقي أن عملية التغيير الاجتماعي لا تتم على وجهها السليم إلا إذا كانت هناك قيادة عملية في بناء المجتمع المحلي تتحمل مسئولية التنفيذ والصيانة لعملية الإصلاح الاجتماعي لكي يحقق المجتمع هدفه ويستمر هذا الهدف حتى يتسنى قمة الرقي في المستوى الأفضل المرغوب فيه .

وقد لجأ علماء فن الخدمة الاجتماعية إلى هذه الطريقة بناء على أسس الديمقراطية التي ربطت تحرك الناس بها حسبما تفرضه الأصول النقية في دم البشر .

وقد أدركت السياسة الإنسانية الحديثة أن البقاء ليس للفرد وإنما هو للبدء فأخذ الزعماء الوطنيون المتفانون في إخلاصهم ، أخذوا يربون من بدم حتى يكونوا قيادات تحمل أفكارهم ودعوتهم ، ليبقى الهدف مستمراً في رقى صاعد إلى القمة .

والمخلصون من الزعماء يجهدون أنفسهم غاية الجهد في إعداد هذه القيادات حرصاً على خلود المبدأ الذي هو صلب حياة الأمة وعهاد خلودها .

فهل السبيل لحياة الأمم وخلود الدعوات : المبادئ . ؟ أو الأشخاص ؟  
هل النازية الهتلرية والفاشستية هي سر عظمة ألمانيا وإيطاليا ؟ وأين ألمانيا وأين إيطاليا ؟

يقول القادمون من ألمانيا حديثا إن الشعب الألماني الجديد أشد الناس كراهية للحرب والعلة واضحة فان شخصية هتلر لم يعد لها أثرها الخطير في نفوس الألمان بعد أن ألبستهم الحرب أثواب العرى وأطعمتهم متربة الفقر وأنشقتهم عبر الضحايا إنهم يكرهون التلمذة من جديد في مدرسة هتلر . ولا أحسب إبطاليا تنعى ذرات موسوليني بعد إحراقه ، فقد أدخات في ساسلة ذرعها سبعون ذراعاً مع أمة الألمان فلبست مثل ثيابها وأطعمت مثل طعامها واستنشقت عبيرا كعبيرها . فهم كذلك يكرهون نالما يكرهه الجرمان .

ذلك علمنا الحديث تؤكد أحداثه القرية أن حياة الأمم وخلود الدعوات ليس سبيله الفرد ، إنما طريقه الفذ المبدأ الرفيع .

فهل في إسلامنا الحنيف من الظلال ما تنفيها أفكارنا وتتحدد بها الأسايب التي تبقى الامم وتخلد الدعوات . . . ؟

إن تاريخ الدعوة الإسلامية يجيب في صراحة :

إن الإسلام رفض مبدأ الفردية كعنصر مقوم للحياة وكعمر تبقى في أحقابه الدعوة خالدة ، فان تاريخه يؤكد أن كفار مكة قد أخطأوا يوم ربطوا في ذنهم موت الدعوة بموت محمد وأنهم قد فشلوا مع استجماع العزم وحديدية التصميم أن يقتلوا الدعوة بقتل محمد أو قتل أتباعه .

١ — فا كان بلال العبد مملوك أمية بن خلف يرد عن عقيدته التي مخالطت روحه ودمه ومشاعره ضرب السياط أو كي الحديد أو ثقل الصبخور أو أفاعيل الصبية أو شد الوثاق بل أسمع آذان الكفر وهي في غيظ العجز من الحصول على نصر ما ( أحد أحد ، فرد صمد ، لاشريك له ولا ولد ) .

٢ — وما أبشع فشل كفار مكة وقد قرروا الحصار الاقتصادي وحبسوا دعوة رسول الله ﷺ في شعب بنى هاشم ، ما أبشعه من فشل يوم أن دعا

رهنط من طائفة الكفار أنفسهم لتمزيق الصحيفة . وما نقصت الدعوة بهذا الحبس شيئاً اللهم إلا أنها زادت المبدأ تأكيداً وخلوداً .

٣ — ولم تكن زرافات المبايعين في العقبتين لرسول ﷺ ومع ضغط المخابرات لقريش إلا دليلاً أكيداً أن الدعوة قد وضحت للخلصاء طريقها الوحيد المبدأ لا الذات وحول هذا المعنى يعان القرآن الكريم في سورة التوبة:

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فاقربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

٤ — ويوم أن أخطأ الجيش الإسلامي في معركة حنين ثاب النبي ﷺ وهتف أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وفي الجملتين إعلان تاريخي أن عهداً عليه الصلاة والسلام صاحب مبدأ فهو نبي ومهمة الأنبياء إصلاح الأمم فأعان التاريخ أنه ليس تواقاً للمجد الذاتي فينحني للعاصفة لتمر ويسلم هو ، بل أكد أنه صاحب دعوة فلو وضعوا الشمس مع القمر في يديه ماتنازل عنها أبدأ ، ففي سبيل النكرة تهون الوسائل كلها ولو كانت النفس والمال ولذا يستوضح المسلم في هذه الظلال نداء الله له: « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأولادهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله . . الآية » .

ثم هو ابن عبد المطلب — الجد — صاحب دعوة الفضيلة والسقاية والرفاة في الجاهلية فهو مصلح بنوته ويتحذر من أرومة عريقة في نسب الدعوات تبذل في سبيلها الأغلى والأثمن في لذة وفداء فهو إذن صاحب مبدأ لا طالب مجد .

وكانني بسيدنا رسول الله ﷺ يرد بهذا المنطق على أولئك الذين أشاعوا

يوم أحد أنه قتل ليفتوا في عضد القوم كأنما يقول إن دعوة الله ماضية لأنها مبدأ رفيع لا يرتبط وجودها بوجود فرد أو ذات . .

وهذا يحدد رسول الله ﷺ أن العقائد الطاهرة لا ينال منها تدمير أو قتل أو تشريد ، وتستقر هذه المعاني في عقل الصديق رضى الله عنه فيخطب الناس يوم فتنوا بموت نبيهم ( أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ) ويسعفه في موقفه السند الدستوري فيما تعلقه سورة آل عمران « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

ويستوضح المسلم هذه الظلال أيضا أنه يجب أن يصبر يوم أن يظلم وألا يتقبل الدنيا في عقيدته فقد فتح الله له طريق الهجرة « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا وسعة » ، وتمضى آيات السور لتبشر تلك القيادة المستدلة الصابرة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فكانت الهجرة وكان الصبر من آثار مبدأ ارتباط الدعوة بالمبدأ لا بالذات . ومن أجل هذا أيضاً قرر الإسلام مبدأ الشورى فإن دعوة الإسلام تحمك للإصلاح الإنساني ، ومقتضى التعايش السلمى أن يحكم الناس أنفسهم في إطار مخطط ينظم شتى العلاقات التي يحدثها احتكاك الناس في المجتمع .

وقد رسم الله هذا الإطار بالقرآن الكريم وحدد أن الأمر شورى يقول الله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » « وشاورهم في الأمر » .

وهذه الجماعة أثر من آثار فكرة الإسلام في أصول نقاء الأمم وخلود الدعوات .

إنها بالماضى لا بالأشخاص . وإذن فإن أولئك الذين يخططون في ميادين



الاصلاح والقيادة ويربطون هذا التخطيط بأشخاص أو ذوات هم قوم  
مخالفون للصواب في التغيير الاجتماعي الذي يستند إلى الأصول العلمية والنفسية  
والاجتماعية وهم مع هذا مخالفون لمنطق الاسلام وحدوده التي رسمها لبقاء  
الأمم وخلود الدعوات .

وعليه فليرحل أولئك الذين بغوا في الأرض وحكوا الشعوب ظالما كما  
رحل أولئك الكفار الذين فهموا جهلا أن خلود الدعوة مرتبط بذات أو  
فرد، فليرحل أولئك كما رحل هؤلاء، فلم يبق لهم في التاريخ إلا ما يسود  
الوجه ويندى له الجبين .

وليبق الاسلام خالدا تهرع إليه الأمم التي تريد لنفسها البقاء ، فقد قضى  
الله «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض  
ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» « ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا  
كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ) وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم  
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

## الهـوأة . . .

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ، بحسب الجاهلون أن الأمانى فى نفوس البشر لها دلال على الكرم الإلهى فىتمنون الرسالة الإلهية مبعوثة إىهم على يد واحد من العظاماء فى مكة غير محمد أو فى الطائف الظليل.

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » ، فلىست الرسالة بأمانى البشر ، ولىست قدرة الله متحركة بلمهجات الأمانى ، وإنما الرسالة منحة إىه الخالصة لعدد اصطفاه لها فهو من أجلها خلق واختاره الله ، وهى له أمانة من عند الله .

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إىلك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .

والعاقلون من البشر يدركون أن منهج الإصلاح والإدارة لا ىرتبط بالذوات بمقدار ما ىرتبط :

( أ ) بالمنهج .

( ب ) والقدرة النفسية على تحمل أعبائه .

( ج ) والقدرة المادية على تنفيذ مراحلها .

( د ) والقدرة على إقامة العسدل بين الجهاز المنفذ والمشارك فى عملية الإدارة والإصلاح .

أما مظاهر الزينة والثراء والجاه فهي عوارض يحجوها سلطان الزمن دون ما قدرة لأصحاب هذه المظاهر على مناهضة أو إبقاء على شيء منها ، فهي زبد يذهب جفاء بذاته والأول هو ما ينفع الناس فيسكت في الأرض باذن الله .

ومن ناحية أخرى فإن المتمنين نزول الرسالة على فرد معين يفرضون أهواءهم على الذات الإلهية المقدسة .

وهي أغاليط العمه الجاهل البعيد عن الإحساس الطبيعي بما يمكنه وجدان الفرد فطرياً لربه من الكمالات المطلقة في العدل والرحمة والتقديس - الخ .

فهم هواة الذوات ، وهم عباد الهوى « أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » .

وهذه الظاهرة كما ينطق بها القرآن الكريم لم تكن مجرد تحليل نفسي لبعض ذوى الهويات من المكيين ، وإنما هي ظاهرة نفسية لبعض المصريين على الأمم باتباع الهوى في ظل الحياة الإسلامية المستمرة ، ففي كل عصر نجد الساجدين على جباههم لعبادة الأفراد وهم لا يدخرون وسعاً في الاستغراق لخدمة أسيادهم ، وفي ذلة يرضون بالفتنات المتساقط حول مآدب السبحة ، وإنه لعجيب أن يتخذوا هوامهم إلهاً وهم مسلمون .

إنهم بذلك يتمردون على كثير من المبادئ الأخلاقية الأساسية في الإسلام .

١ - « إنما المؤمنون إخوة » .

٢ - « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

٣ - « ولله العزة ورسوله وللمؤمنين » .

٤ - « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » .

- ٥ - « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله » .  
 ٦ - « المسلمون تتكافأ و ماؤم ويسعى بذمتهم أدناهم » .  
 ٧ - « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .  
 ٨ - « الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .  
 ٩ - « على مثل هذا فاشهد » . . الخ .

وهم مع هذا المروق على مبادئ الأخلاق خارجون على أسس العقيدة :

- ١ - « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه » .  
 ٢ - « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .  
 ٣ - « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا » .  
 ٤ - « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها  
 ومستودعها كل في كتاب مبين » .

إن عبادة الأفراد :

- جهل بحقيقة البشر .
  - وعمه يصيب البصيرة فتضل طريق المحجة .
  - وتحقير لكيان الفرد ونفسيته .
  - وإلغاء لفكره .
  - وإلحاد بالإيمان الحق .
  - وفسوق بأخلاق الإسلام .
  - وقد علمنا القرآن الكريم :
- « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال

اقتزفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من  
الله ورسوله ، وجهاد في سبيله فترصبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي  
القوم الفاسقين .

إذن فلن يغير هوى الهواة شيئاً مما يريد الله ، ولو اجتمعت الإنس والجن  
فأنهم حمقى عاجزون بالطبع والواقع .

والنصر حتماً لمن جاهد في سبيل الله لا يبتغي مجداً ، ولا مغنماً ولا حظاً ما ..  
والله قد مكن في نفسية المجاهدين وعده .

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

وعلمهم منهج الإصلاح :

« الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا  
بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

ومعنى ذلك بايجاز :

١ -- أحسنوا صلاتهم بالله .

٢ -- ووثقوا عرى الصلوات الإجتماعية بين المسلمين .

٣ - وأقاموا العدل والتراحم دون ما محسوبة أو إقليمية أو حزبية  
أو هوى . . على حد قول الله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس  
أن تحكوا بالعدل » .

« ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » ،

٤ . ثم هم موقنون بأن الأمر بداية ونهاية مرجعه إلى الله .

— وهذا فلسوف تضيع جهود الهواة هباءً عندما يحل نصر الله .

— ولسوف تسود وجوه وتبيض وجوه عند التمييز بين عباد الله وهواة البشر .

« فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأما هارئة وما أدراك ما هية نار حامية » .

« إن ربك بالمرصاد » .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

وقانا الله شر الهوى والهواة ، وعقل شرم ، وجنب الحق والعدل والأمة شططهم إنه سميع مجيب .

## القيادة الجماعية في الإسلام

الحديث عن القيادة الجماعية في الإسلام حديث دقيق ومهم في لحظة يحياها العالم العربي في تجربة الحكم الشعبي . ودقة الحديث تحدد لنفسها الإطار التالي :

- ١ — معنى القيادة وخصائصها .
- ٢ — بين القيادة الجماعية والفردية .
- ٣ — أهمية القيادة في رفع المستوى العام للرعية .
- ٤ — حاجة الأمة إلى تدريب قيادي .
- ٥ — ضرورة التعبئة للوعي القيادي .

معنى القيادة - وخصائصها : في الأبحاث الخاصة بمبادئ القيادة والإدارة في الدراسات الاجتماعية وعلم إدارة الأعمال يقولون : إن القيادة هي ( مجموعة العمليات والوظائف التي تستغل لسياسة مؤسسة ما بغية تحقيق الهدف المنشود) . وقد ذكر الكتاب السنوي للخدمة الاجتماعية بأمریکا عام ١٩٥٥ م أن القيادة هي : ( الجهود التي تبذل للحصول على مستوى أفضل مرغوب فيه) . ومن هذين التعريفين نصل إلى أن القيادة هي جهود تبذل من أشخاص لتحقيق هدف .

هذه الجهود لا بد من تحديد المجال السلوكي والحركات العلمية على ضوء من توصيات المفاهيم الإسلامية . وهؤلاء الأشخاص : لا بد أن تتوفر فيهم صفات

نفسية وعقلية وعضوية تتفق وطبيعة الميدان الذى تعمل فيه . وهذه الأهداف:  
لا بد لها من التحدد فى ضوء الرسالة الإسلامية على المذاق الوجدانى للقطرة  
الإنسانية التى تستعذب مشقة العمل فى سبيل رضوان الله .

ما أنت إلا أصبغ دميت وفى سبيل الله ما لقيت

إنها نشاط عميقى يصدر من سواعد العقل الحصيف المؤمن بالله المتخصص  
فى نفسه المنكر ذاته من أجل تحقيق آمال الأمة ووظيفتها : « كنتم خير أمة  
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقد  
قدر الإسلام دين هذه البشرية احتياج الأمة إلى هذه القيادة فخل القرآن الكريم  
- الدستور الأصيل للحكم الإسلامى - وحدد الخصائص والسمات التى تبرز  
جوهر هذه القيادة الرشيدة . فحدد الإسلام :

أولاً - الإطار العام لهذه القيادة ووضوح تبعاتها :

يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر » في رسم بذلك صورة إنسانية سوية لمهوم القيادة على أن تط  
يتفق مع طبيعة التعاشر الإنسانى والاجتماع البشرى :

- ١ - أنها جماعية أولاً ( ولتكن منكم أمة ) .
- ٢ - وداعية للخير ثانياً ( يدعون إلى الخير ) .
- ٣ - وحافظة لقيم المجتمع ثالثاً ( ويأمرون بالمعروف ) .
- ٤ - ومعالجة للأخطاء رابعاً ( وينهون عن المنكر ) .

وكل هذا يلقه سياج الإيمان بالله ، وكل هذا يحتاج إلى جهود فعالية تصدر  
من أشخاص فيهم استعدادات الإيثار والتضحية وحب البذل وعشق العبادة فى  
سبيل الله فحدد الإسلام .



ثانياً - ملامح هذه التباينة بالشروط الآتية :

العدل بين الناس عدلاً مطلقاً لا تشوبه عنصرية ، أو كراهية ، أو محسوبية ، أو قرابة ، يقول الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وقد بنى السلوك الإسلامى على هذا الميثاق فقد خطب خليفة الإسلام الأول أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - غداة تولى أمر الخلافة فقال : أيها الناس : « إني قد وليت عليكم وليست بخيركم ، فان أحسنتم فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لي عليكم . القوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي حتى أخذ الحق له » .

ومن بعده كان عمر بن الخطاب . ويروى أنه قال لرجل يحضر مجامعته : نح وجهك عنى فاني أكره أن أنظر إليه - وكان الرجل قبل إسلامه قتل أخا لعمر - فقال الرجل : وهل ينعنى ذلك حقاً من حقوقى يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : لا . قال الرجل : إنما يبكي على الحب النساء ...

٢ - بمقتضى التجمع البشرى :

الناس شركاء فى مجتمعهم بما فيه من إمكانيات تغذى نمو الحياة . ((نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا)). ولكن مهما اختلفت مقادير الملكية الخاصة فان الناس للناس وإن لم يشعروا خدم . وقد خاق الله طاقات القوى البشرية بنسب متفاوتة وركب فى بقية البشر قدرات خاصة وحسب تجدد

مطاب الحياة . فان الحضارة - وهي استغلال موارد الحياة الطبيعية على مستوى يحقق حاجات الناس في ثوب شريف - إن هذا التجدد يتطلب تخصصاً في ميادين الإنتاج وقديماً قالت العرب « أعط القوس باريها » فان المتخصص أقدر على تكيف ميدانه بأكثر من جهود الفرد العادي في أضعاف متزايدة مهما كان عالماً في مجالات أخرى .

لهذا فقد جعل الإسلام من سمات القيادة الجماعية « الشورى » فان مجموعة الأفكار من وجهاء الفكر والرأى يقل فيها انحراف الفكر وعلل الأخطاء ويكثر فيها إصابة التفكير وأسباب الإجابة . والجماعة أقدر على تصحيح أفكارها من بصر الفرد الذي تغطي عليه لذة الفردية وشهوة الأنانية .

بهذا يرفض الإسلام كل أسلوب يتجافى مع هذا المنطق فهو يرفض الديكتاتورية ويمقت نظام الأوليغاركية . ويرفض في عنف دعوة العصبية وسياسة التكبل والعنصرية ويهتف بالمسلمين جميعاً إنما المؤمنون أخوة : وجعل من العبادات مفصلاً ينظف الفرد فيه قلبه وتفكيره وأهواه .

### ٣ - الشخصية الاجتماعية :

ولما مضى فقد دعا القرآن الكريم إلى مبدأ خطير في فقه القيادة هو تربية الشخصية الاجتماعية التي ترتفع فوق أحداث الحياة بعواطفها وتشكيرها لتقيم العدل وتدعو إلى الخير وتبغى المعروف . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » فيحدد القرآن أن أخص القيادة في القائد هي الشخصية الاجتماعية التي تؤمن بالحق ولو على حساب نفسها أو حساب أعز من تدين له بالحياة .

وفي تغذية هذا المعنى يقول الله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان  
مخصصة ) فيبين القرآن الكريم أن القيادة السليمة تضحي بكثير من  
الذائد في سبيل الهدف الرفيع وخدمة الصالح العام .

#### ٤ — الإخلاص في العمل :

يحمل الفقه السياسي عند المسلمين نصاً عن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه يبين لنا صفة من صفات القيادة التي تعمل من أجل أهداف  
الأمة : يقول « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، والله لو جاءت الأمم  
يوم القيامة بأعمال وجئنا بلا أعمال لكانوا أحق بمحمد منا » . هذا التقى  
يقرر بأسلوب المنطق التطبيقي : أن الإسلام لا يركن إلى السمعة الطيبة  
فقط في ملء الوظائف ، وأن شرف العائلة ليس معياراً للتكريم ،  
وإنما العمل وحده هو الذي يحترم في عالم الموازين والتقويم للانتاج  
والبناء والقيادة .

ومن هنا فقد أعلن الإسلام الحرب على :

١ — البيروقراطية : التي تعطل مصالح الرعية لأنها عناكب مكاتب  
الموظفين يقول الله تعالى « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن  
يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

٢ — وحرمة التسول : لأن فيه تعطيلاً لقدرات بشرية يمكن أن تضيف  
بانتاجها قطرة دم إلى وريد الأمة ، والحديث يقول : « ألا يخشى أحدكم  
أن يلقي الله يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » .

٣ — وحق الربا : لأن المرابي يأكل عرق الكادح المكافح ، وهو ظلم  
يرفضه دين العدالة والإحسان ، وهو نظام يلد فيه العقيم ، وهو قلب للحقائق

ومجافاة للعدل الطبيعي : يقول الله تعالى « يحق الله الربا ويربى الصدقات » ،  
« وأحل الله البيع وحرم الربا » .

٤ - ورفض المحسوية : فقد أعلنت النبوة أن المساواة تامة بين جميع  
المسلمين دون نظرة خاصة إلى لون أو نسب أو جنس يقول سيدنا محمد ﷺ  
( لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لفتعن عندها ) والله يقول « ولا تزر وازرة  
وزر أخرى »

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله  
ولا تكن للخائنين خصيماً » .

وحول هذه المعاني زخرت الآيات الربانية في القرآن الكريم « وقل اعملوا  
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وغدت السنة الإسلامية المطهرة في إيجابية فعالة هذه المعاني فيقول الحديث  
« وعين باتت تحرس في سبيل الله » فيجمعها في ساحة الرضوان عنده مع  
العين التي بكت من خشية الله يوم لا ظل إلا ظله .

إذن طاعة الله والعمل في سبيل الله كلاهما على قدم المساواة في الالتقاء  
السلمى في حظيرة الرضوان في لحظات العسرة القاسية .

ورسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه » .  
« ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً مما عملت يده » .

وفي المجال السلوكي ضرب سيدنا عمر بن الخطاب بدرته قوماً عكفوا في  
المساجد وقال لهم إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

٥ - الرقابة الشعبية : ولكل هذه المعاني فقد قرر الإسلام مبدأ قيادياً  
يحافظ على سلامة أسس القيادة وأعمالها لتستمر جهود القادة معبأة للعمل

الحقيقي المتمر في إخلاص وجد وأمانة ونشاط من أجل الهدف الأسمى .  
فقرر الإسلام مبدأ الرقابة الشعبية لحماية السلوك القيادي من البيروقراطية  
والمحسوية والرشا . فيقول الرسول ﷺ « الدين النصيحة ... لله ولكتابه  
ولرسوله . ولأئمة المسلمين وعامتهم » تصحيحاً للأخطاء وإسهاماً في خدمة  
الرعية ، واستجابة لداعى الإنسانية وطاعة لله ولرسوله ...

هنا تلتقى معانى الأحاديث النبوية التي تعالج من زوايا عدة موضوع  
الرقابة الشعبية كقاعدة أصيلة في البنين القيادي فيتضح في هذا المجال قول  
سيدنا رسول الله ﷺ ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

(المسلمون تتكافأ دماءهم ويسمى بذمتهم أدناهم يد على من سواهم) .

( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبأسانه فان لم يستطع  
فبقابه وذلك أضعف الإيمان ) .

( المسلم للمسلم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ) .

وبالإيجاز :

فان القسامات الاصلية لمفهوم القيادة الجماعية في الإسلام وشروطها أنها  
عدل مطلق وتشاور بين عبقريات الفن المتخصص ، وحساسية اجتماعية تبذل  
أقصى مجهوداتها من أجل الجميع ، وأمانة مخلصه في معركة العمل والإنتاج ،  
ورقابة عادلة في المحافظة على مستوى العمل وعدالة التوزيع . ثم هي لبحث  
كامل للطاقة الإنسانية . وحرب شعواء على الكسل والانحرافات ثم  
هي استخدام إيجابي لجميع القدرات المتخصصة للعمل من أجل البناء  
والعدالة المطلقة .

وأساس هذا من الكتاب والسنة :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .  
والحديث يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

### أهمية القيادة :

وفي هذا الجو الذي أظهر ملامح القيادتين : الجماعية والفردية . تبدو أهمية القيادة الجماعية . فقد ظهر أن القيادة الجماعية ترتبط بهذا الإصلاح الاجتماعي في مجالين : الإنتاج -- والخدمات - في مقابل ارتباط القيادة الفردية بالفساد والأناية والصراع -- فالقيادة الجماعية ضرورة قصوى في المجال الإنتاجي : لجودة العمل وكثرة الإنتاج وفي مجال الخدمات لعدالة التوزيع حسب الحاجة وقدرة الإمكانيات على الوفاء بمطالب الرعية .

وكل من المجالين يحتاج إلى شخصيات مؤمنة بحق الشعب مستعدة لبذل أقصى طاقاتها من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى بذلا نابعاً من الضمير حبيبا إلى القلب مخلصاً لوجه الله على نحو ما تحدثت به آيات سورة الحشر : « والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

إن أهمية القيادة الجماعية تبرزه :

١ - حاجة الأمة إلى دعاة متخصصين في مجال التوجيه لتعبئة الروح وشحن الطاقات بالإيمان بالله والعمل إنتاجاً وجودة .

٢ - حاجة الأمة لعدالة مستقيمة في التوزيع وإحساس صادق بالمشكلات يدفع إلى الإسهام في حلها بالإيثار والتضحية كما تبرزه :

٣ - خطورة البحث عن الكفاءات الممتازة في مجال العمل .

٤ - وسمو الشخصيات الإنسانية في أفكارها وعقيدتها ومثالياتها في مجال الخدمات والرقابة والتنفيذ .

وفي إيجاز - أهمية القيادة الجماعية تبرزه :

حاجة الدولة إلى قادة ممتازين في الدين والعلم والأخلاق .

تدريب الأمة على القيادة الجماعية :

ولهذا فقد أحس سيدنا رسول الله ﷺ بخطورة هذه القيادة في مستقبل الأمة في وقت لم تعرف الأفكار السياسية مفهوم القيادة فدرب الأمة في حياته على التفكير الجماعي والقيادة الجماعية مع ما ينزل به الوحي من تشريع وتقنين فأشرك الرسول ﷺ الأمة في :

١ - حين مشكلة أبرى بدر : سمع رأى الصديق الحبيب أبى بكر وهو السيد الرحيم بأهله وسن رأى الأمن القوى عمر بن الخطاب وهو البصير في أساح القيادة ولما استوى الرأيان عرضهما رسول الله ﷺ على الوجهاء من نوى الرأى والفقه والسياسة . حتى رجح رأى أبى بكر في مجال الفكر البشرى عند القيادة الجماعية فأخذ رسول الله ﷺ بناء على النص الدستورى : « وشاورهم فى الأمر » لم يكن هذا العمل الجليل حركة صغيرة تمضى فى سطور التاريخ بل هو مجال تربوى تدريبى للأمة على العمل القيادى الجماعى لتتربى الأمة على أساليب الحكم السليم فى ظل نبيها الذى شيدها للإنسانية رحمة وحنانا .

٢ - وعزز القرآن الكريم توجيه النبوة فى هذا المجال فيقرأ علينا القرآن الكريم « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » .

فيمسح الإسلام بذلك مبدأ دستوريا خطيرا أن رئيس الدولة وأمور أن

يشتور مع الرعاية في تنظيم حياتها على نمط إسلامي رفيع الكل فيه يعمل .  
والكل فيه يأخذ وأن الرعاية كذلك مطلوب منها أن تشتور مع نفسها لوضع  
الخططة واقتراح الوسائل وتصميم المشروعات لتحقيق الخير للمصالح العام .  
فلا حزبية ولا طائفية ولا كتل وإنما هي أمة واحدة تعبد ربا واحدا وتسلك  
السبيل إلى هدف واحد .

( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ) .

« من لم يهتم بشئون المسلمين فليس منهم » .

وبهذا التدريب المحمدي تنهافت النظريات التي تناق رأى الفرد وتتبع هواه  
وتخلد إلى جوره وقد أرانا التاريخ الحديث نهاية هذه المجموعات التي تحطمت  
على يد هتلر وموسوليني من الناحية النفسية والعمرانية . وبلى لمنطقة الشرق الأوسط  
الإسلامي أستاذيتها في دستورية القيادة الجماعية ومبدئها التطبيقي من حيث :

١ - مناقشة الفكرة في حييدة وإخلاص ونية طيبة .

٢ - والبحث عن القيادات المتخصصة دون إعتبار خاص .

٣ - وعدالة التوزيع على النمط الذي يرسمه لها القرآن الكريم في جدول  
الرعاية الاجتماعية وقانون الزكاة والتبرعات وخمس الركا . . . الخ .

\* \* \*

ضرورة التعبئة للوعى القيادي :

ومن هنا فقد قرر الإسلام ضرورة التعبئة لتنتقل المفاهيم النظرية للقيادة  
الجماعية إلى سلوك تطبيقي إنها عملية إحياء لمفهوم القيادة لكي لا تتجمد  
مفاهيمها الدستورية فقرر :

١ - مبدأ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .



٢ - وحدد مصادر التشريع التي يجب أن تلجأ إليها الأمة عند تطور أحداثها فيها تتلوه سورة الحشر « ما أنا كم الرسول فخذوه وما أنا كما فاتهموا ». والحديث يقول : « تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » .

٣ - وجعل من صلاة الجماعة والجمعة عروة وثقى لتجميع عواطف المسلمين ودراسة مشكلاتهم .

٤ - وقرر التعاون أساساً للعلاقات الاجتماعية بين الناس .

٥ - وجعل من الحج مؤتمراً رسمياً تلتقى فيه الرؤوس الكبرى المشغولة عن وحدة الأمة وحراسة التنفيذ لكتاب الله وسنة نبيه . لتضع تخطيطاً كاملاً لمعيشة الناس .

وترك الإسلام وسائل تلك التعبئة لمستحدثات الحياة .

فعلى الدولة وعلى علماء الأزهر وقادة التعبئة الروحية من رجال الدعوة والإعلام أن يبينوا مجالات التوعية بالقيادة الجماعية السليمة فان ذلك وحده هو ضمان الديمقراطية بأجنحتها السياسية والاجتماعية حسبما يعبرون وهو وحده ضمان استقرار الأمة وعمودها الفقري . وعماد خلودها فوق هامة التاريخ العظيم ومن قبل تحمل عمر رضى الله عنه مثل هذه التعبئة فقال : « والله لو أن بغلة بشط العراق عثرت لسئل عنها عمر يوم القيامة » .

يهدى الله إلى سبيل الرشاد كل من يحمل لدينه عاطفة الود ويعمل له إبتغاء وجه ربه الأعلى ، وهو الموفق إلى سواء السبيل .



# خاتمة

يوم الجمعة في الإسلام  
وواجب المسلمين المعاصرين فيه

[ سجل تلفزيون دولة قطر هذا الموضوع في  
إحدى عشرة حلقة أذاعها صبيحة كل يوم جمعة  
من يناير إلى مارس سنة ١٩٨١ ] .



## فضل يوم الجمعة

ليوم الجمعة في التصور الإسلامى منزلة عالية فهو :

\* أفضل الأيام عند الله جل شأنه ففي الحديث الحسن الذى رواه البيهقى « أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة » .

\* ويوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس أفقيما رواه مسلم وغيره « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة :

فيه خلق آدم عليه السلام .

وفيه أدخل الجنة .

وفيه أخرج منها .

ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة .

[ صححه الترمذى ورواه النسائى وأبو داود ]

\* ويوم الجمعة فيه ساعة محققة الإجابة ، وقد جعلها الله ساعة شائعة في اليوم كله ليتفرغ الناس في هذا اليوم لاستقبال رحمت الله ورضوانه وليتقربوا إلى جلاله بالدعاء والتفرغ .

\* ومن بركات يوم الجمعة أن أبواب جهنم تفتح فيه ، لأنه يوم اجتماع المسلمين . وهو ذكرى وقفه حجة الوداع .

\* لماذا سمي اليوم بالجمعة :

ولما سمي اليوم بيوم الجمعة لواحد من علل كثيرة ذكرها العلماء :

قالوا : لأن قريشا كانت تجتمع إلى قصى في دار الندوة يوم الجمعة .

وقالوا : لأن آدم اجتمع مع حواء يوم الجمعة .

وقالوا : لأن آدم جمع خلقه يوم الجمعة .

والعلة الأخيرة رواها الخطيب في التاريخ بحديث ضعيف قال :

إنما سميت الجمعة لأن آدم جمع فيها خلقه .

والخطيب أحد الأعلام المهرة بالحديث وهو : الحافظ أحمد بن علي بن ثابت

أبو بكر البغدادي الفقيه الشافعي .

وقال ابن كثير في تفسيره : إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع

فان أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع ففي الصحيحين :

نحن الآخرون والسابقون يوم الجمعة ، بيد أنهم أتوا السبت من قبلنا

ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلقوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا

فيه تبع .

وفي مسلم :

أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت ، وكان

لنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت

والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة : نحن الآخرون من أهل الدنيا

والأولون يوم القيامة المقتضى بينهم قبل الخلاق .

وهذه العلة هي الأولى بالقبول فأحاديثها صحيحة ومعناها متسق مع ذاتية

الامة الإسلامية ، ومنسجم من النص القرآن الكريم .

يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله

وذروا البيع ذلسم خير لكم إن كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

## السلوك الاسلامى المطلوب يوم الجمعة

وإذا كانت هذه قيمة يوم الجمعة عند الله ، وذلك نداؤه المقدس الجليل إذا نودى للصلاة أن تسعى الأمة الإسلامية كلها إلى لقاء ربها في مساجده فقد رسم الإسلام لذلك اللقاء برتوكولا ونظاماً خاصاً فان تعاليم الإسلام كلها رتيبة تعلم المساميين كيفية نظام المعيشة، واللقاء ، والعمل ، والتحدث.. الخ.

والنظام الإسلامى للمساميين يوم الجمعة له سمات وخطوات أمقننة كما يلي :

أولاً : التبكير بالحضور إلى المسجد .

فقد روى علقمة قال :

خرجت مع عبد الله بن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال :

رابع أربعة ، وما رابع أربعة من الله يبعيد .. « إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ان الناس يجلسون يوم القيامة على قدر ترواحهم الى الجمعة الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله يبعيد » .

سداد ابن ماجه

فالتبكير بالذهاب إلى المسجد فيه معنى محبة القرب من مقام القدس ومعيه السكينة ، وقرب الرضوان من الله تبارك وتعالى ، وفي الحديث الذى رواه أحمد وهو حديث حسن :

« تقعد الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة فيكتبون الاول والثانى والثالث حتى اذا خرج الامام رفعت الصحف » .

ثانيا : عدم جواز تخطى الرقاب :

ولهذا السبب وهو حمل الصالحين على التبكير في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة ، فقد كره الإسلام أن يتخطى الرقاب ، فقد روى الترمذى أن النبي ﷺ قال إن يتخطى الرقاب : ( اجلس فقد آذيت وآنيت ) .

ويحذر الإسلام كثيراً من هذه الظاهرة لئلا يبقى المسجد وقاره فليس الاجتماع في المسجد كاجتماع في مكان سواء فلا بد من احترام التجمع في المسجد فلا ترثع رجل لتعلو كتف مسلم آخر ، فلا تتساوى الأرجل والمناكب في المساجد فذاك عمل السوق والغوغاء وإنما الذي يتساوى المناكب مع المناكب والحياة على الأرض مع الجباه ، كما تتساوى الرتب والأحوال ولن يبقى في ساحة المسجد إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولذا يخوفنا الحديث الحسن الذي رواه أحمد والحاكم والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

( إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين بعد خروج الإمام كالجار قصبه - أمعاءه - في النار ) .

والذين يشاهدون مساجد المسلمين في باكستان والهند وما ليزيا وإندونيسيا يعرفون مقدار الجمال والكمال والنظام في التطبيق الإسلامي لسلوك المسلمين يوم الجمعة : إنك سوف تجد المسجد قد وضعت فيه قطع القماش الأبيض التي تحدد الصف حتى ينتظم المتجمعون في صفوفهم ، أو عندما يدخل فرد المسجد لا يجلس حسب إهواه وإنما يصف نفسه مع أول من دخل فهم متجانسون في الجلوس فتجد المسجد يصف صفا بعد صف ولن تجد واحداً يجلس هنا وواحداً يجلس هناك فعملية التراص تبدأ بأول من يدخل ثم تترى منتظمة بارادة المسلمين ، ولا تسمع إلا همساً بالقرآن الكريم ، وإذا دخل أعظم العظماء فكأنما لا أحد يدخل فالناس قد شغلهم الإقبال على ربهم .



أما بلاد العرب ففي حاجة إلى أن تتعلم برتوكول صلاة الجمعة من أهل  
السماحة في هذه البلاد الذين يعملون المسجد يوم الجمعة كأنما الملائكة هي التي  
تصلي . غفر الله للعرب ذنوبهم يوم الجمعة بما يحيلونه من مكاء وتصديه  
للزعماء ، والسياسيين .

ثالثاً : حسن الاستعداد لحضور الجمعة :

والمقصود من حسن الاستعداد أمور .

الاعتسال .

والسواك .

والطيب .

ففي الحديث الشريف :

ثلاثة حق على كل مسلم :

الغسل يوم الجمعة .

والسواك .

والطيب .

وراوى الحديث ابن شيبية وهو رجل لا نظير له عند علماء الحديث ،  
وروى أبو نعيم في كتاب السواك :

السواك واجب وغسل الجمعة واجب على كل مسلم .

ومعنى الوجوب : الالتزام بالفعل واتخاذها عادة فهو وجوب مستحب  
الإدامة في فعله والتجلى به .

وقد روى الحاكم : ( من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة إلى الجمعة  
حديث صحيح (الأخرى) .

ومعنى دوام الظهارة هنا التقاء الوجدانى ، وصدق الإقبال على الله ،  
ورعدم التعرض للبوائق .

وقد روى أحمد بن حنبل :

من توضع يوم الجمعة فيها ونعمت .

ومن اغتسل فالتسل أفضل .

وعند الطبرانى :

( إن الغسل يوم الجمعة يسيل الخطايا من أصول الشعر استللا )

حديث صحيح

فانظر يا أخى كيف يفتح الله على المسلمين أبواب النظافة من  
الإدران والسيئات بعمل سهل وبسيط وهو مطلوب بالفطرة ، وبالحاجة  
الإنسانية .

وقد يسر الله فيما كلف فقد وهب الله البشرية مياها متعددة المصادر البحر  
والنهر ، والبر ، وماء المطر ، وماء العين ، والشلالات ، ولم يكلف البشرية أن  
تغتسل بماء الورد ولا العطور . الخ .

لأن الله يكلف باليسر والرفق . . . فلم تكون الأمة الإسلامية  
أقل البشرية نظافة ؟ ولم تكون الأمة الإسلامية أقل الناس في  
استخدام المياه . . .؟ ولم يسبقنا الغرب في عظم النظافة الحسية وليس في دينه  
رائحة نص عن طلب الاغتسال أو معنى الوضوء ؟

ممن العيب؟

إنه منا بلا شك .

## رابعاً : الإنصات للخطبة :

في مفهوم الاتصال الذي وضعته الدعوة الإسلامية عرف الباحثون من علماء الاتصال وعلماء الدعوة أن وضوح الرسالة الموجهة الى المستقبل أو المدعو شرط أساسي في صحة عملية الاتصال أو عملية التبليغ ، والإنصات للخطبة يوم الجمعة هو شرط من شروط صحة التبليغ ليستفيد المستمع المستقبل، ثم الإنصات للمتحدث مطلب في آداب البحث والمناظرة فقد شرط العلماء في آداب البحث والمناظرة أن ينتظر كل من ينتظر كل من المتناظرين صاحبه حتى يفرغ من كلامه ، ويوم الجمعة يدرّب الأمة الإسلامية كلها على هذه الآداب :

• انه يدرّبها على كيفية صحة عملية الاتصال ( التبليغ ) .

وانه يدرّبها على تنفيذ شروط البحث والمناظرة ومن ثم إذا جاءت آداب الصوم « فمن قاتلك أو شاتمك فقل : أنى صائم » تجد قد سبقتها آداب في حسن الاستماع التي تدرّب المسلم على ضبط مشاعره ، وعقل لسانه .

وفد حذر سيدنا رسول الله ﷺ جماعة المؤمنين من الوقوع في مخالفات هذه الآداب في الحديث المتفق عليه من العلماء والشيوخ :

« مثل الذي يتكلم يوم الجمعة والامام يخطب مثل الحمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له أنصت لا جمعة له » .

ومن المشهور المتداول كثيراً الحديث المتفق عليه أيضاً :

« اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت »

ان الكلام في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، تلك قاعدة في آداب الجلوس في المسجد فاذا انضم إلى هذا التواجد في يوم الجمعة والامام

يخطب فقد ازدادت المسألة تنظيماً فلا كلام ألبتة حتى لا تعرض عن الله وعن نصاب الإمام . . . فياويل أولئك الذين حولوا المساجد إلى سطو المباحث والمخابرات ، وياويل أولئك الذين يصفقون ويولولون للكبار من الذين لا يملكون للناس ولا لأنفسهم تقابلاً ولا ضراً .

### من خصائص يوم الجمعة

ومن خصائص يوم الجمعة في السلوك كذلك فضائل جمعة منها .

( أ ) قراءة القرآن .

( ب ) الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ .

( ج ) الدعاء المستجاب .

( د ) المغفرة .

أولاً : قراءة القرآن الكريم :

إن يوم الجمعة يوم اختاره الله للامة الإسلامية هدانا الله ليوم الجمعة وأضل الله عنه اليهود والنصارى ، فهو يوم ينبغي أن يحياه المسلمون بكلام الله توقيراً لفضله عليهم وامتناناً لآلائه ونعمائه .

وقد تخير النبي ﷺ سوراً يقرؤها المسلمون في هذا اليوم وخص منهن سورتين : هود والكهف . ففي الحديث :

( اقرءوا سورة هود يوم الجمعة ) رواه البيهقي - حديث صحيح

ومعروف أن سورة هود لها منزلة جليلة عند سيدنا رسول الله ﷺ فقد روى أنه قال : شيبني هود وأخواتها الواقعة والحاقة ، وإذا الشمس كورت الطيراني - حسن

وقد بينت رواية ابن عساكر الباعث على ذلك ، ففي الحديث المرسل وهو حسن : ( شيبني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي ) .

وفي رواية أحمد بن حنبل :

( شيبتي هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم ) .

فالنبي ﷺ يشرح هذه السورة يوم الجمعة ليقراها المسلمون حتى يستمروا على ذكر من أحوال يوم القيامة ، وأحوال الأمم السابقة فلا يفتروا بوساوس الشيطان ، ولا يخرجوا عن نظام الإسلام ومنهج الله إلى الناس كافة .

كما رشح النبي ﷺ للمسلمين سورة الكهف ليقروها يوم الجمعة .  
ففي الحديث الشريف :

( من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين )  
رواه الحاكم والبيهقي - حديث صحيح

وفي رواية أخرى :

( من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق ) .  
رواة البيهقي - حسن

والنبي ﷺ يعرف حالات الضعف وحالات الضعفاء في أمته فيقترح لمن لم تسعفه أحواله لكثرة مشاغله أو لعدم قدرته على القراءة .. يقترح لأصحاب هذه المعاذير أن يقرءوا بعضاً من سورة الكهف .

ففي الحديث الشريف :

( من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ) .  
رواه أحمد ومسلم والنسائي

ويخفف النبي ﷺ أكثر من ذلك فيقول :

( من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال ) .  
رواه الترمذي - صحيح

وأخر الكهف وأولها حبك رائع في إعلان أن مجداً صلى الله عليه وسلم  
قد تلقى القرآن الكريم من ربه وأنه ليبشر المؤمنين ، وأنه كذلك  
لينذر الكافرين.

وقراءة هذه السور يستوى أن يكون في المنزل صباحاً ، أو أن يكون  
في المسجد ، أو فيهما معا ، ويستوى كذلك أن يكون هناك من يقرأ والكل  
يسمع أو الكل يقرأ ، وادعاء البدعية في هذا الفعل خيبة كبيرة إذ كيف يحكم  
على قراءة القرآن في مسجد الله بأنه بدعة ؟ إذ ليس يلزم أن تكون كل  
بدعة ضلالة ، فقد حدد النبي ﷺ البدعة الضلالة فقال : ( من أحدث في  
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) .

وقراءة القرآن عصب أمرنا ، وقراءة سورة الكهف فيها نص معصوم ،  
وكونها في المسجد لا تكون بدعة لأن القراءة عبادة ، ويوم الجمعة له نظام  
مخصوص عند المسلمين حسبا بسماه لنا الشرع الحنيف ، فكيف تبلغ الجرأة  
بالبرص إلى ادعاء البدعة في مشروعيتها القراءة ؟

كذلك يأمنا النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة :

قراءة . كل هو الله أحد

والمعوذتين وذلك سبع مرات

فقد روى ابن السني حديثا حسنا عن النبي ﷺ أنه قال :

( من قرأ بعد صلاة الجمعة :

قل هو الله أحد

وقل أعوذ برب الفلق .

وقل أعوذ برب الناس .

سبع مرات أعاده الله بها من سوء إلى الجمعة الأخرى .

وفي رواية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ومن أغرب الغرائب أنى وجدت الناس يوم الجمعة في غير بلاد العرب لا يسرعون بالخروج من المساجد يوم الجمعة بل وجدتهم يجلسون كما هم على هيئتهم الجامعة ويختمون الصلاة على النحو المعروف يسبحون ويحمدون ويكبرون ثلاثاً وثلاثين مرة وهم على ما هم عليه من الإجماع ثم يبدأون في ذكر طيب مشجج وهم كذلك على هيئتهم يرددن :

يا حفيظ يا كاف يا لطيف يا شافي أنت الله .

يرددونها أحد عشر مرة خلف الإمام ثم يقومون للتنفل .

أما عندنا في بلاد العرب فما أسرعنا إلى الخروج من المساجد يوم الجمعة والله لا أدري ما الذي يدفع الناس لأن يهرعوا إلى أبواب المساجد يوم الجمعة ولسكأنما يساقون بالعصا من خلفهم إلى الخارج .

ثانياً : الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ :

النص القرآن الكريم : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

يوضح حقيقة تخفى على كثير من المسلمين وهي أن الصلاة على النبي ﷺ مستغرقة ما قبل الزمان والزمان نفسه ذلك أن الله يصلي والله لا أول له جل في علاه ثم الملائكة المطهرون وهم لا يعصون الله ما أمرهم فائبات الصلاة على النبي ﷺ إلى اسم الجلالة ومعه الملائكة دليل على أن الصلاة من قبل الزمان كانت بأطهر ما خلق الله وهم الملائكة ، وبناء على هذا فقد رتب الله الحكم التسكيفي لجماعة المسلمين « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

ولما كان يوم الجمعة يوماً خاصاً بالسلوك الاسلامي فقد نهبنا سيدنا رسول الله ﷺ إلى خاصية جليلة من خواص هذا اليوم وهو أنه وعاء للصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ففي الحديث الشريف .

\* « أكثروا الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الأزهر فان صلاتكم تعرض على » .

( البيهقي ، وابن عدى في الكامل حسن مرسل )

° وفي رواية أخرى :

« أكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلي على إلا عرضت على صلواته حتى يفرغ منها » .

( ابن ماجه عن أبو الدرداء - حسن )

\* وفي أخرى :

« أكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً أو شافعاً يوم القيامة » .

° وفي رواية أخرى :

« أكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة » .

( البيهقي )

وفي طلب عام يوضح فيه النبي ﷺ فوائد الصلاة عليه بالنسبة لأحوال المسلمين فيقول :



« أكثرُوا الصلاة على فان صلاتكم على مغفرة لذنوبكم واطلبوا الى الدرجة والوسيلة فان وسيلتي عند ربي شفاعتي لكم » .

[ ابن عساكر عن الحسن بن علي ]

فهل للمسلمين المعاصرين والعلماء السلفيين أن يلتزموا بذلك فيصلون على النبي ﷺ في الليلة الغراء واليوم الأزهري بدل أن يضعوا اسم النبي ﷺ في معرض الجدل والخصومة ؟ هل يفيق المسلمون المعاصرون إلى الآداب التي أوحىها الله على المسلمين تجاه نبيه ﷺ :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ...

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض . ( الحجرات )

« لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً . ( النور )  
« وبمضى الله تبارك وتعالى جماعة المسلمين أن يؤذوا رسول الله ﷺ يقول الله تعالى :

« ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم .

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم . ( التوبة )

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولا تكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إذ ذاكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ... الآية . ( الأنزاب )

« فليحذر الذين يجالون عن أمره أن تصيبهم فنة أو يصيبهم عذاب أليم ( النور )

فهل الذين يدعون السلفية على شيء من الصواب وهم يعرضون مسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة نقاش بدعي ؟ ألا يستحي هؤلاء من الله عز وجل الذي أمر جماعة المسلمين بالألا يؤذوا رسول الله ﷺ ؟

حسبي الله ونعم الوكيل في كل منشدق بهذه الدعوى المدعاة بالتطاول على النصوص والحق وجناب حضرة رسول الله ﷺ الذي به إكرامه وبه عرفنا الله السبيل السواء . والصراط المستقيم .

### ثالثاً : الدعاء المستجاب :

إن القاعدة العامة في التصور الإسلامي للعلاقة بين الله جل جلاله وخلقه : أنه قريب ، وأنه أقرب إلى المرء من حبل الوريد ، وأن أقرب ما يكون العبد المؤمن من الله وهو ساجد ..

ويوم الجمعة لا خاصة ينفرد بها عن هذه القاعدة العامة وهي : أن الله تعالى وهو صاحب الفضل والتدبير والمكتوب قد جعل فيه ساعة ... ساعة ما ... لا يوافقها العبد الصالح — والله أعلم بالصالحين — إلا أعطاه الله سؤاله ، ففي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد والنسائي .

« إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه الله إياه » .

ذلك فضل ولا يحجر على فضل الله أحد أبداً فالله ذو الفضل العظيم .

### رابعاً : المغفرة

من خاصة يوم الجمعة أنه يوم المغفرة لمن شاء الله له أن يدخل في حساب المغفور لهم ، ففي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي : أن النبي ﷺ قال :

« مامن مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله تعالى فنة القبر » .  
أسأل الله تعالى أن ياحقنا بآبائنا وإخواننا الذين من الله عليهم بهذه المنزلة .

خامسا : تعرض الأعمال ليلة الجمعة :

روى البخارى فى التاريخ وأحمد بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال :  
« إن أعمال بنى آدم تعرض على الله عشية كل خميس ليلة الجمعة  
فلا يقبل عمل قاطع رحم » .

سادسا : فى يوم الجمعة لا تسجر النار :

فقد روى أبو داود بطريق صحيح أن النبي ﷺ قال :  
« إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة » .

وإذا كان ذلك من خاصيات يوم الجمعة فهو فضل الله الواسع وملكه  
الذى وسع كل شىء رحمة وعلما فمن يرد فضل الله أو يعترض عليه !!؟

سابعا : أنه يوم شاهد :

فى السنة الشريفة : الشاهد : يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على  
يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً  
إلا أعطاه إياه ولا يستعيز فيها من شر إلا أعاده .

وروى الحاكم والبيهقى بإسناد صحيح قال :

الشاهد يوم عرفه ويوم الجمعة ، والمشهود هو الموعود يوم القيامة .

ومعنى الشاهد أنه يوم يشهد اجتماع المسلمين فيه فمن حضر الجمعة  
مبكراً أو متأخراً أو جاء قسراً أو برضى فهو يوم شاهد على المرء  
بأحواله ونيتته .

ثامناً : لا يجوز أفردته بالصوم :

من خاصية يوم الجمعة أنه يوم عيد وراحة للمسلمين فهو يوم مرح وراحة وذكر وصلاة ، إنه يوم يلتقي فيه الأصحاب والأقارب وقد يكون الغرباء من الأهل والصحب يلتقون في هذا اليوم فحمله الله يوم سرور وفطر فنهى الإسلام عن الصوم فيه وحده لأن إفراده بالصوم يتناقى مع خاصيته السالفة الذكر في الحديث الشريف : لا تصوموا يوم الجمعة مفرداً .  
(رواه أحمد والنسائي والحاكم)

وفي رواية أخرى :

« لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم » .  
(رواه أحمد)

والعبادات لها أسرار وأسرارها لا تعطى العقل حق التغيير في الأحكام المثبتة بالنصوص ، فلا يصح أن يجتهد مجتهد في جواز أفراد يوم الجمعة بالصوم فقد ذكرت أحاديث أخرى علة النهي حتى تقطع السنة بطريق المتأولين والغالين والمنتحلين بقول النبي ﷺ :

« إن يوم الجمعة يوم عيد وذكر فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيام ، ولكن أجعلوه يوم فطر وذكر إلا أن تخلطوه بأيام »  
(رواه البيهقي باسناد حسن)

تاسماً : حلاوة صلاة فجره جماعة :

امتثال الأوامر له حلاوة يجدها الصادقون من الصالحين واجتنبائهم النواهي له حلاوة يجدها الثوابون الآيئون المسأنسون برحمة الله .

وقد جعل الإسلام لصلاة الصبح يوم الجمعة حلاوة خاصة إنها حلاوة المغفرة وحلاوة الشعور بالصحبة في يوم المغفرة اليوم الشاهد الأزهر .

ففي الحديث الشريف

« أفضل الصلوات عند الله تعالى صلاة الصبح ليلة الجمعة في جماعة .  
( رواه البيهقي )

وفي رواية الطبراني :

« ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة  
وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورا له . » ( حديث حسن )

## النسبية في فضل يوم الجمعة

العدل لا يتنافى مع الإحسان فمن أخذ حقه ولم يضع عليه شيء فقد أخذ بالعدل والقسطاس ، فإذا زيد لواحد من أصحاب العدل شيئاً فوق حقه بحيث لا يضار صاحب حق فذلك فضل لا ينبغي لأحد أن يجادل فيه أو أن يعيب به كقيمة رفيعة الأخلاق .

وفرق كبير بين الفضل والمحسوية إن الفضل شرطه ألا يضع مع حق لآخر أما المحسوية فهي عطاء من لا يستحق على حساب من يستحق وذلك باب الفوضى الذي تفسد معه الحياة .

والفاهمون لقول الله تعالى :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . الآية يدرك أن العدل 'تقدم الأمر به لأنه مطلب العامة من الناس وأن الإحسان تأخر عنه لإفادة معان منها :

• أن العدل المصدر في الآية لا يستقيم أمره إلا مع الإحسان والرفق وفي الحديث الشريف « من حرم الرفق حرم الخير كله » .

• وأن الاحسان يمنع من الشطط في إقامة العدل فليس المهم من إقامة العدل العدل في ذاته حتى ولو ترتب عليه مظلمة للغير ، لا بل المراد من إقامة العدل الرضا والطمأنينة وأن يأمل كل فرد في المجتمع في الحصول على حقه مع الطمأنينة ومع عدم الاحساس بأن قد يصيبه ظلم أو سوء أو أذى من غيراء إقامة العدل .

« وأن الإحسان فضل فوق العدل فمن أخذ حقه بالعدل فلا يلوم بعد ذلك من يسر الله فوق العدل إحساناً بالفضل .

وهذه حاقية دقيقة في الإدراك والتصوير وكذلك في السلوك والعمل والخلق ، إلا أن مع الذين أطمأنت قلوبهم بحسن البنية وإخلاص العمل لله ، وبرئوا من منعية الظلم فإنه لا تثريب عليهم أن يكونوا أصحاب فضل بالإحسان على أهلها وذو به . فإن أجمع الفواقع أن تضع المعروف في غيره وفي الحديث الشريف :

« لا يأكل طعامك إلا مؤمن ولا تصاحب ذلالتى . »

فأهل المعروف هم أولى بالفضل والإحسان قبل العدل أو بعده ما لم يكن ذلك دافعاً لظلم أو منسياً في حرمان .

ويوم الجمعة له نسبتته في التفصيل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فيوم الجمعة في المدينة أو في مكة غيره في مكان آخر .

ويوم الجمعة في رمضان غيره في شهر آخر ، ومحط ذلك التفضيل النصوص الإسلامية الشريفة .

فقد روى الطبراني عن النبي ﷺ قال :

« رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان . »

« وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان . »

وفي مسند الفردوس لله يسلمى .

« فضل الجمعة في رمضان كفضل رمضان على الشهور » . [ حسن ]

وقد إرتسكز هذا التفاضل على قاعدة أساسية هي .

« صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا

المسجد الحرام فاني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد « مسلم والنسائي .

وفي رواية أحمد والنسائي باسناد صحيح :

« صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ،  
وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » .

وفي رواية البيهقي جلاء جلي لفضل يوم الجمعة بنسبته مع القاعدة التي  
ترتكز عليها هذه النسبية في الحديث الشريف :

صلاة في مسجدي هذا كألف فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصيام شهر  
رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواه ، وصلاة الجمعة بالمدينة كألف  
جمعة فيما سواها .  
[ حسن ]



## مئنة فقه الخطيب قصر الخطبة

خطبة الجمعة واجب شرعى وركن من أركان صلاة الجمعة فلا جمعة بدون خطبة ولم تقصر صلاة الجمعة إلى ركعتين إلا من أجل الخطبة فالخطبة يوم الجمعة جزء من الصلاة .

غير أن خطبة الجمعة ليست بياناً برلانيا : أنها ليست خطاب عرش ، ولا محاضرة في كلية ، وليست درساً في مدرسة ، وإنما هي كشف حساب ومحاسبة على أسباب التقصير من الراعى ومن الرعية يذكر كل صاحبه بما يجب عليه نحو الله والدين والوطن والأمة ، وليس المراد من الخطبة الطول ولا المصاحبة بقدر ما هو بيان المقصود حسبة لوجه الله تعالى .

والمنبر هو آخر موارث المسلمين عن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ، فينبغى أن يحافظ المسلمون على هذا المنبر بما له من وقار ، واحترام ، وبما عليه من رسالة يجب أن يؤديها .

فليس من الإسلام في شيء أن يتخذ من المنبر يوم الجمعة مديحاً .

ففي الحديث الشريف :

( احتشوا التراب في وجوه المداحين ) .

وليس من الإسلام في شيء كذلك أن يتخذ المنبر للسب واللعن .

ففي الحديث الشريف :

( لم أبعث لعاناً ولا سباباً ) .

إن مقام النبوة الشريفة يجب أن يمان عن كل نقص ينخل برسالة المنبر ،  
ولذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يجعل قصر الخطبة غير الخلة بالمقصود من  
فطنة الخطيب .

ففي الحديث الشريف :

( إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة  
وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحراً ) .

[ رواه مسلم وأحمد ]

## القيم الحضارية ليوم الجمعة

يوم الجمعة يوم حضارى فى الحياة الإسلامية ذلك ، لأن مفهوم الحضارة لا ينفك عن القيم التى تسود فى المجتمع والمجتمع العالى هو المجتمع الذى يحترم النظام ، والنظافة ، والوحدة الإنسانية ، وتكون الشورى صفة تلقائية فى حياته :

### النظام :

ويوم الجمعة هو المنارة التى تهدى إلى هذه القيم فليست هناك حضارة مع الفوضى أو ليست هناك حضارة مع النظام المضطرب ، بل الحضارة تكمن فى احترام النظام كخاتق لكل فرد ، ويمتاز الإسلام بأنه دين النظام : يؤقت لكل شىء وقته ، وميقاته ، وظرفه ، والنظام فى يوم الجمعة رتيب والمفروض أن المسلمين يأخذون به :

- إنهم يستعدون بالنظافة والتطيب ولبس أنظف الثياب .
  - ثم يقرءون قرآناً معهوداً معروفاً .
  - ويصباون على النبي صلى الله عليه وسلم .
  - ويذهبون إلى المساجد مبكرين غير متخطى الرقاب . يصطفون فى صفوف مستقيمة ، خاشعين ، ذاكرين .
  - وينصتون إلى الخطبة صامتين غير مابئين أو مشوشين .
  - ثم يقرءون بعد الصلاة الصمدية والمعوذتين سبعا ... الخ .
- وهذا مظهر حضارى يربى فى المسلمين الحرص على النظام ويدفعهم إلى

تنظيم جميع أعمالهم لا سيما إذا عرفوا أن كل عبادة في الإسلام قائمة على من هذا النظام فالصوم قائم على نظام والزكاة قائمة على نظام وال الحج كانه نظام في المكان والملبس والحركة والاجتماع واللقاء و... الخ .

### النجافة :

في الدراسات الخاصة بالطهارة لن يجد المثقفون دراسة شاملة وحرية على النجافة كتلك التي قدمها علماء الإسلام أخذاً من النصوص المعصومة .

في الدراسات الإسلامية جزء من الماء وأنواعه ، وعن الحدث وأقسامه و كيفية التطهر ، وفيه الاغتسال الواجب والمسنون ، وتقسيم دقيق للنجاسات و كيفية التطهر منها وتطهير النجس .. الخ .

ومع هذا فان الاحصائيات في الأمم المتحدة تقيّد أن المسلمين هم أقل الشعوب استعمالاً للماء .

وبينا يقرر الفقه الإسلامي أن الاستنجاء المفضل في عملية التطهر أن يكون بالآجر أولاً ثم بالماء ثانياً مع كراهية استخدام اليد في التطهر . . لكننا نجد الأمم الغربية قد استحدثت أنواعاً راقية للطهارة وليس عندهم دين يحثهم على شيء من هذا النظام ، بينما المسلمون لا يعرفون هذه الخاصية الإسلامية .

ويوم الجمعة هو يوم النجافة وينبغي أن يكون مظهر النجافة في هذا اليوم مشعراً بالقيمة الحضارية التي يحض الإسلام عليها ليكون المسلمون على أمثل الأنظمة نجافة : في أنفسهم ، وفي منازلهم وفي مدنهم وفي قرانهم ، وحوالياتهم وأسواقهم . . .

والذي يضيق له الدعاء أن البوذيين الذين يمكنهم شهوراً لا يعرفون نجافة يحرصون على نجافة ثيابهم ومدنهم ومنازلهم ، بينما لا نجد ذلك ظاهرة في

الأمة الإسلامية وليس هذا راجعاً إلى الإسلام بالطبع بل هو راجع إلى  
التخلي عن تنفيذ مبادئ الإسلام .

فتى يفيق المسلمون ؟

الشورى :

بغض النظر عن التشقيقات التي أثارها الكاتبون في موضوع الشورى فإن  
القارىء للقرآن الكريم يجد أمرين :

الأمر الأول : أن الشورى ذكرت على أنها صفة من صفات الجماعة  
الإسلامية ، والصفة لا يمكن أن يتخلى عنها صاحبها لاسيما إذا كانت صفة  
حميده ، وذلك فيما يقرؤه المسلم :

« فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين  
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا  
ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم  
شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

فالشورى في الآية جاءت في مورد صفات جماعة المؤمنين .

الأمر الثانى : أنه إذا ظهر خطأ في نتيجة استخدام الشورى فإن المبدأ  
يبقى كما هو حتى ولو كانت النتائج عكسية وذلك مؤكداً للمعنى الأول : أنها  
صفة للجماعة الإسلامية لا يجوز التنازل عنها يقرأ ذلك المسلم في قوله تعالى :  
« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك  
فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله  
يحب المتوكلين » .

ومن خصائص الإسلام أنه لا يضع النظرية في جانبها النظرى Theory

بل ينظم من مجالات التدريب ما يعطى فرصة لكل فرد من المسلمين ليطبق مبادئ الدين .

فالصلاة : تعلم المسلمين برتوكول الاجتماع ، ونكشف عن حالات الضعف ليتكاتف المسلمون على علاجها ، ثم هي رابط قوى يوحد ويقوى ، ويمكن العلاقات داخل المجتمع .

والصوم : يعلم المسلمون جميعاً وحدة الشعور نحو العبودية لله تعالى ، ويدفعهم إلى الشعور بالإخوة واحترام الصادقين في التعبد وتربية الإحساس الاجتماعى .

والزكاة : تدريب على الأمانة والرعاية الاجتماعية ، وتربية فضيلة التطوع ، والعطف على أصحاب الحقوق .

ويوم الجمعة : تدريب على ممارسة الشورى ، لأن المستمع له حق النقاش ، والنقاش داخل المسجد فى إدراك المسلم يماط بكثير من الضمانات منها :

- عدم ذكر الألفاظ النابية .

- عدم القصد إلى التشهير .

- عدم الإطنباب استعراضاً للعضلات .

- إخلاص النية فى الكلمة والهدف ... الخ .

وقد حدث مثل هذا فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحفظه التاريخ واشتهر على ألسنة الناس حين خطب ينصح الناس ألا يتغالوا فى المهور فقامت امرأة كانت تشهد صلاة الجمعة : وقالت يعطينا الله وتمننا يا عمر ثم قرأت قول الله تعالى :

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلم تأخذوا منه شيئاً » الآية .

( النساء )

فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

القصة فيها مواصفات للممارسة : أدب في العرض ودليل على الدعوى والتزام من رئيس الدولة مع أن عمر لم يكن مخطئاً لأن الاستدلال بالآية في موضوع غير الموضوع الذي كان يعطى فيه عمر ، فهو يتكلم عن التغالى في المهور ابتداء عند إرادة الزواج والآية تتكلم عن مؤجل الصداق عند إرادة فسخ العقد لكن عمر لم يرد كبح جماح الحرية ما دام الأمر سيعرض النص لنقاش هو في غنى عنه لأنه لا يجب اتهوك في مقدسات الإسلام .

ولو أن المسلمين استمروا في ممارسة هذه الشورى لما وقع المسلمون في شرك الديكتاتوريات تلك التي نشرها مجموعات الضباط في القوات المسلحة في العالم العربي .

ومن غريب ما يلاحظ أن هؤلاء الضباط فاشلون في المجال العسكري فلم يحتفظ التاريخ العسكري المعاصر لواحد منهم نجاحاً ما في عملية عسكرية واحدة . . . ومع ذلك فهم شداد على شعوبهم ، نعم على أعدائهم . . . وبخاصة إسرائيل .

وأعجب من كل ذلك كيف اتخذ العالم الإسلامي والعربي في هؤلاء الضباط لمكن لهم من الحكم وهم الفاشلون في أخص وظيفة لهم وهي حماية الذمار والحفاظ على الوطن . . . ؟

يوم الجمعة هو اليوم الذي جمع فيه خاق آدم، وهو أ و البشرية، وهو يوم  
في الإسلام يجتمع فيه المسلمون : لا فرق بين لغاتهم ولا ألوانهم  
ولا جنسياتهم .

فالتفرقة العنصرية مسدود دربها يوم الجمعة في حين أن التفرقة العنصرية

في البلاد المتحضرة مادياً ذروة في القسوة ، التعصب ، وأسف كثيراً إذا أن  
الدول التي تمارس التفرقة العنصرية تدعى أنها صاحب مبدأ حقوق الإنسان ...  
ويريدون من هذا المبدأ فتح سبل إلى التبشير داخل الجماعات الإسلامية  
بدعوى أن حرية الاعتقاد حق من حقوق الإنسان .

ويوم الجمعة يوم الوخسة الإنسانية حيث تنساوى الرتب والأموال  
والفقراء والعلماء والعامه في صدوق حيرها أولها مطلقاً دون نظر لقم هادبة  
أو جاه أو سلطان :



## واجب المسلمين في يوم الجمعة

المسلمون . زعماء .

وعلماء .

وتجار .

ورعية .

أما واجب الزعماء فهو :

(أ) أن يحترموا قدسية يوم الجمعة فلا يجعلوا يوم الراحة الأسبوعية يوم الأحد .

(ب) وأن يدخلوا المسجد — إذا أرادوا صلاة الجمعة — خاشعين وأن ينهوا الناس عن المكاء والتصدية لهم في المساجد وأن يبعدوا عنهم عن زواره .

أما واجب العلماء فهو :

(أ) أن يجعلوا من هذا اليوم يوم نصرته لجميع العلماء في العالم الإسلامي ذلك ، أنه من العجيب أن يتفرق علماء الأمة الإسلامية إلى شيع تبعاً لافتراق الزعماء ، كل علماء بلد يؤيدون زعيمهم ولو كانت سياسته ضد أصول الدين وشريعة الإسلام .

فاذا كان العلماء يرهبون الزعماء الدكتاتوريين فعليهم أن يقيموا بينهم روابط الإسلام ، ولهم من الله نصير ، فالمنابر يوم الجمعة لا سلطان عليها لأحد لأنها تركة ورثها العلماء عن سيدنا رسول الله ﷺ ، فإدا ما عرف الزعماء

أن يوم الجمعة هو يوم العلماء ، وسوف يعاونها مدىوة ضد أنظمتهم الفاسدة  
فان هؤلاء الزعماء :

( ا ) سوف يقدمون رجلاً ويؤخرون عشرأ في جرأتهم على ما يخالف  
الله ورسوله وجماعة المؤمنين .

(ب) وأنهم سيحشون غضبة الشعوب التي تهب خلف العلماء يوم أن  
يشعر الشعب أن علماءه يخفق محاصون ومجردون

وواجب النجار : أمره سهل : أن يجعلوا راحتهم يوم الجمعة بدل الأحد .

وواجب الرعية : صعب جداً لأنهم المسئولون عن كل فساد يقوم به  
الحكام ويلوون أعناقهم ضد نصائح العلماء .

إن مسؤولية الرعية هو حجر الزاوية في كل إصلاح ولن يفيد أنهم مائة  
الناس ، وأنهم يخافون من الحكام ، لأن الإسلام وضح هذه التعلقة وحمل  
الشعب العام مسؤولية أتباع الحكام الفاسقين .

وليقرأ الشعب المسلم هذه الحجة في القرآن الكريم :

« إذ تبرأ الذين إتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم  
الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك  
يرىهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بتخارجين من النار » .

( البقرة ١٦٧/١٦٦ )

« وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم  
تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن  
الله قد حكم بين العباد » .

( ٤٧ ٤٨ نافر )

ذلك واحب المسلمين المعاصرين نحو يوم الجمعة يوم الإسلام والمسلمين ،  
اليوم الأزهري صاحب الليانة الغراء فحتى يستجيب المسلمون لميهمهم من  
الله ورسوله الكريم ؟

ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد ؟ .

والحمد لله رب العالمين والعلالة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين .

مدينة نصر

دكتور

٢٧ شعبان سنة ١٤٠١ هـ

رؤوف شاي

٢٩ يونيو سنة ١٩٨١ م



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
١١	الدعوة : التعاهه الإسلاميه بين المؤتمرات والجامعات
	القسم الأول
١٧٠ - ٢٣	تصورات : في الدعوة ، الداعية والمجتمع
٢٥	• المسلمون والقرن الخامس عشر
٣١	• نحو مؤتمر فعال للدعوة الإسلامية
٤٠	• الداعية والمجتمع
٤٧	• مستقبل العمل للدعوة الإسلامية
٦٤	• أبو الأعلى المودودي ومكانته في الدعوة الإسلامية
٨١	• هل ستكون إنديونيسيا دولة إسلامية ؟
١١٥	• الحكم الذاتي لمسلس القيليين حق يقرره التاريخ
١٢٢	• الإسراء والمراج في تصور الدعوة الإسلامية
١٤٦	• الطريق إلى طابة وخاصية الدعوة
١٦٤	• محاولة التخطيط لسير الدعوة
٥٢٧	

## الجزء الثاني

١٧١ - ٤٦٢

تصورات في التفاهة الإسلامية

١٧٣

• خطأ محاولة تعريف القرآن بالجنس والنصل

١٧٥

• القرآن والأحرف السبعة

٢٠٣

• الرسم العثماني واجب شرعي لا يجوز مخالفته

• مركز السنة الإسلامية في التشريع الإسلامي وموقف

٢٢٤

المستشرقين منها

٢٨٢

• منهج العلماء في ضبط إدراك الحكم الشرعي

٣٠٤

• الإجتهد والإفتاء

٣١٣

• تحديد النسل والتنمية

٣٣٩

• أسس العمل الاقتصادي في نظر الإسلام

٣٨٤

• أهمية الصوم وأثره في مجالات الحياة

٤٠١

• أخلاقيات البيع والشراء في نظر الإسلام

٤١٥

• المرأة في الإسلام

الصفحة	الموضوع
	القسم الثالث
٤٦٣ - ٤٩٢	من التجارب العملية
٤٦٦	.. رضاء حيث أصاب
٤٧١	المبادئ، لا الأشيخاص
٤٧٦	.. الهدوء
٤٨١	٥ القيادة الجماعية في الإسلام
	الحاتمة :
٤٩٣	يوم الجمعة في الإسلام وواجب المسلمين المعاصرين فيه